السلطان محمد بن عيدروس العفيفي

الثورة ضد الاستعمار من قمة السلطة

فضل بن محمد عيدروس العفيفي

السلطان محمد بن عيدروس العفيفي

الثورة ضد الاستعمار من قمة السلطة

فضل محمد بن عيدروس العفيفي

إخراج وتصميم فني:
إبتسام ضبعان

تصحيح لغوي:
طلال الشرعبي


بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

إلى كل المناضلين الذين كان لهم أدوار وطنية بارزة في حياة شعبهم وتحملوا كثيراً من الأخطار والمتاعب والمعاناة خلال حياتهم النضالية، إلا أنهم لم ينالوا حقهم من الحقيقة بسبب آخرين اختلفوا معهم في الرؤى أو لإحساسهم بالتضاءل أمامهم مما جعلهم يعملون جاهدين على طمس الأدوار النضالية لهؤلاء الوطنيين متناسين أو جاهلين بالطابع الموضوعي للتاريخ الذي لا يخضع للأهواء و الأمزجة.

المقدمة

من كتب عنه لم يكتب إلا شذرات قليلة ومن أطال كانت تنقص ما كتب المادة التاريخية والدقة في المعلومات، وبعض من كتبوا استقوا معلوماتهم من بعض ما نشرته الدوائر البريطانية، وما نشر من تلك الدوائر لا يغطي إلا جزءاً مما حدث وبديهي أنه رواية للتاريخ من جانب واحد ولا يكتمل إلا بالرواية من الجانبين.

ويتجنب بعض الكتاب تحقيق تاريخ لم يمض عليه أكثر من خمسين عاماً وهو في متناول أيديهم وبمادة مباشرة من المعاصرين والمرافقين ومن الأطراف المتعارضة.

ويتجنب هؤلاء الكتابة والخوض في أحداث التاريخ القريب، إما لأنهم لا يكتبون إلا من مراجع وكتب من سبقوهم، بحكم العادة أو بحكم الإمكانيات. أو لأنهم ليسوا من المحققين من الرواية الشفوية وإسنادها من الوثائق. أو ربما تجنبا للتعقيدات والعلاقات الاجتماعية ومراعاة لها.

أما الشيوعيون ومن يؤمنون بصحة النظرية الاشتراكية والذين بعضهم وحتى اليوم لم يستطع مجارات المتغيرات الحاصلة في العالم بنظرياتهم الجامدة المقولبة التي لا تؤمن إلا أن الوطنية هي حكر

لطبقات دون أخرى فهم لا يمنحون شرف الوطنية إلا لأنفسهم، أما ما قام به الآخرون فهو من باب المغالطات الديماغوجية أو من أجل المصالح الذاتية الضيقة!!!.

وما دفعني إلى تسجيل تاريخ محمد بن عيدروس هو فداحة خطأ المعلومات التي كتبت عنه وكذلك قلتها.. ويعود ذلك إلى ممارسات الطمس التي كرستها الجبهة القومية، ثم الحزب الاشتراكي اليمني في فترة حكمه لكل مالة علاقة من التاريخ بالسلاطين وكل من اختلفوا معهم بالاتجاه والرأي بغض النظر عن مواقفهم وأعمالهم.

فاذا كان تاريخ لم يمض عليه أكثر من نصف قرن، مليء بالأخطاء المقصودة وغير المقصودة، والعديد من معاصري تلك المرحلة والأحداث التي حصلت فيها لا يزالون أحياء، فكيف سيكون عليه الحال اذا سُجل هذا التاريخ بعد قرن أو نصف قرن من الآن مثلا.

لذلك جمعت هذه المادة التاريخية التي بين أيديكم عن حياة السلطان محمد بن عيدروس العفيفي، وتجنبت قدر المستطاع التعبير عن المشاعر وصيغ البيانات والخطابات العاطفية أو الثورية وعبارات المديح والتمجيد المألوفة في مثل هذا النوع من الكتابات.. كما وضعت في اعتباري علاقة القربى باعتباره والدي وحاولت قدر المستطاع تجاوز هذا الأمر أيضا.

وسيلاحظ القارئ أننا أسهبنا في تفاصيل بعض الأحداث وقصَرنا في بعضها وهي أكثر أهمية ويعود ذلك إلى توفر المعلومات عن الأولى وشحتها عن الثانية، وتم تحديد تواريخ بعض الأحداث وتقريب تواريخ أحداث أخرى أكثر أهمية لنفس السبب أيضا.

ولقد اعتمدت فيما سجلته بالأساس على ما استقيته من مرافقيه ومعاصريه كشهادات على تاريخ تلك الفترة ، ومن الوثائق المتاحة ومعظمها وثائق خصومه أو زملائه السياسيين، كذلك أضفت في بعض الأحيان ما أطلعني عليه أو أخبرني به آخر خمس سنوات حياته ومما عايشته ووعيته في تلك الفترة.

انطلق محمد بن عيدروس في مناهضته للاستعمار البريطاني لأرض بلاده من موقعه الوراثي كسلطان على رأس سلطة.

وقد حتّم عليه موقعه واجب القيادة أن يكون الرائد في قبائله وأبناء منطقته وفي مقدمتهم، مراهنا لحساب إنتصار قضيته وقضيتهم الوطنية على حساب مركزه وممتلكاته اللذين قد يفقدهما. وكان يعتبر ما يقوم به أيضا انعكاساً لرغبة أبناء منطقته في ذلك الاتجاه، وواجبا لازم الدفع على كل مواطن، وعمل لم يكن ينتظر من ورائه جزاء ولا شكورا، ولا وسيلة للوصول إلى السلطة التي كانت أصلا ملك يمينه.

كانت ردة فعل الإدارة البريطانية على أي عمل يقوم به السلطان محمد دائما ضد قرى يافع وقبائلها وتختلف عن أي عمل يقوم به شخص أو أشخاص غير مسؤولين إلا عن أنفسهم، لذلك كان يضع في إعتباره أنه يتحمل مسؤولية الحفاظ على حدود دولته وسلامة سكانها وممتلكاتهم وعليه فقد تجنب الاستمرار بالثورة المسلحة بعد التجربة الأولى إلا إذا امتلك ما يضمن به استمرارها و ما يستطيع به حماية الأهالي والقرى من هجمات سلاح الجو البريطاني أو التخفيف من أثرها مع الوضع في الاعتبار أن الجزء الجبلي من يافع هو المنطقة الوحيدة التي لم تسيطر عليه الإدارة البريطانية وأي عمل يأتي منها يكون الرد عليه من سلاح الجو.

وخلاصة القول إن ثورة يافع بقيادة محمد بن عيدروس، كانت اندفاعه وطنية وسياسية عفوية غير ممنهجة أيدلوجيا، أملتها تدخلات الإدارة البريطانية الكبيرة والمستمرة في شؤون سلطنة يافع وما لاحظه من كره ونفور للاستعمار لدى أبناء منطقته، بالإضافة إلى تنامي الروح القومية العربية في تلك الفترة بعد قيام الثورة المصرية وتأثره الشديد بها.

كان يطالب الإنجليز بعدم التدخل وفرض الاملاءات في شؤون السلطنة، ثم تطورت هذه المطالبة إلى الدعوة إلى رحيل المستعمر عن أرض الجنوب.

وقد اعتقد أن المملكة المتوكلية اليمنية ستمده منها أو من خلالها بالمساعدات اللازمة لمقاومة الإنجليز وكان ذلك خطأ استراتيجي جعله يكثف العداء للإدارة البريطانية قبل أن يؤمن العمق اللوجستي الذي يوفر للثورة في يافع الزخم في الاستمرار والرد والمبادرة في أعمال المقاومة ضد الاستعمار وأصدقائه وصولا إلى تحقيق الأهداف الوطنية. كما أنه لم يعط الاهتمام الكافي للجانب الاعلامي أو بشكل أدق لم تكن تسعفه إمكاناته المادية لايصال ما كان يجري إلى خارج نطاق يافع خاصة وأنها منطقة جبلية مغلقة وما جرى بداخلها في تلك الفترة كان ولا يزال شبه مجهول للكثيرين حتى الآن، ومن كتب من الإنجليز الذين كانوا في عدن أثناء فترة الإحتلال تكتم كثيرا حول موضوع أعمال سلاح الجو البريطاني على مناطق يافع المختلفة والتي استمرت حوالي أربع سنوات، وكانت بعض الأحزاب والشخصيات السياسية التي كانت تعمل في عدن أو خارج اليمن تجيّر تلك الأعمال بشكل أو بآخر وتضيفها إلى رصيدها بحكم تعاملها الكبير مع وسائل الإعلام ومع المحافل الدولية خارج اليمن.

وخصومته للإنجليز لم تكن خصومة مطلقة ولا لذاتها.. فقد تمرد على الإدارة البريطانية في عدن والمحميات، ونشد العدالة وتلبية المطالب السياسية في مجلس العموم البريطاني ولجانه المعنية.. وبهذا العمل لتسجيل تاريخ محمد بن عيدروس، أكون قد أوردت المفاتيح وتركت موضوع التحقيق والتدقيق والتفصيل المهني للمؤرخين والمحققين.

وللأسف الشديد أن أغلب ملفات السلطان محمد وكانت كثيرة ومنظمة والتي تحوي مراسلاته ووثائقه السياسية المهمة قد تم إحراقها أو تخطفتها الأيدي، كل ذلك بعد استلام الجبهة القومية للسلطة. حيث كان مسؤولو واعضاء القيادات، وخاصة المحلية منها بالذات من الجهل وضيق الأفق والمغالاة في المزايدة، فاعتبروا أن كل شيء متعلق بالسلاطين من تاريخ وخلافة يجب طمسه إن لم يكن فيه ما يفيد الإدانة لهم. حتى أن بعض من كانت لديهم بعض هذه الملفات أحرقوها خوفا من أن تقع بأيدي هذه القيادات فيتعرضون بسببها للأذى أو تستخدم محرفة ضد السلطان نفسه. لذلك لم يبق الا القليل جدا من الوثائق والأقل أهمية مقارنة بما فُقد.

في عام ١٩٩٦م، سلمني شخص مجلد يحوي قصاصات وصفحات كاملة من الصحف التي كانت تصدر في عدن في بداية الستينيات وكل ما في المجلد أخبار عن كل ما يتعلق بيافع واكثرها عن محمد بن عيدروس وكان هذا المجلد ضمن إرشيف ما كان يسمى بجهاز أمن الدولة في عدن- ولا يستبعد أن يوجد غيره للفترة من منتصف الخمسينيات وحتى نهايتها، والمهم في الأمر أنني عندما بدأت بتجميع المعلومات لغرض تسجيل هذه السيرة التي بين

أيديكم، اتجهت إلى المكتبة الوطنية في عدن للبحث في الصحف التي كانت تصدر آنذاك، فلم أجد إلا أخبار صغيرة ونادرة، فكان هذا دليل قطعي على عمليات الطمس والإخفاء التي مورست فقد جُمعت من مجلدات المكتبة العامة حتى لا يجد الباحث أي أثر لذلك التاريخ وحُبست حيث لايستطيع أن يصل اليها أحد.

لقد شعر في آخر أيام حياته عندما أُعيد إلى المعتقل من الإقامة الجبرية بالخطر والمرارة لأنه كان حسن النوايا ولم يحترس لوجود أفراد مبتدئين ودخيلين على السلطة وتصريف شؤونها ومراهقين في أعمارهم وأعمالهم مندفعين مملوئين بالحقد والحسد والنوايا التي ليس لها عقال، وفوت على نفسه العديد من الفرص السهلة للهرب من سجنه. كما تعرض أنصاره وأتباعه لأشد صنوف الأذى والتعسف والسجن والتصفية من قبل الجبهة القومية لا لذنب ارتكبوه إلا أنهم كانوا مع محمد بن عيدروس ولأنه لا ثورة في نظرهم غير ثورتهم!

و قد كان أن عاش في فترة من الزمان كان المد السياسي فيها ضد الحكام الوراثيين ولا تشفع لهم أعمالهم مهما اتصفت بالوطنية، وقدره وقدر الكثير من اليمنيين أن الجبهة القومية ثم يسارها المغامر هي التي تسلمت الإستقلال والسلطة في جنوب اليمن.

تنويه

كان النظام الاشتراكي في عدن والمحافظات الجنوبية من اليمن والذي دام حكمه من ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م إلى ٢٢ مايو ١٩٩٠م – كان هذا النظام يرى في إعادة صياغة التاريخ وسيلة من وسائل ترسيخ وجوده، ويرى أن تطويع التاريخ يعمل على أن لا يجعل من نظامه وعقيدته نتوء ناشز على تاريخ وعقيدة وثقافة المجتمع في شبه الجزيرة العربية، بل سيكون منسجم ومتجانس معه بعد التعديل (إعادة الصياغة).

وقد عمد منظرو ومفكرو ومؤرخو وقادة ذلك النظام إلى محاولة إعادة كتابة التاريخ الذي سبق فترة حكمهم لمناطق ما كانت تسمى بجنوب اليمن وشماله والجزيرة العربية بالشكل الذي يعتقدون معه بأنه تاريخ يُظهر مساوئ الدول والأنظمة والعقيدة الإسلامية حتى يكون حلول نظامهم وعقيدتهم كبديل مبرر له، كما وأن نظامهم في هذه الحال سيعد امتداد طبيعي لمجريات التاريخ المُعاد صياغته.

عندما ثار نقاش في تلك الفترة حول استمرار تدريس مادة الدين في المدارس، كبير منظريهم قال: (لا بأس من تدريس هذه المادة كنوع من أنواع التراث!!)، وكمثال على إعادة صياغة التاريخ فقد ركز كتاب النظام على أبي ذر الغفاري باعتباره يمثل الطبقة الكادحة وثائر ضد الطبقة البرجوازية والاقطاعية من الخلفاء والصحابة على حد زعمهم، كذلك أشادوا بثورة الأسود العنسي واعتبروها ثورة تصحيحية.

وقس على ذلك في كتابتهم للتاريخ الحديث بذكرهم للسلبيات وإغفالهم أو تحريفهم للإيجابيات والكتابة على طريقة من يقرأ الآية الكريمة: (ولاتقربوا الصلاة....) ثم يقف، وبنية إعادة صياغة التاريخ لاتسجيل وقائعه، تاصيلا وتجذيرا للنظرية التي امتطوها.

وعلى ذلك فان معظم ما كتبه مؤرخوهم من تاريخ لا يمكن الاعتماد عليه أو النقل عنه لأنه تاريخ كتب بنية تحريفه ولم يكتب بنية تسجيل وقائعه كما حدثت، وهو على هذه الصورة عبارة عن تاريخ غير مجرد وُجه باتجاه يوازي النهج الذي اتبعوه، ولم تكن هناك حرية للكتابة للمؤرخين ابان فترة حكمهم إلا من كتب ذلك النوع من التاريخ المسيس والموجه جدا.

كما أنهم عملوا على طمس أدلة التاريخ غير المرغوب فيه من وثائق بإخفائها أو إتلافها حتى لا تقع بأيدي من يفكرون بغير خط تفكيرهم .

السلطان محمد نشأته وصفاته

ولد السلطان محمد حوالي عام ١٩٢٨م في (القارة) عاصمة سلطنة يافع بني قاصد حينها، ونشأ في ظروف غير مستقرة سياسيا وقبليا.

حيث كان والده السلطان عيدروس على خلاف مع جيرانه سلاطين أهل فضل بسبب مياه الري في منطقة دلتا أبين، وجرت بينهم الكثير من معارك الكر والفر، ورتبت بينهم العديد من الهدنات وحدثت الخروقات لها.

كما أن والده كان على وفاق حذر مع الإنجليز الذين كانوا يطالبونه بأكثر مما كان يريد أن يعطي فيختلف معهم ثم يهادنهم. إذ كان يرى فيهم قوة لايستطيع محاربتها، وهم وسيط بينه وبين جيرانه أيضا لا يجب استعدائه.

كلفه والده وهو في حوالي الخامسة عشرة من عمره بتحمل مسؤولية الإشراف على شئون الاسرة. ثم أضاف إلى ذلك مسؤولية استقبال الضيوف من القبائل وغيرهم وتوفير احتياجاتهم أثناء تواجدهم في القارة، وقد ساعده ذلك في التعرف على القبائل وفخوذها وبطونها ومشائخها وشخصياتها الاجتماعية، كما ساعده أيضاً في التعرف على أنواع المشاكل التي تنشأ بين القبائل وأسبابها وطرق حلها بالعرف القبلي، وتأتّى ذلك من خلال جلوسه مع والده والاستماع إلى ما كان يدور.

وكان القسط الذي ناله من التعليم هو قراءة القرآن في المعلامة (الكُتّاب) كما أن ثقافته كانت محدودة حيث نشأ بعيدا عن المدن والمدنية. وكما أنه لا توجد وسائل للثقافة في الحياة القروية فإنه أيضا لم تكن توجد وسائل تسلية أو نشاط للصبية و الشباب

سوى بعض الالعاب والتسليات الممكنة بدون الحاجة إلى إمكانيات، فسباقات العدو واحدة منها وتسلق الجبال والقفز من حالة الوقوف إلى مصطبات صخرية بارتفاع أكثر من متر، والغوص في مياه الآبار دون عمل حركة أو دوامات فيها مع الوصول إلى قعرها وجلب ما يثبت ذلك، وكذلك التباري على كسر عظمة الفخذ الغنمي بعد أكل لحمها هذه كانت التسلية والتباري وإثبات القدرة أو المهارة بين الأقران من الشباب والتي مر بها السلطان محمد في فترة صباه وشبابه الباكر، وروى البعض من أقرانه أنه كان الأفضل في معظم ألعاب القدرة التي كانوا يمارسونها والذين عرفوه في فترة شبابة وصفوة بأنه كان متواضعاً يستمع أكثر مما يتكلم، كتوم، صاحب طبيعة اجتماعية يحب مخالطة الآخرين وأكل الطعام معهم ولا يفترق عنهم إلا وقت النوم، كما وصفوه بأنه ذكي بالفطرة وصريح ومثالي[1].

وكان يحب سماع قراءة القرآن الكريم والأناشيد الدينية، وفي فترة شبابه الأولى كان يقرأ بالمصلين في رمضان (الوترية) للشيخ الورّاق، وهي أناشيد دينية يرددها المصلون قبل صلاة التراويح.

كما كان يحب الشعر ويتذوقه و أحب سماع الأغاني الوطنية والقصائد الملحنه لمحمد عبد الوهاب وأم كلثوم مثل: إذا الشعب يوما اراد الحياة، ومصر نادتنا، والنهر الخالد، وصوت الوطن، ومصر تتحدث، و نهج البردى، و وُلد الهدى، كما كان له (عود) يدندن عليه بعض الأغاني ويحاول تقليد عبدالوهاب خاصة في أغنيته (النهر الخالد).

---

١ هاتين الصفتين خلقتا له الكثير من المتاعب في حياته السياسية

كان يمضغ (القات) باعتدال، ويستغل معظم وقت القات، خاصة عندما تحمل المسؤولية لاستقبال القبائل وحل مشاكلهم وكذلك للاطلاع على المراسلات الواردة والرد عليها، كما كان يستخدم(الشيشة) فترة مضغ القات فقط ويدخن السجائر في غير تلك الفترة ، وكان يسهر إلى بعد منتصف الليل.

ورغم أنه كان يملك إرادة قوية وشديد الصبر والاحتمال إلا أنه كان حاد الطبع و شديد الانفعال عندما يغضب، وربما لهذا السبب وصفه أحد الضباط السياسيين الإنجليز (جود فري مينل) بأنه عدو نبيل و لكنه أحمق وهذه صفة مقاربة لما وُصف به هو ووالده السلطان عيدروس من قبل(ديفيد ليدجر) ضابط الاستخبارات الإنجليزي ومؤلف كتاب (الرمال المتحركة) الذي قال عن والده بأنه كان حاكما لقبائل مستقلة بشكل رهيب وعنيف وتقاوم بجراءة وقوة أي تدخل في أساليبها وعاداتها وشعوذاتها، وكان السلطان عيدروس مؤهلا تماما لأن يكون حاكما لمثل هذا الشعب، إذ أنه كان شبه معتوه وشبه حكيم في آن واحد، وكان المذكور يصيب أولئك الذين لم يلتقوا به من قبل بصدمة كبيرة، لكن أهالي يافع كانوا مولعين به. أما محمد أكبر أبناء السلطان فقد كان حسب المثل القائل (ابن الوز عوَام) كان سريع التقلب وعديم التريث وشديد الشك، بيد أنه كان في بعض الأحيان ظريفا ولطيف المعشر، واستطاع أن يحتفظ بسلطة سحرية على شعبه!!!.

كما قال عنه المعتمد البريطاني ووالي عدن لاحقا (كندي تريفا سكس)أنه بدوي أتى من القرية ومع ذلك استطاع أن يتأقلم بسرعة ويعمل بالإدارة المدنية، كما أورد عنه في كتابه (ظلال الكهرمان)، بأن مواقفه الوطنية قد ترتب عليها ارتفاع شعبيته في الجنوب

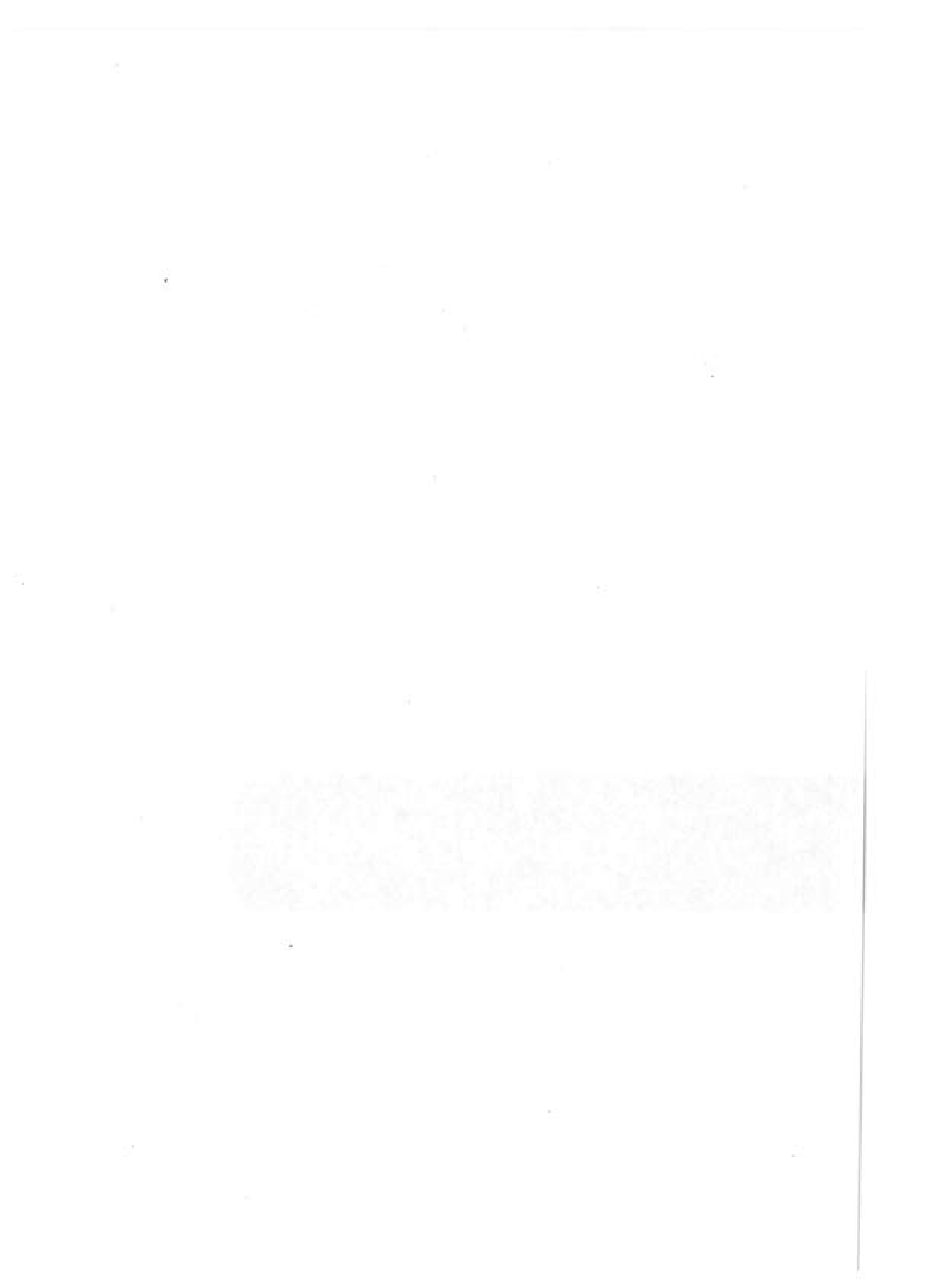
العربي بأكمله حتى غدا بطلاً قوميا فيه. وفي المنهج المصري للتربية الوطنية للصف الخامس والذي كان يدرس في الجمهورية العربية اليمنية وبعض الدول العربية الأخرى التي كانت تعتمد المنهج المصري في مدارسها مثل دولة قطر وحتى عام ١٩٦٦ م وُصف فيه السلطان محمد بن عيدروس مع السلطان علي عبدالكريم العبدلي على أنهما أبطال الجهاد والمقاومة ضد الاستعمار الإنجليزي في الجنوب العربي مثل ماوُصف عمر المختار في ليبيا بأنه بطل الجهاد ضد الاستعمار الايطالي وفي الجزائر أحمد بن بلا وجميلة بوحريد ضد الاستعمار الفرنسي، أما السلطان صالح بن حسين العوذلي فيعتقد أن صراحة السلطان محمد الزائدة وإصراره على مايراه ويعتقده هما ا لسبب الرئيسي لخلافاته مع القيادة المصرية في اليمن، وكذلك أحمد حسين شرف الدين في كتابه (اليمن عبر التاريخ) بأنه من الشباب النابه في الجنوب و أن عنده ثقافة جيدة، النائب العمالي البريطاني (روبرت إدواردز) وصفه بأنه شاب على جانب كبير من الاعتدال والاتزان، و أن المعلومات التي تجمعت لديه تُثبت أنه من قلائل الحكام الوراثيين الذين يؤمنون بالحرية والحركات التقدمية، كما وصفه بأنه على جانب كبير من الثقافة والتواضع والاعتدال في الرأي والتفكير، أما (هارولد أن جرامز) فقد وصفه بأنه روبن هود يافع.

تنامى حسة السياسي من خلال معايشته خلافات والده مع الإنجليز وتخاطبة معهم، إلا أنه لم يصل إلى مرتبة السياسي المحترف حتى في مراحل حياته الأخيرة [٢].

---

٢ تقدير شخصي من قبل الكاتب

زيارته الأولى لعدن



زيارته الأولى لعدن

أملت ظروف الحرب العالمية الثانية على الإدارة البريطانية في عدن التفكير لتوفير المنتجات الزراعية من الحبوب محليا بدلا من استيراد الجزء الأكبر منها. وعلى ذلك طرحت فكرة إنشاء شركة زراعيه في لحج وأبين وتعمل هذه الشركة على بناء وإقامة المنشآت الزراعية وقنوات الري، وتدير وتشرف على عملية زراعة حوالي عشرة الآف فدان بالحبوب في مابين السلطنة الفضلية واليافعية. لم يوافق السلطان عيدروس على ذلك لأن الأمر لا يخلو من بواطن ترمي إلى ترسيخ أقدام الإنجليز في سلطنته.

فاستدعاه المعتمد البريطاني حينها (سيجر) إلى عدن وطلب منه الموافقة على إنشاء الشركة المزمع إنشاؤها وكذلك توقيع إتفاقية الاستشارة. جدد السلطان عيدروس عدم الموافقة وأوضح للمعتمد بأن قبائل يافع سترفض أي اتفاق من هذا القبيل وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً دون موافقتهم. وبسبب ذلك مُنع السلطان من مغادرة عدن، وظل فيها قرابة ثلاثة أشهر، وكان يرى أن الشركة مدخل لتواجد وسيطرة أكبر للإدارة البريطانية في المنطقة اليافعية، بينما كان الإنجليز يتهمونه بأنه لا يرغب للمنطقة أن تتطور اقتصاديا، وردد من كانت تربطهم مصالح بتواجد الإنجليز نفس قولهم.

يوم الحادي عشر من شهر سبتمبر١٩٤٣م الموافق الثاني عشر من رمضان قرر مغادرة عدن بعد منتصف الليل، وكانت المشكلة أمامه هي الحراسة الموجودة بنقطة (باب السلب) التي كان موقعها ملاصق لجبل حديد من جهة الغرب، وهم بالتأكيد مُبلغون بعدم

السماح له بالخروج من عدن. فأمر سائق السيارة بعدم التوقف عند النقطة وأن يتجاوز حاجز النقطة حتى ولو كان مغلق. كما كانت تعليماته للذين كانوا معه بالسيارة، وهم: أحمد محمد بن سليمان، الشيخ بالليل الرهوي، محمد هيثم بن ناجي، أحمد ثابت بن جرادي، صالح عبدالرب بن متاش، محمد جابر اليوسفي، محسن ناصر نصيب (الملقب سويني)، نصر بن ناجي، بأن يطلقوا رصاص بنادقهم إلى الجبل المجاور للنقطة لإرباك الحراسة، وتم الأمر كذلك وتجاوزوا النقطة بسلام . وقد توجه رأسا إلى القارة في المنطقة الجبلية إلى حيث كان يلجأ كلما اختلف مع الإدارة البريطانية .

إستشارت الإدارة البريطانية السلطان عبد الكريم سلطان لحج باعتباره مستشاراً لشؤون المحميات في أمر عزل السلطان عيدروس وتنصيب شخص آخر بدله. لم يوافقهم السلطان عبدالكريم الرأي، وبدلاً عن ذلك اقترح أن يتوسط بينهم وبين السلطان عيدروس ويعمل على مجيئه إلى عدن للتفاهم معه.

في نهاية نفس العام توجه السلطان عيدروس إلى عدن عن طريق الثمير وكان يرافقه ولده محمد الذي كان عمره حينها بحدود الخامسة عشر، كما كان يرافقه مستشاره القاضي عبدالرحمن بن أحمد الحريري الذي كان يتصف بالذكاء والتفقه في الدين والدهاء في السياسة.

بعد الوصول إلى عدن بيومين، زار السلطان عيدروس المعتمد البريطاني الذي كان مقره حينها في منطقة (الخساف). وقد جدد له الأخير مطالبة حكومة صاحبة الجلالة للتوقيع على معاهدة الاستشارة. فكان رد السلطان بأنه لايملك هذا الحق، اذ

أن ذلك مرهون بموافقة قبائله في يافع. وفي نهاية المقابلة أخطره المعتمد بأن عليه وعلى ولده محمد ومستشاره عدم مغادرة عدن الا بإذن منه.

بعد خمسة أيام وبعد التشاور مع مستشاره، زار المعتمد البريطاني مرة أخرى، وطلب منه مهلة يتوجه خلالها إلى يافع لعرض الأمر على قبائلها.

وافق المعتمد على ذلك شريطة بقاء ولده محمد في عدن. لم يجد السلطان عيدروس مفر من ذلك، فوافق على مضض إذ أن ولده محمد حتى ذلك التاريخ كان ولده الوحيد من الذكور.

دعى السلطان عيدروس مشائخ وأعيان مكتب السعدي من مكاتب (قبائل) يافع بني قاصد إلى لقاء في منطقة (حجار البيض) في مكتب السعدي على بعد حوالي اثنين كيلومتر شمال غرب القارة، وعرض عليهم طلب المعتمد البريطاني وأن ذلك سيلحقه شق طريق معبدة إلى يافع وإقامة مستشفى ومدرسة حسب وعد المعتمد. رفض الحاضرون هذا الأمر بشدة إلى حد أن بعضهم تهجم على السلطان وتوعده أن هو قبل التوقيع. و لم يكرر الدعوة لبقية المكاتب بعد ردة الفعل تلك.

هناك من يروي أن السلطان ومستشاره كانا يعلمان بأن أخبار ذلك اللقاء قد سبقتهم إلى عدن من خلال العيون والمخبرين، وذلك ما كانوا يريدونه.

عندما عاد السلطان ومستشاره من يافع، كان الأخير قد صاغ مذكرة أظهر فيها موافقة السلطان على إقامة الشركة الزراعية مع تعديل بعض بنود انشائها، والحق ذلك بعدم موافقة قبائل يافع على معاهدة الاستشارة المقترحة من قبل الإدارة البريطانية.



السلطان عيدروس مع احد زواره من الإنجليز

(كندي تريفاسكس) أشار في كتابه (ظلال الكهرمان) أنه بين الاعوام من ١٩٤١ إلى ١٩٤٦ م تم توقيع معاهدة الاستشارة مع خمسة من حكام الولايات وهي: بيحان والفضلي والضالع والعوالق السفلى ويافع السفلى بينما يروي من اطلع على المعاهدات، بأن المعاهدة التي تخص يافع السفلى كانت بين المعاهدات ولكنها غير موقعة من قبل السلطان العفيفي[٣].

تقبل المعتمد البريطاني رد السلطان عيدروس بعدم ارتياح، لكنه أخطر السلطان بأنه ومن معه يستطيعون مغادرة عدن متى شاؤوا.

وكانت هذه الحادثة أول إحتكاك للأمير محمد بن عيدروس بمحن السياسة، وربما أنها كانت اللبنة الأولى في تنامي موقفه من الإدارة البريطانية وسياستها.

---

٣ لم يتسنى لي الاطلاع على تلك المعاهدات حتى نهاية كتابة هذه السيرة -- الكاتب

زواجـــه



تزوج السلطان محمد مرتين، المرة الأولى من ابنة عمه الأمير عبدالله محسن العفيفي، وكان ذلك تقريبا عام ١٩٤٦ م، وهو في الثامنة عشر من العمر. ودام ذلك الزواج أقل من عام، وقد تم نزولا عند رغبة والده و جدته لأبيه.

و تزوج في المرة الثانية من إبنة الأمير أبوبكر غالب العفيفي، حوالي بداية عام ١٩٥٠م..

وقد أنجبت له خمس من البنات وولده الوحيد فضل، وتوفيت بعد مقتله بست سنوات (١٩٧٨م) كما توفيت والدته بعد مقتله بثلاثة أشهر، وهي زوجة السلطان عيدروس الأولى ومن أسرة سلاطين آل بن هرهره.

مقتل الأمير

أحمد غالب سيف العفيفي



لاحظ السلطان عيدروس أن الإدارة البريطانية غير مرتاحة له وتتخذ الإجراء تلو الاجراء لإضعاف مركزه وربما لانتزاع السلطة منه. ومن ضمن تلك المحاولات أن عمدت إلى تشجيع أحد أفراد أهل عفيف وهو الأمير أحمد غالب سيف العفيفي وتأهيله ربما لتجعله يحل محل السلطان عيدروس، وربما لاستخدامه كورقة ضغط عليه. والأمير أحمد غالب عاش فترة من الزمن خارج اليمن وخاصة في أثيوبيا، وكان وسيم الطلعة، متنور، حسن الحديث وصاحب شخصية قوية، وكان يتردد على المستعمرة الفرنسية جيبوتي، وقد تزوج بامرأة منها وسجنته السلطات البريطانية لفترة طويلة للشك فيه بأنه ربما كان يعمل لصالح الفرنسيين في سنوات الحرب العالمية الثانية وذلك قبل أن تطلق سراحه، ومما يجدر ذكره هنا أن شخصا فرنسيا تسلل إلى يافع في فترة الحرب تلك مع شخص من حمومه وبقي فيها إلى أن علم الإنجليز به فبعث المعتمد البريطاني يطلب من السلطان عيدروس أن يسلمه للإدارة البريطانية كيفما كان وبعث له نوعاً من السم إذا تطلب الأمر لاستخدامه. السلطان رفض هذا الأمر وسلمه لهم سليما واشترط عليهم عدم المساس به.

وعندما كان موجوداً في دارة في الحصن المسمى (حجرة هاجرة) طلب السلطان بعض رجال القبائل ويقال أن عددهم كان اثني عشر فردا، وشرح لهم أن الإدارة البريطانية تعمل على إحلال الأمير أحمد غالب محله. وطلب منهم الاتجاه إلى منزله وإحضاره برضاه أو بالقوة . لكن حدث أن الذين ذهبوا لإحضاره إغتالوه. وهنا توجد روايتين للأمر..

الأولى: بأن عدد من المكلفين بإحضاره تقدموا إلى باب المنزل الذي يسكن فيه في قرية الحصن بينما عدد آخر بقي كغطاء لهم، وكان ذلك في المساء، وعندما فتح لهم الباب وتكلموا معه، طلب العودة إلى الداخل

لارتداء بعض ملابسه، لكن مع عودته وبسبب التوجس والظلام اعتقدوا أنه عاد حاملا بندقية، فبادروا بإطلاق النار عليه وهذه الرواية أكدت نقلا عن بعض من شاركوا في ذلك الحدث، وكذلك مما رواه أحد أقاربه وكان موجوداً في نفس المنزل ليلة الحادث.

و الرواية الثانية: بأن التكليف كان من السلطان لقتله و أنه رفض المجيء معهم، فقتلوه عندما رفض طلبهم. جرى ذلك الحادث بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٤٧م. وفي اليوم التالي حضر مدير الزراعة في محمية عدن والضابط السياسي بالنيابة (بريان هرتلي) إلى (جعار) التي تبعد حوالي سبعة كيلومتر جنوب الحصن، وأرسل إلى السلطان يطلب مقابلته.

رد السلطان عليه بأنه سيمر عليه في جعار مع الساعة التاسعة صبيحة اليوم التالي وهو في طريقه إلى عدن.

كان وصول هرتلي إلى جعار بعد العصر، وفي المساء وصل إلى السلطان عم زوجته أم ولده فيصل، عمر بن صالح بن عمر بن هرهرة مرسل من قبل علي بن إبراهيم الذي علم بمقتل الأمير أحمد غالب، وكان يعمل بإدارة المعتمد البريطاني وعلى علاقة طيبة بالسلطان عيدروس، فأرسل يحذره من أوامر صدرت لقوة عسكرية تتجه للقبض عليه. كما أبلغ السلطان في المساء بأن آليات وجرافات بإشراف السيد عيدروس بن زين الملقب (ديجول) تمهد طريق(زهوان) جهة شرق الحصن من جهة الدرجاج.

كانت الصورة واضحة للسلطان، لذلك توجه فجر اليوم التالي الأحد ١٨ اكتوبر ١٩٤٧ إلى القارة، ووجد نقطة عسكرية مستحدثة في منطقة (الفرضة) وتبعد حوالي عشرة كيلومتر شمال الحصن وهي عنق الزجاجة إلى المنطقة الجبلية، لكن أفراد النقطة تجنبوا إيقاف السلطان ربما لأنهم وجدوا أن عدد مرافقيه يفوقونهم عددا.

علم هرتلي بالخبر فتوجه إلى الحصن ومعه قوة عسكرية تمركزت فيها وفي (حلمة)، ثم اجتمع بأعيان أهل عطية وناقش معهم تشكيل مجلس لإدارة المنطقة الساحلية من يافع. وتم التوقيع على إقامة ذلك المجلس في ٢١ أكتوبر، وبرئاسة العاقل حيدرة منصور، وقد أدى الأعضاء اليمين أمام هرتلي وأسمي ذلك المجلس بمجلس الحكم.. ثم تغير اسمه لاحقا إلى مجلس السلطنة.

في ٢٢ أكتوبر، طُلب من وكلاء السلطان على أراضيه وأملاكه إحضار ضمانات على حسن سيرتهم، وإلا فإن عليهم ترك أعمالهم ومغادرة المنطقة الساحلية من يافع.

يوم الخميس ٢٤ أكتوبر تم التوقيع على إتفاقية حدود الرميلة بين الفضلي واليافعي، والتي سبق لبريان هرتلي إكمال إعدادها في ١٠ أكتوبر ١٩٤٦م.

كما تمت مصادرة حوالي ثمان مئة فدان من الأراضي على السلطان وأهل عفيف، وسميت بأراضي (بيت المال) . وكان الغرض من تلك المصادرة هو توفير مصدر إيراد للمجلس المشكل حتى يظل قائما في العمل الموكل إليه من الإدارة البريطانية، وتنأ بنفسها عن تحمل أية مسؤولية مالية تجاه ذلك المجلس لكون الإدارة البريطانية كانت تعتبر الولايات الغربية كما كانت تسميها كمحميات تحت دائرة النفوذ البريطاني بموجب معاهدة الحماية وليست مستعمرة كمنطقة عدن، لذلك وبهذا المفهوم فإنها ليست مسؤولة ماليا عن إحتياجات الولايات ومسؤوليتها تنحصر في حماية هذه الولايات من الإعتداءات الخارجية (بالأساس المملكة المتوكلية اليمنية) وتقديم النصح والمشورة في حكم وإدارة هذه الولايات .

في (القارة) تداعت قبائل يافع وحضرت لحل الخلاف بين السلطان وأولاد عمه بسبب مقتل الأمير أحمد غالب، وبموجب العرف المتداول، فإن خلافات السلطان مع بعض أو كل أفراد أسرته تحلها قبائل يافع،

وعلى ذلك فقد ألزمت القبائل السلطان عيدروس وأهل الدم بقبول حلهم، وبأن على السلطان ثلاثة عشرة دية، تسقط منها خمس ديات لمن حضر من الخمسة المكاتب[4]، وتُدفع الثمان الديات المتبقية لأهل الدم، على شكل أراض زراعية ونقود. وهكذا أغلقت قبائل يافع ملف هذه القضية.



السلطان عيدروس يسار الصورة في نادي الاتحاد اليافعي
وإلى جانبه الأمير محمد غالب أخو الأمير أحمد غالب العفيفي

الإدارة البريطانية كانت قد أشارت على السلطان عيدروس بالتنحي عن الحكم والمغادرة إلى خارج المنطقة الساحلية من يافع كما فعلت مع أمير الضالع، ثم ولده الذي حمل السلاح ضد الإنجليز لتدخلهم في شؤون الضالع بإقالة ونفي والده إلى المملكة المتوكلية اليمنية، وكما تم في سلطنة الفضلي حيث أبعدوا سلطانها وعينوا سلطانا بدلا عنه من نفس الأسرة.

---

4 الخمس القبائل المكونة ليافع بني قاصد

مع والده في السلطنة العوذلية



عام ١٩٤٩ م قام السلطان صالح بن حسين العوذلي بإيعاز من المعتمد البريطاني (باسيل سيجر) بدور الوساطة بين السلطان عيدروس والإدارة البريطانية في عدن وذلك لحل الخلاف الذي نشأ نهاية عام ١٩٤٧ م. ولجأ السلطان عيدروس بسببه إلى القارة، وما تلى ذلك الخلاف من إجراءات في المنطقة الساحلية من يافع. لذلك زار السلطان منطقة (زارة) في بلاد العواذل، وكان يرافقه العديد من أفراد القبائل والأمراء من أهل عفيف.

كان الأمير محمد من ضمن المرافقين لوالده، كما رافقه الأمراء: معوضة بن عبدالله محمد، حسين بن محمد ناصر، عبد الرحمن بن محمد ناصر، فضل بن عبدالله محسن، محسن بن أحمد محسن، حمود بن زين بن علي، علي بن غالب سيف، عبدالرب محمد ناصر.

طرحت الإدارة البريطانية من خلال السلطان صالح ومساعد الضابط السياسي (لاري هوبسن)، أن يظل مجلس الحكم الذي أُسمي لاحقا بمجلس السلطنة في المنطقة الساحلية قائما على أن يشارك فيه اثنان من أهل عفيف، وأن يكون الأمير محمد نائباً لوالده ورئيسا للمجلس في المنطقة الساحلية، بينما يقتصر تركيز عمل السلطان عيدروس على المنطقة الجبلية من يافع فقط.

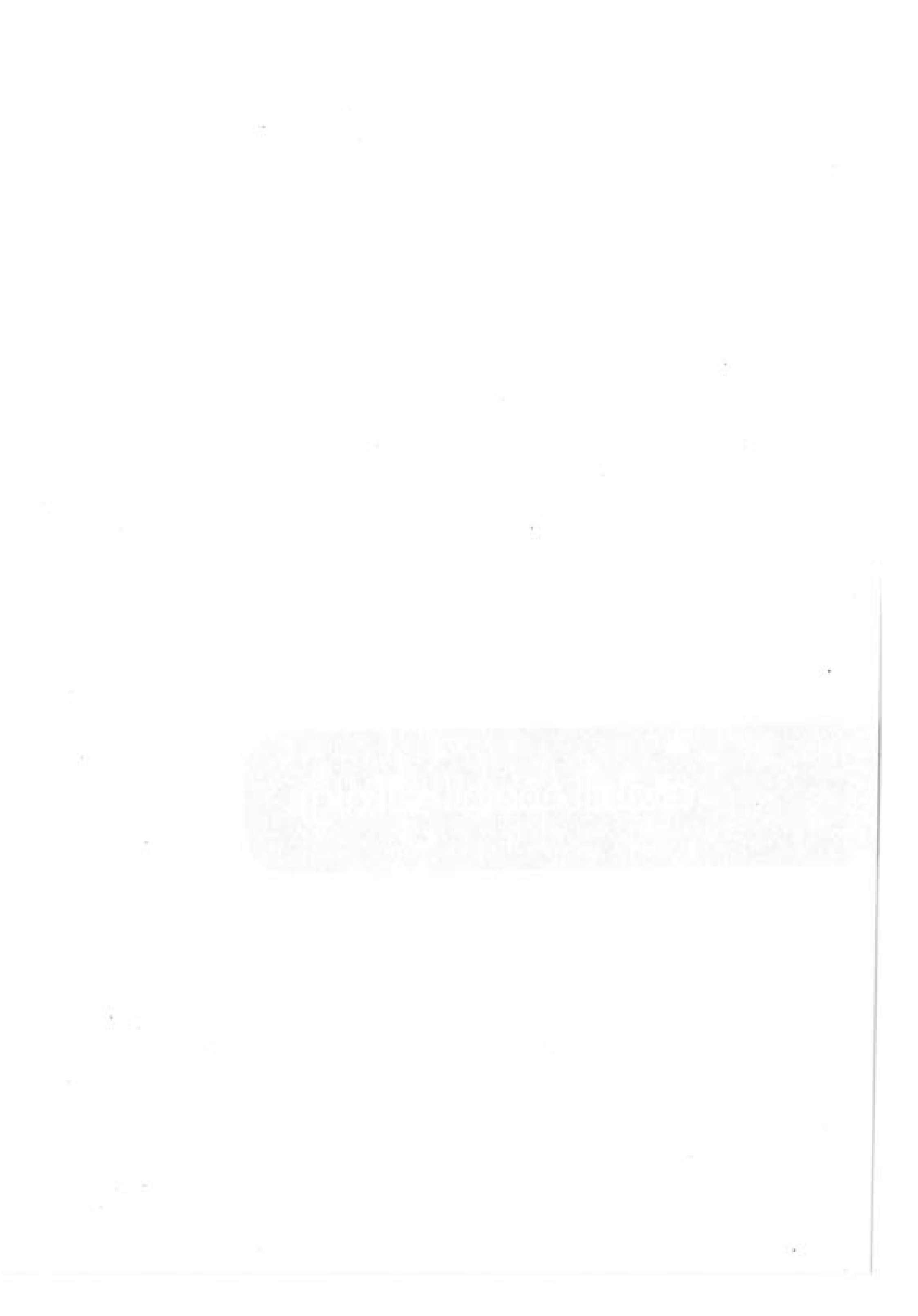
في البداية رفض السلطان عيدروس بنود الإتفاق، لكنه عاد ووافق عليها بعد أن انفرد به السلطان صالح وأقنعه على الموافقة.

تم الاتفاق على أن يكون العضوان المشاركان في مجلس السلطنة من أهل عفيف هما: الأمير غالب محسن (شقيق السلطان)،

والأمير حسين بن محمد ناصر، وبالنسبة لنائب السلطنة حل الأمير فضل بن عبدالله محسن (إبن شقيق السلطان)، بدلا عن الأمير محمد الذي لم يوافق على المقترح.

رشح السلطان عيدروس ولد أخيه، رغم صغر سنه كحل لموضوع رفض ولده لهذا المنصب، وقد استمر الأمير فضل في منصبه كنائب للسلطان حوالي عامين ونيف اعتبارا من عام ١٩٥٠م، وكان عمره حينها بحدود الثامنة عشر.

نزوله إلى المنطقة الساحلية



في فترة شبابه كانت له اندفاعات وتصرفات الشباب غير المحسوبة، فبعد الزيارة إلى (زارة) وفي نفس العام وصلت أخبار إلى (القارة) مفادها بأن النائب حسين بن عبدالله الفضلي يقوم بالبناء شرقي (حلمة)، ومن الواضح أن ذلك تم بعد توقيع اتفاقية الحدود مع مجلس السلطنة عام ١٩٤٧ م. وبينما كان يتسامر مع جلسائه حدثهم بنيته للنزول إلى المنطقة الساحلية وتهديم ما تم بناؤه.

رتب مايحتاجونه من مؤن وخاصة الذخيرة، وأرسل رسائل إلى بعض القبائل على الطريق إلى المنطقة الساحلية من مكتب كلد، وخرج فجراً دون علم والده، وكان يرافقه من أهل عفيف وزملاء السن المتقاربة، الأمراء: غالب أبوبكر غالب، عبدالرب محمد ناصر، حمود بن زين بن علي، زين بن حسين علي، عبدالله محسن، علي بن غالب سيف، محسن بن أحمد علي.

كان الشيخ علي عاطف الكلدي، شيخ مكتب كلد، وعضو مجلس السلطنة موجوداً حينها في (سرار) ومتجه إلى المنطقة الساحلية، فرافق الأمير محمد.

كما انظم إلى المتجهين إلى المنطقة الساحلية ما يقارب ثلاث مائة مسلح من القبائل التي كانت على طريق الأمير محمد، وهم من آل سعيد، والمناصر، وجلادي حمَة، وجرور حمَة.

وفي الحسوة من منطقة (حطاط)، وعلى بعد حوالي ساعتين مشيا على الأقدام من هدفهم، حطوا الرحال للنوم، ولحق بهم إلى نفس المكان رسول من السلطان عيدروس يطالبهم بالعودة فورا.. إلاَ أن الأمير محمد تجاهل أمر والده، وانطلق فجراً ومن

معه، ووصلوا إلى مكان البناء شرقي حلمة فوجدوه عبارة عن أساسات قاموا بتكسيرها، ثم اتجهوا بعدها إلى دار السلطان في الحصن (حجرة هاجرة) والمبني من الطين، والذي لا يزال قائما حتى الآن.

هذا العدد الكبير من المسلحين القادمين من المنطقة الجبلية إلى قرية الحصن الصغيرة، خلق جو غير عادي، وصل على إثره الضابط السياسي الإنجليزي(ألن) إلى دار السلطان، ولأنه أعور فقد كان يضع على عينيه نظارة سوداء باستمرار .

وقد خاطب الأمير محمد بلهجة قوية معبرا عن إستياء وغضب إدارته عما أرتكبه، واعتبر عمله عملاً متهوراً لاتقبل به الإدارة البريطانية التي باستطاعتها أن ترد عليه بدبابة واحدة وتهدم الدار الذي هو فيه .

كان رد الأمير محمد بنفس الحده، وبأن هذه بلاده وليس للانجليز الحق أن يملو عليه ماهو صح وماهو خطأ.. ونتيجة لإزدياد المهاترة بين الأمير محمد والضابط الإنجليزي، تدخل الشيخ علي عاطف والعاقل محمد شيخ بن هيثم واقترحا لقاءاً آخرا في اليوم التالي وفي منزل الضابط الإنجليزي في جعار.

اشترط الضابط الآنجليزي حضور عدد محدود من المرافقين يمكن التفاهم معهم. وبحكم كون الشيخ علي عاطف والعاقل محمد شيخ عضوين في مجلس السلطنة، فقد ساعدهما ذلك لأن يكونا وسيطين.. وقد حذرا الضابط الإنجليزي من عواقب المساس بالأمير محمد. كما أوعزا إلى رجال القبائل بالتوجه صباح اليوم التالي إلى جعار فرادى أو على شكل جماعات صغيرة غير ملفته للنظر، والتواجد على مسافات قريبة من منزل الضابط الإنجليزي، وذلك خشية الخديعة.

لم يكن الحديث في اليوم التالي بأفضل مما كان عليه الأمر في اليوم الأول، بل أن الأمر وصل بالأمير محمد إلى الإمساك بقبضة جنبيته، حينها تدخل الوسطاء وفضوا اللقاء دون تفاهم، وعاد الأمير محمد إلى المنطقة الجبلية من يافع بعد رحلة دامت حوالي ثلاثة عشرة يوما.

عند عودته إلى القارة أنَبه والده على مافعل بشدة، لأن ذلك كان يمكن أن يؤدي إلى نقض الاتفاق الذي تم في (زارة)، وإثارة الفتنة مع السلطنة الفضلية من جديد.

الأمير محمد نائبا لوالده



قام والي عدن (السير هيكين بوثم) بزيارة إلى القارة في النصف الأول من عام ١٩٥٢ م، في بداية فترة توليه لهذا المنصب، وكان يرافقه ستة مرافقين بالإضافة إلى طبيبه الخاص، وأحسن السلطان عيدروس وولده استقباله إلا أنه لم يكن مرحبا به من قبل رجال القبائل الذين حضروا بالالاف لاستقباله بناء على طلب السلطان.

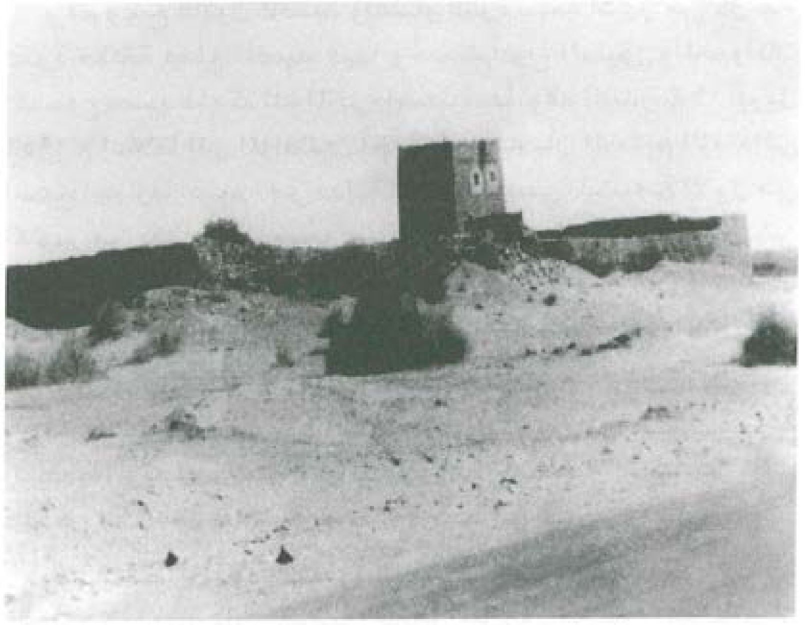
وفي تلك الزيارة أعاد المعتمد فتح موضوع تنصيب الأمير محمد نائبا لوالده ورئيسا لمجلس السلطنة. وقد تعهد بمساعدة النائب وتسهيل مهمته وعُرف لاحقا أن هذه التزكية كانت بناء على نصيحة من الضابط السياسي الإنجليزي من أصل إيرلندي والموصوف بسرعة البداهة وعدم الكلل في المتابعة (لاري هوبسن) الذي تعرف على الأمير محمد في زارة، ربما على اعتبار أنه يسهُل التفاهم مع الأمير الشاب أفضل من والده الذي يماطل ويتهرب من توقيع معاهدة الاستشارة وغيرها، كما طُرح على السلطان عيدروس أن يترك أمور إدارة المنطقة الساحلية من يافع لمجلس السلطنة برئاسة ولده وأن لايتدخل فيها ويركز عمله و اهتمامه بشؤون المنطقة الجبلية فقط.

السلطان صالح بن حسين العوذلي يعلل بأنه ما كان لوالي عدن أن يزور منطقة جبلية وعرة ومغلقة لا تصلها السيارات وفيها من المخاطر ما لا يمكن التنبؤ به لولا نية الوالي على إظهار اهتمامه بالأمير محمد.

هذه المرة وافق الأمير محمد على تقلد منصب النائب لوالده، وتوجه إلى الحصن حيث سكن في دار (القُفل) ثم انتقل إلى دار القلعة في جعار ومكث فيه حتى تم بناء منزله الجديد في جبل المنقاش في الحصن. وبدأ بممارسة مهام عمله اعتبارا من شهر يوليو ١٩٥٢م.

في بداية عمله أخذ بالتعرف على أعضاء مجلس السلطنة، وفتح لهم صدره. ونجحت جهوده في البداية لجعل أعضاء مجلس السلطنة يلتفون حوله بعد أن كانوا يتخوفون من ترؤسه لهذا المجلس ومن عودة والده الذي قد ينتقم منهم لدعمهم للإدارة البريطانية ضده .

كان كثير الطموح لمسألة تطوير منطقته وعلى قدر الإمكانيات المتاحة فقد عمل في ظرف فترة قصيرة على ضبط إيـرادات السلطنة التي تلاعب بها الفساد، وطرد بعض الموظفين عندما ضبطهم متلبسين، وقد كانت حادثة واحدة لعدة موظفين لكنها كانت عبرة كافية للبقية، وغير بعضهم ليتمكن من تنفيذ رؤيته الصارمة للتطوير والتحسين، ومن ضمن تلك التغييرات تعيين مدير بلدية جديد هو الملازم صالح عبدالقوي حسين، والذي استطاع تنفيذ الأنظمة البلدية بصرامة شديدة في مدينة جعار، حتى أصبحت منطقة سكانية نموذجية حينها من حيث التخطيط والتنظيم، والنظافة والرقابة الصحية، وتنظيم الأسواق، وتنظيم حركة المواصلات، وسلامة ركاب السيارات، وتحصيل الرسوم والغرامات وقد بلغ الأمر في سبيل إعادة تخطيط مدينة جعار بشكل نموذجي أن رُصد لهذا الأمر ميزانية لتعويض من يتطلب هدم كل أو بعض من عقاراتهم.



قلعة خنفر أو دار أحمد بن علي حيث سكن السلطان محمد أول فترة توليه النيابة

كما عمل على توطيد الانضباط الإداري وتحسين الأداء فيه واستبدال الموظفين غير الأكفاء ونقل السابقين إلى وظائف تناسب قدراتهم، وكان لايجامل ولايحابي أحداً حتى والده في هذا المسلك. كما كان يحضر الدوام في العمل بانضباط مبالغ فيه، فكان يذهب إلى مكتبه وينصرف منه في أوقات الدوام الرسمية في السلطنة.

العملية التعليمية والتأهيلية وتحسين مستوى القضاء الشرعي والعرفي كانت هواجس مهمة في نظره عمل على تنفيذ بعض طموحاته فيها، وبعضها ظل كدراسات لم ترى النور، مثل قانون تسجيل و تنظيم الملكيات الذي أعده القاضي منصور عبدالعزيز، والذي كان يعمل قاضيا شرعيا في جعار بعد هروبه من سطوة الإمام أحمد بعد مقتل الإمام يحيى.

وتم وضع قانون للصيد واعتبار فترة سبعة أشهر من كل عام فترة مغلقة يمنع الصيد فيها وحُددت أنواع الطيور والحيوانات المسموح بصيدها وكذلك المحرم اصطيادها، وقد اصدر في ١٩ أبريل ١٩٥٦ م إعلاناً إلى المواطنين أخطرهم فيه بأن التعليم الإبتدائي أصبح إجباريا إعتبارا من بداية العام الدراسي المبتدء في الأول من أكتوبر من نفس العام ويسري هذا الأمر على كل الأطفال بين سن السابعة والثانية عشر من العمر واستقدم العديد من المدرسين السودانيين وأسكنهم منزله الخاص في جعار لعدم وجود سكن آخر مناسب لهم حينها.

لجنة أبين التي رأى فيها الاقتصاد والتنمية والسياسة للسلطنة اليافعية، وكذلك السلام والتقارب مع السلطنة الفضلية كانت هاجس مهم آخر بالنسبة للنائب محمد بن عيدروس.

وقد لاحظ أن الإدارة البريطانية قد جعلت هذه اللجنة وسيلة وغطاء للهيمنه على المنطقة، بينما النائب ومجلس السلطنة لا يمثل أكثر من واجهة اجتماعية. كما وجد أن ليس لأعضاء المجلس أي تطلعات وطنية عدا الاحتياجات الآنية والإدارية الروتينية.

وكانت لديه استقلالية شديدة تجعل أعضاء المجلس لا يجارونه عليها كلما نحا في هذا الاتجاه.

بعد حوالي أربعة أشهر من تسلمه منصب النيابة ورئاسة مجلس السلطنة بدأ يُنضم اجتماعات المجلس وجعل له محاضر جلسات منظمة وسُجل أول محضر اجتماع في ٤ ديسمبر ١٩٥٢م.

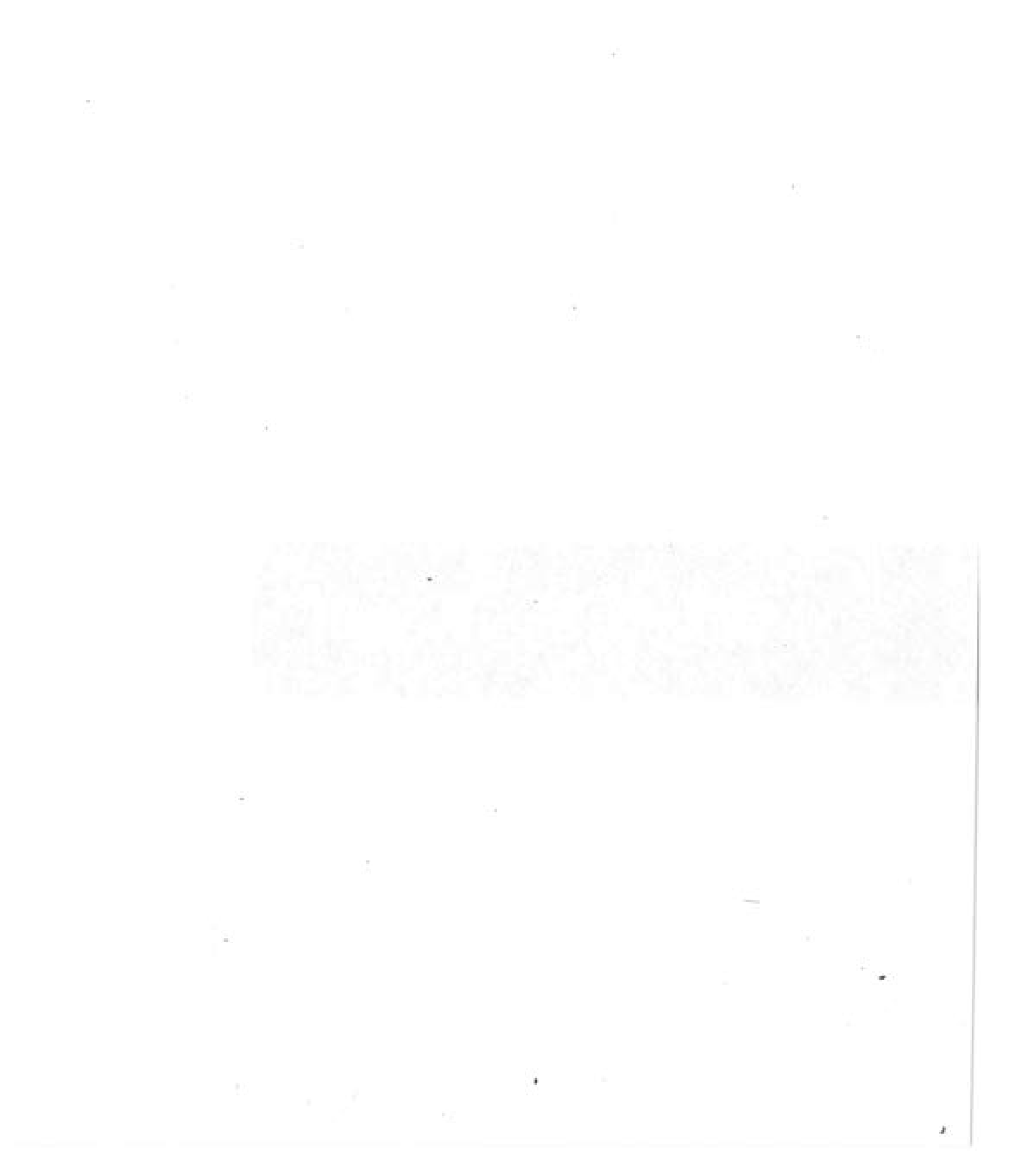
وبحكم تواجده في المنطقة الساحلية من يافع بعد توليه نيابة السلطنة. فقد تم له التواصل مع السلطان حسين بن عبدالله الفضلي ونائبه أحمد بن عبدالله الفضلي، وأنهى بذلك ماتبقى من حساسيات الخلاف والفتنة بين السلطنتين والتي كانت تؤرّق سلاطين الجانبين.

وقد حدث قبلها بسنين عديدة أن التقى السلطان عيدروس والسلطان عبدالقادر بن أحمد الفضلي في عدن وساد لقاءهما النوايا الحسنة والمصارحة، حتى أن السلطان عبدالقادر تساءل عن فائدة تلك الفتنة على الطرفين. وهناك من تشكك بأمر وفاة السلطان عبدالقادر وعزاه إلى الإدارة البريطانية التي ربما ما كانت ترغب في تقارب الطرفين وإصلاح ذات البين بمعزل عن إرادتها.

حضر الأمير محمد أول إجتماع له في لجنة أبين كمستمع في الجلسة المنعقدة في ١١ أغسطس ١٩٥٢ م، وكان يترأس الاجتماع المعتمد البريطاني (كندي تري فاسكس) وبحضور ضابط الزراعة في محميات عدن (براين هرتلي)، ومساعد الضابط السياسي (لاري هوبسن).

مما يجدر ذكره أن لجنة أبين كانت تحتسب ١٧ في المئة من صافي عائدات القطن كعائد للجنة، بينما الضريبة المخصصة لكل من السلطنتين كانت ٣ في المائة. وكان جزء من عائد اللجنة يمول بعض مشاريع الإدارة البريطانية التي تخدم مصالحها في المحميات الأخرى، وبعض مساكن مساعدي المستشار الأول (الضباط السياسيين) في جعار وزنجبار بنيت وأثثت على حساب لجنة أبين.

الثورة المصرية وتأثره بها



كما هو الحال عند معظم الشباب العربي، كان لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، المصرية تأثير كبير في الإرتقاء بمشاعره الوطنية، فكانت بمثابة بنزين يصب على نار متقدة أصلا، فزاد من اشتعالها، ووافقت تلك الفترة سن الشباب عند الأمير محمد.

رأى في جمال عبدالناصر القائد والقدوة، ووضع صورته في صدر مجلسه في القارة، و كان شديد المتابعة لأخبار الثورة المصرية، وما تبثه عن الحركات التحررية في العالم ضد الإستعمار، بالإضافة إلى التعليقات السياسية التي كان يقدمها أحمد سعيد وجلال معوض من إذاعة صوت العرب من القاهرة.

لقد عمل تأثير الثورة المصرية على تعجيل وتيرة الخلاف بينه وبين الإدارة البريطانية وزاد من تسارعها، وعمل على تواصله مع من يشاركونه نفس الهموم الوطنية والقومية أمثال: قحطان الشعبي ومحمد و عبدالله علي الجفري من حزب رابطة أبناء الجنوب العربي، والأستاذ محمد عبده نعمان من منظمة العاصفة، وعلي حسين القاضي من نقابة العمال، وعبدالله عبد المجيد الأصنج ومحمد سالم باسندوه ومحمد سالم علي عبده من حزب الشعب الاشتراكي[٥]، والعديد من رؤساء وأعضاء الأندية التي تعمل في الاتجاه السياسي.

وقد قدم الدعم المادي للرابطة دون أن يكون عضوا فيها، كما قدم الغطاء والحماية لأعضائها الذين كانوا يبثون الروح الوطنية والدعوة إلى الإستقلال بين المواطنين.

---

٥ أعلن قيامه لاحقا عام ١٩٦٢ م

كان معظم من يعمل بالسياسة ويطالب الإنجليز بمنح الاستقلال لعدن والمحميات الغربية والشرقية له إنتمائات أو ارتباطات سياسية خارج الوطن، بينما الأمير محمد كان يعتقد أن أي دعم أو مساعدة من الخارج وعلى وجه الخصوص من الدول العربية يجب أن تأتي بدافع ديني وقومي لا أكثر.

بداية المواجهة
مع الادارة البريطانية



الإحساس الوطني والنزعة الاستقلالية، كانتا وراء كل خلافاته مع الإدارة البريطانية، هذا من ناحية الدافع. أما مواضيع الخلاف فقد كانت متعددة، تبدأ بتدخل الإدارة البريطانية في شؤون السلطنة وفرض املاءاتها، إلى التعارض مع الحس القومي والتعاطف مع الثورة المصرية، إلى فرض الوصاية بعدم الاتصال بالدول الأجنبية، إلى عدم الارتياح عن اتصالات ولقاءات الأمير محمد بالأحزاب والنقابات والأندية والشخصيات في عدن والتي تطالب بالاستقلال، إلى رفضه المطلق لفكرة إقامة الاتحاد بين محميات الجنوب العربي بالصورة التي ترغب فيها الإدارة البريطانية، وانتهاء بتحديه لما هومحضور وأيضا مطالبته برحيل الإنجليز من أرض الجنوب العربي.

ورغم قبوله مجبراً حضور عدد من الضباط السياسيين الإنجليز والعرب لاجتماعات مجلس السلطنة إلا أنه كان يعترض ويرفض تدخلاتهم لتعطيل ما لا يريدونه من القرارات، أو محاولات تمرير ما يريدونه عبر المجلس بدعم من بعض أصدقائهم فيه.

بدأ يفكر في كيفية كف يد الإنجليز عن لجنة أبين الزراعية، وكانت البداية أن أوعز إلى صالح عبداللاه البادع الذي كان عضوا في حزب الرابطة، وعلى علاقة قوية به ومتحدث قوي الكلمة، أوعز إليه أن يعمل على تكوين جمعية المزارعين في الحصن، وكان تكوين مثل تلك الجمعية يتطلب موافقة مجلس السلطنة.

قُدم طلب التصريح، ونُظر فيه في الجلسة المنعقدة في تاريخ ٢٦ فبراير ١٩٥٣ م. وافق المجلس مبدئيا على تكوينها، وفوض الأمير محمد بأن يطلب من الهيئة التأسيسية تفاصيل أكثر عن أهدافها.

أعترض الضباط الإنجليز وأصدقاؤهم في المجلس لاحقاً على منح التصريح لها، حيث صنفوها بأنها جمعية سياسية، بينما أصر الأمير محمد على منحها الترخيص باعتبارها حق من حقوق المزارعين.

لاحقا قبل المجلس منح الترخيص تحت إصرار رئيسه ولكن بشروط عدم تدخلها بأمور السياسة الداخلية والخارجية، وعدم تدخلها بشؤون السلطنة و أوامرها وأعمالها، وأن تلتزم الهيئة الإدارية للجمعية بتقديم كشف مالي كل سنة إلى نائب السلطنة، وأنه متى ما خرجت الجمعية عن هذه الشروط فسيلغى التصريح.

تم ذلك بعد عودة الأمير محمد من لندن وفي جلسة مجلس السلطنة المنعقدة بتاريخ ٨ يوليو ١٩٥٣م.

الجدير بالذكر أنه كان يحضر جلسات المجلس من اثنين إلى ثلاثة من الضباط السياسيين الإنجليز والعرب من خارج السلطنة، وذلك وضع كان مفروضاً على السلطنة اليافعية ولايوجد شبيه له في السلطنات الأخرى، ويترأس المجلس ويوقع على محاضره نائب السلطنة الذي كان حينها الأمير محمد.

في نفس العام وفي تاريخ ٢ يونيو أُقيم حفل تتويج الملكة (اليزبث الثانية)، وبناءً على الدعوات الموجهة لسلاطين ومشائخ سلطنات ومشيخات الجنوب العربي وبعض الشخصيات من عدن، سافر الأمير محمد إلى لندن، وكان برفقته السلطان صالح بن حسين العوذلي والسلطان حسين بن علي الكثيري، أما بقية الوفد والمكون من: السلطان علي عبدالكريم والنائب حسين بن عبدالله الفضلي وعبدالجواد حسن علي وزوجته و جوشي وزوجته فقد سافروا برحلات أخرى، كان في وداع الأمير محمد ومرافقيه المعتمد البريطاني كندي تريفاسكس والسلطان عيدروس، و في مطار القاهرة تم استقبالهم من قبل أحد ضباط الثورة في مصر ومشرف الطلبة الحضارم هناك.

عند وصولهم مطار (هيثرو) في لندن كان في استقبالهم مساعد المستشار السياسي لمحمية عدن (لاري هوبسن) والذي انتهت فترة عمله في السلطنة اليافعية وغادر إلى بلاده ثم عاد إلى عدن لاحقاً ليعمل كمستشار للمعتمد البريطاني فيها، وكان على علاقة طيبة بالأمير محمد تصل إلى حد الصداقة، في لندن مكث الوفد في فندق(أمبريال هوتل) IMPERIAL HOTEL الواقع في منطقة (رسل سكوير) RUSSELL SQUARE، وبعد حضورحفل التتويج رتبت للوفدزيارات إلى العديد من المعالم في بريطانيا، وكانت فترة الزيارة الرسمية حوالي عشرة أيام.

استغل وجوده في لندن وأخذ فكرة مبدئية عن أسعار القطن، كما مر عند عودته بالسودان و اطلع على أنواع القطن المصدر و أسعاره، ويبدو أنه اطلع صالح عبداللاه البادع على تلك الأسعار، لذلك بدأت الجمعية أعمالها بالمطالبة بزيادة أسعار القطن والإطلاع على الأسعار العالمية له.

عملت الإدارة البريطانية من خلال أصدقائها على التشكيك في جدوى جمعية المزارعين، ونجحت بإقناع بعض مواطني المحميات الأخرى من الذين يعيشون في أراضي السلطنة اليافعية ويعملون في مجال الزراعة على عدم الانظمام إليها، كما رفضوا من خلال أصدقائهم وممثليهم في مجلس السلطنة الترخيص لجمعية مماثلة في جعار.



السلطان محمد بن عيدروس في احتفال تتويج ملكة بريطانيا

كان الأمير محمد على اتصال وتنسيق مع قحطان الشعبي الذي كان عضواً في حزب الرابطة ومدير الانعاش الزراعي في سلطنة لحج، وكذلك محمد و عبدالله علي الجفري، وكانت أكثر لقاءاتهم تتم في عدن، كما كان على اتصال مستمر مع قيادات الأحزاب والحركات والنوادي في عدن كما ذكرنا، وقد شجع وقدم التسهيلات للمفوهين من أعضاء الرابطة للتحدث في الهموم الوطنية في المجالس والنوادي في المنطقة الساحلية من يافع وتم دفعهم أيضا إلى مدينة زنجبار من السلطنة الفضلية.

يوم الثلاثاء ٢٧ أبريل ١٩٥٤م قامت ملكة بريطانيا بزيارة لعدن، وقبل وصولها تم عمل بروفة على كيفية تحية الملكة وتقديم فروض الإحترام لها، واستدعيت كل الشخصيات التي كانت حسب برنامج الحفل ستقوم بالتحية قبل الجلوس على المقاعد المخصصة، رفض السلاطين والأمراء موضوع الإنحناء أمام الملكة عندما عُرض الأمر على المدعوين الذين يفترض بأن يقوموا بالسلام عليها كما هو حال الإنجليز عند السلام على ملكتهم، لذلك عمد منظمي الحفل إلى الحيلة للخروج من المأزق فوضعوا أعمدة وحبال قبالة مقعد الملكة ليجعلوا المتقدم لتحية الملكة ينحني إنحناءة خفيفة بقصد المرور من تحت الحبل فيحقق غرضهم، لكن عندما أتى دور الأمير محمد أخرج جنبيته وقطع الحبل ومر دون إنحناء.

قبل زيارة الملكة وفي يوم الخميس ٧ يناير من نفس العام، أحيت الإدارة البريطانية فكرة إنشاء الاتحاد الفدرالي بين ما كان يسمى محميات الجنوب العربي، والذي سبق أن طرحت فكرته عام ١٩٢٥م، ودعت السلاطين إلى اجتماع لذلك الغرض.

لم يُعرض دستور ذلك الإتحاد إلاّ على السلطان علي عبدالكريم باعتبار أن الإدارة البريطانية كانت تعتبر سلاطين لحج مستشارين

لشؤون المحميات كما أسلفنا، و طلب السلاطين من السلطان علي عبدالكريم أن يرد على هذا الطرح، فوجد نفسه في وضع محرج أمام الطرفين، لذلك رشح السلطان عيدروس بن محسن العفيفي بدلا عنه، للرد باعتباره الأكبر سنا، والذي لم يتردد في رفض فكرة الاتحاد وبالمفهوم الذي تضعه الإدارة البريطانية كما روى ذلك السلطان علي عبدالكريم نفسه.

تحدث بقية السلاطين والمشائخ بعد رد السلطان عيدروس فكانوا بين من يطلب إيضاحاً أكثر عن ذلك الإتحاد وبين من يرفضه بشكل موارب، اختتم السلطان علي عبدالكريم ذلك الإجتماع بمطالبة (السير توم هيكنبوثم) باعطاء مزيد من الوقت لدراسة مشروع الاتحاد الفدرالي.

وخرجت الصحف اليومية في عدن بعد ذلك لتقول أن هناك قبولاً مبدئياً وأن المشروع يتطلب المزيد من الوقت و الدراسة كما طلب بعض حكام المحميات.

بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية لم يعد إنتاج المحاصيل الغذائية يحتل المكانة الأولى بالاهتمام، لذلك تم إدخال زراعة القطن المصري طويل التيلة، وكونت هيئة عرفت بلجنة أبين لتدير كامل المشروع الزراعي، وقد قدمت الحكومة البريطانية قرضاً بمبلغ مائتين وسبعين ألف جنيه استرليني لإقامة ذلك المشروع.

إدارة اللجنة كانت مسؤولة عن مكافحة الأمراض الزراعية وامتلكت وشغلت المعدات الزراعية الضرورية للعمل في الأرض، كما امتلكت وشغلت محلجين للقطن، وتحكمت بتوزيع مياه السيول من خلال قنوات ومعابر الري، وكانت مسؤولة عن تسويق وشحن محصول القطن.

كانت اللجنة تُدار من قبل المعتمد البريطاني أو من ينوبه وقيادتها الإدارية وبعض موظفيها من الإنجليز وبعضهم الآخر من الأوروبيين، النائب محمد بن عيدروس أقنع النائب أحمد بن عبدالله الفضلي على ترأس اللجنة بينهم بالتناوب بدلاً من ترؤسها من قبل المعتمد أو من ينوبه من المسؤولين الإنجليز، وأن يسعوا إلى إحلال موظفين عرب بدلا من الإنجليز.

هذا الأمر لم يلق قبولا من الإدارة البريطانية التي رأت أن سبب تلك المطالب اعتقاد إدارتي السلطنتين الخاطئ بأنهم قد أصبحوا يعرفون كل شيء عن زراعة ذلك المحصول المتميز بالنوعية العالية، واتجاه السلطنتين وكذلك المزارعين نحو الغنى والتخمة غير المتعود عليهما، بالإضافة إلى انتشار الروح الوطنية في الشرق الأوسط بسبب (الشعارات) المناهضة للبريطانيين التي كانت تذاع من مصر[٦].

جرت العديد من المحاولات من قبل المعتمد البريطاني ومدير الزراعة في المحمية الغربية ووالي عدن لثني السلطان محمد عن توجهه لمعرفتهم بأنه كان وراء تلك التوجهات نحو إدارة اللجنة لكن محاولاتهم لم تنجح و كانوا يتهمون الجانب اليافعي بالذات بالعناد.

عرضوا العديد من المقترحات لحل الأشكال القائم لكنها جميعها رُفضت، وفي الأخير تقدمت الإدارة البريطانية بمقترح اعتقدوا أنه يتناسب مع الظروف السياسية المتسارعة، وقد منحوا السلطنتين سلطات كبيرة على لجنة أبين مع إبقاء حق الإدارة البريطانية الأساسي للتدخل في حالات الطوارئ، مثل إيقاف التعطيل الذي قد ينشأ نتيجة لأي خلاف بين السلطنتين أو نتيجة لسوء إدارة اللجنة بافتراض عدم وجود الكفاءة والاقتدار على إدارتها.

---

٦ من كتاب عدن للسير توم هيكنبوثم

كان المقترح الأخير قد قدمه الوالي (السير هيكن بوثم) وقبل به النائب أحمد بن عبدالله، الاّ أن الأمير محمد رفض الموافقة على إعطاء الصلاحية للتدخل في الحالات الضرورية والتي حُددت في المقترح وظل يصر على أن مجلس السلطنة اليافعية الذي هو رئيسه غير جاهز للموافقة على المقترح.

وتحرك والي عدن إلى أبين لإقناع الطرفين بعد فشل المعتمد البريطاني (كندي تريفسكس) إلا أن الأمير محمد ظل متمسكاً برأيه بقوة[٧].

الإدارة البريطانية رفعت يدها مجبرة وربما لبعض الوقت حتى تجد مدخلاً لهذا الموضوع من جديد.

ومما زاد من تمسك الأمير محمد برأيه ماجرى عندما تقدمت لجنة أبين ولجنة لحج بطلب قروض من البنك في عدن، فمنح البنك لجنة لحج طلبها دون طلب ضمان رهن محلجها مقابل القرض، لأن وديعتها في البنك تغطي مبلغ القرض، بينما طُلب من لجنة أبين رهن الضمان، مع العلم أن محلج القطن في لحج أنشئ بعد محلج لجنة أبين (عام ١٩٥٤ م) وبقرض قدره مليون شلن من لجنة أبين وأعيد تسديده في سنة واحدة بدلاً من ثلاث سنوات ولجنة أبين أكبر من لجنة لحج ويصدر قطن الاثنتين تحت مسمى لجنة أبين (أبين بورد) وهذا الأمر أثار شكوك الأمير محمد حول التصرف بأموال لجنة أبين. كما أنه لاحظ الزيادة فيما يحصل عليه المزارعون في سلطنة لحج ثمنا للرطل الواحد من قطنهم، وقارنه بما كان يحصل عليه أقرانهم في السلطنتين اليافعية والفضلية، وخلص إلى الأسباب وراء ذلك.

---

٧ حسب ماأوردة هيكنبوثم نفسه في كتابة

لم تكن شكوك الأمير محمد في غير محلها، فكندي تريفاسكس يروي أنه كان يعتقد أن الثروة التي حصلت عليها السلطنتين اليافعية والفضلية من القطن يجب أن توظف - لأغراض الإدارة البريطانية - لتطوير المحميات الأخرى، فكون لجنة أسماها لجنة التطوير لتعمل على تغيير إدارة برنامج قطن أبين إلى سلطة تطوير لتمويل المشاريع في أنحاء المحميات الغربية.

وقد تم تمويل برنامج القطن في العوالق السفلى وإقامة برنامج آخر في دثينة وثالث في منطقة العواذل ورابع في المنطقة الشرقية من السلطنة الفضلية.

حاول الأمير محمد القيام بزيارة سرية إلى تعز للالتقاء بالإمام أحمد، وقد اتجه إلى الحوطة مع الأمير زين بن حسين العفيفي وصالح عبدالقوي حسين، على أن يلحق بهما إلى هناك العاقل محسن حسن منصري والعاقل بالليل الرهوي عضوا مجلس السلطنة.

وفي الحوطة أقام في منزل صالح بن محمد علي هرهرة، الذي يبدو أنه قام بإخطار السلطان علي عبد الكريم بذلك، والذي استلم بدوره رسالة من المعتمد البريطاني يطالبه فيها بأن يثني محمد بن عيدروس عن هدفه.

على إثر ذلك قام الضابط السياسي ومعه مفرزة مما كان يسمى بالحرس الحكومي التي كانت متمركزة في (باجدار) من السلطنة الفضلية بالتوجه إلى جعار والحصن والتمركز فيهما.

رواية (السير هيكن بوثم) تختلف عما رواه بعض المعاصرين (كما سبق ذكره)، فقد كتب: أن السلطان عيدروس فجأة فقد مزاجه و أمر بسجن ولده محمد وبعض أعضاء مجلس السلطنة، ثم أفرج عنهم في اليوم التالي دون أن يُعرف السبب، مما جعل هؤلاء وبقيادة الأمير محمد يتوجهون إلى لحج بسياراتهم، ثم

فكروا بعد ذلك بشكل أفضل وقرروا العودة لممارسة أعمالهم بعد أن كانوا قد رفضوا ذلك احتجاجا على ما جرى عليهم، وأرسلت مفرزة الجنود مع الضابط السياسي لملء الفراغ وحفظ الأمن كما يجب عليه الحال عندما يغادر المجلس بقيادة رئيس الوزراء خارج بلدهم وبرغبتهم.

ويبدو أن (السير هيكن بوثم) قد خلط بين هذه الحادثة وحادثة أخرى حدثت نهاية عام ١٩٥٧م سيرد ذكرها لاحقاً.

هذه الحادثة أدت إلى التعارف بين الأمير محمد والسلطان علي عبدالكريم، الذي خلف أخاه فضل عبدالكريم على السلطنة العبدلية في نفس العام ونفس الشهر الذي تولى فيه الأمير محمد نيابة سلطنة يافع بني قاصد.

السلطان علي عبدالكريم نفسه كان يعاني من تدخلات الإدارة البريطانية في شؤون السلطنة العبدلية بشكل لم يكن معهوداً في زمن والده وذلك لاعتقاد الإنجليز في البداية أنه متأثر بالحركة القومية في العراق في مطلع الأربعينيات، ثم بالثورة المصرية بعد قيامها.

وكان السلطان علي يدعم حزب الرابطة منذ بداية تكوينه عام ١٩٤٨ م قبل الإعلان الرسمي الذي تم عام ١٩٥١م إلا أنه لم يكن عضوا فيه إلا عام ١٩٥٨ م بعد أن غادر لحج - هربا من محاولة الإدارة البريطانية لاعتقاله- متجها إلى لندن ثم إلى القاهرة.

الشكوك التي أوردناها سابقا والتي راودت الأمير محمد حول التصرف بأموال لجنة أبين جعلته يكثف الاتصالات مع السلطنة العبدلية ومسؤولي الزراعة فيها و أبرزهم قحطان الشعبي الذي كان يعمل كمنتدب من إدارة المعتمد البريطاني ليشغل مدير الانعاش

الزراعي في لحج، وكانت تتم مناقشة الأمور التي تهم الزراعة واللجنتين، وتقرر في أحد تلك الاجتماعات العمل على ترتيب زيارة إلى بريطانيا للاطلاع على الأمور المتعلقة بأسعار القطن وطرق تسويقه.

وبسبب ازدياد تلك المطالبة من قبل أكثر من جهة في لحج و أبين ويقود هذه المطالبة الأمير محمد وبعض أعضاء الرابطة، فقد رتبت الإدارة البريطانية زيارة لوفد من الثلاث السلطنات إلى لندن ومانشيستر و ليفربول بغرض الاطلاع على أسعار القطن وطرق تسويقه بالإضافة إلى الاطلاع على محالج القطن ومصانع النسيج فيها، وتم لهم ذلك، وكان الوفد مكون من الأمير محمد بن عيدروس، والعاقل با لليل الرهوي من سلطنة يافع، والنائب أحمد بن عبدالله الفضلي، وأحمدمحمد زوقري عن سلطنة الفضلي، وقحطان محمد الشعبي، و عبدالله علي الجفري وسالم الصافي من سلطنة لحج.

كان معظم الوفد يعتقد أن الزيارة لغرض الاطّلاع، إلاّ ثلاثة منهم كان لهم هدف محدد بالإضافة إلى الاطّلاع .

الإدارة البريطانية كانت تعتقد أن هذه الزيارة ستكون مفيدة لحل الإشكالات الحاصلة بسبب لجنة أبين وضغط المد القومي (لأن تغيير الأجواء والمناظر سيصلح حال أعضاء البعثة، وسريعا ستنشغل عقول أولئك الذين لم يسافروا إلى الغرب من قبل بكيفية وضع أزرار بنطلوناتهم وما إذا كانت القمصان تلبس من داخل أو خارج البنطلون) بحسب ما كتبه والي عدن السير هيكن بوثم.

تمت مغادرة الوفد في ٩ ديسمبر عام ١٩٥٥م، وقد رافقهم في هذه الزيارة مدير الزراعة للمحمية الغربية (براين هرتلي) وكان في استقبالهم الميجر (كندن)، الذي سبق الوفد إلى لندن لوضع برنامج الزيارة.. وقبل التوجه إلى بريطانيا، حذرت الإدارة البريطانية الأمير محمد من زيارة مصر، وكأنهم أحسوا بنواياه.

كان أول اجتماع للوفد في ١٤ ديسمبر ١٩٥٥م وفي مبنى وزارة التجارة في لندن، وذلك مع ممثلي شركة القطن الخام، المستر جاكسن والمستر مكاي.

أسعار القطن التي أعطيت للمزارعين في الموسم السابق كانت منخفضة وتوقع ممثلوا الشركة استمرار الإنخفاض للعام أو للأعوام القادمة، وبرروا ذلك بأن نوع قطن (أبين بورد) هو تقريبا نفس نوع قطن السودان، والسودان تنتج كميات كبيرة منه وبما أن السودان الذي نال استقلاله حديثا يحتاج إلى المال، فالمتوقع أن يُباع قطنه بأسعار مخفضة وهو ماحدث في العام الماضي، كما أن الفائض من قطن أمريكا من الموسم المنصرم والمقدر بحوالي عشرة مليون بالة سيؤثر أيضاً في نفس الاتجاه باعتبار قانون العرض والطلب.



السلطان محمد الرابع من اليمين كما يظهر في الصورة قحطان الشعبي
الصورة التقطت في إحدى زياراتهم لمحالج القطن في بريطانيا

زار الوفد ليفربول يومي ١٥، ١٦ ديسمبر، ثم زار مصانع الغزل في منشيستر التي تشتري معظم قطن (أبين بورد) يوم ١٧ ديسمبر، وعاد إلى لندن يوم ١٨ وأبلغوا شركة القطن الخام بردهم المكون من أربع نقاط، وذلك عبر المرافق الميجر (كندن)، وتشتمل على: أن الحد الأعلى لخفض الأسعار من قبل الشركة يجب أن لا يزيد عن ١٠ ٪ من السعر المقترح بدلاً من ٢٠ ٪ ، واشترط على الشركة في حالة إرتفاع الأسعار بأن تدفع السعر الفعلي وليس ما زاد على ٢٠ ٪ من السعر المقترح كما كانت تنص عليه الاتفاقية بين الشركة ولجنة أبين، و أن على الشركة تزويد لجنتي ابين ولحج بالأسعار العالمية الحقيقية فترة بيع القطن، و أن عليها في حالة الموافقة على شروط الوفد أن تؤكد على ذلك كتابياً.. وفعلا تمت موافقة الشركة على ذلك.

حسب الاتفاقية التي كانت مبرمة بين الشركة ولجنة أبين فإنه يتم في كل عام وفي شهر أكتوبر أن تقدم الشركة أسعار مقترحة للقطن لذلك العام، بعد أن تكون قد حصُلت على توقعات الأسعار من بورصة لندن، فتضع السعر المناسب لها مع حماية قدرها٢٠ ٪ زيادة أو نقصان.

شعر المستقبلون الإنجليز للوفد بالحرج من وجود فارق كبير في السعر بين ما يعطى للمزارعين وبين ما تدفعه الشركات المشترية حسب ما أوضحه لهم بعض أعضاء الوفد، تتبع أصحاب الهدف من الزيارة هذا الأمر حتى عرفوا أن هذا الفارق يذهب للجنة تسمى لجنة عمولة القطن الخام أو شركة بيع القطن الخام المذكورة أعلاه و تعمل كوسيط بين لجنة أبين والشركات المشترية وقد تمت المحادثات معها.

قام نشطاء الوفد بعد الاطلاع على الأسعار والتوقعات و أهمية نوعية قطن (أبين بورد) بإعادة صياغة بعض بنود الاتفاق مع لجنة أبين إلى حين إنتهاء فترة العقد مع هذه الشركة عام ١٩٥٧ م وقد نجحوا في ذلك كما ورد أعلاه، وقيل لهم أنه من الضروري أن يكون لهم على الأقل مكتب تابع للجنة أبين يقوم بعملية تسويق القطن للشركات المشترية في بريطانيا بعد ذلك التاريخ.

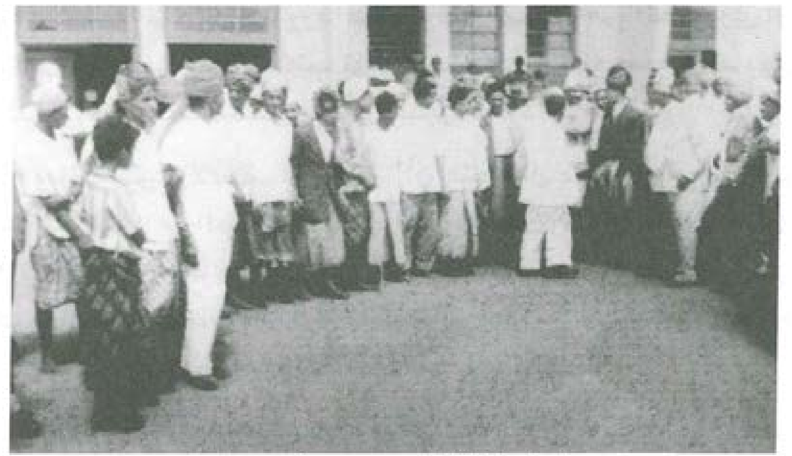
وبالتقصي والاستفسار وجدوا أن فتح مثل ذلك المكتب سيكلف تشغيله سنويا مع الضرائب بحدود مئة وخمسين ألف جنيه استرليني، فاقتنعوا بعدم الحاجة للمكتب أو للجنة العمولة، و أن القطن سيعُرض للبيع على الشركات الراغبة محلوجاً جاهزاً في ميناء عدن بنظام (فوب) على أن ينسق هذه العمليات سمسار متخصص.

حاولة لجنة العمولة رشوة بعض أعضاء الوفد لإقناع الأمير محمد والشخصين الآخرين من أعضاء الوفد بالتخلي عن إصرارهم لتعديل بنود الاتفاق المبرم بين الشركة ولجنة أبين، فكان رد الأمير محمد ورفيقيه غير مساوم.

عاد الوفد متجها إلى عدن، وفي الخرطوم توقف الأمير محمد ومعه العاقل بالليل الرهوي وتوجه منها إلى مصر بينما واصل بقية الوفد رحلته إلى عدن.

حل الأمير محمد ومرافقه في فندق بشارع ٢٣ يوليو، ووافق تواجدهم تواجد الأمير محمد البدر في فندق مجاور في نفس الشارع. وقد تواصل مع وزارة الخارجية المصرية في عهد وزيرها حينئذ السيد محمد فوزي، وطلب مساعدة مصر بتوفير مدرسين مصريين لمدارس السلطنة. تم الترحيب بالطلب على أن يتم ذلك بعد تحديد العدد والمواد المطلوب تدريسها.

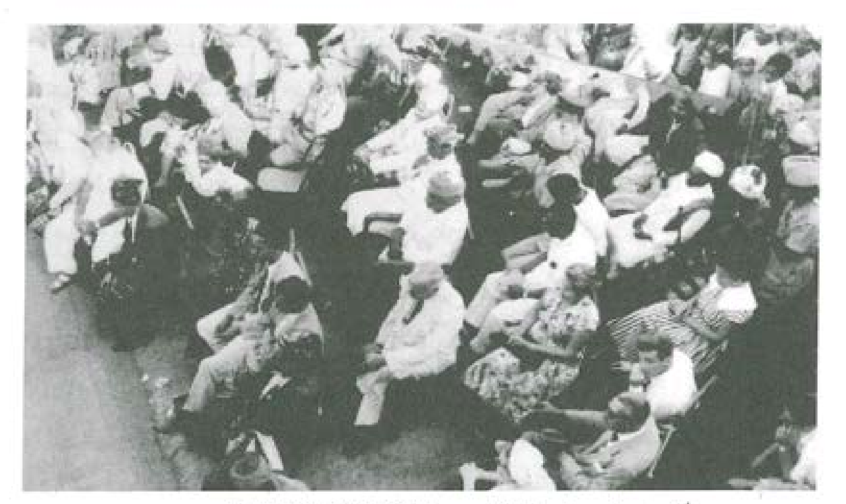
ضن الأمير محمد أنه بزيارته تلك لمصر قد خلق خط تواصل معها وسيكون ذلك عاملاً مسانداً لتحقيق تطلعاته خاصة في الجانب التعليمي.



استقبال السلطان محمد بمطار عدن



السلطان محمد يصافح مستقبليه من المواطنين



جانب من حضور الشخصيات لاحتفال الاستقبال



صورة من طعام العشاء بمناسبة قدومه من لندن وفي منزله

عاد الأمير محمد إلى عدن وكان في استقباله في المطار عدد كبير من أصدقائه و حلفائه وبعض المسئولين الإنجليز، ثم توجه إلى جعار، حيث أُستقبل استقبال الفاتحين وشهدت جعار مهرجان احتفالياً خطابياً لم تشهده من قبل، فقد وصلت أنباء ما حققه الأمير محمد من مكاسب للمزارعين مع من سبقوه من الوفد.

حصل المزارعون عامَ ١٩٥٦م عنِ موسم ١٩٥٥م على ٣٦ فلسا للرطل من الأرباح بدلاً من ١٨ فلساً، بالإضافة إلى تسعة فلسات أرباح للرطل من البرعم كانوا لايحصلون عليها من قبل.. والجدير بالذكر هنا أن أول أرباح صرفت للمزارعين كانت عام ١٩٥٤م عن محصول عام ١٩٥٣م.

الجدير ذكره أيضاً أن الأمير محمد لم يعد يوقع على محاضر الجلسات لمجلس السلطنة اعتبارا من الجلسة المنعقدة في ٩ سبتمبر ١٩٥٤م بسبب ازدياد خلافه مع الإدارة البريطانية و أصدقائها في مجلس السلطنة .

بسبب تلك الزيارة ونتائجها، ازدادت شعبية الأمير محمد عند المواطنين حتى في المناطق المجاورة. وبالمقابل ازداد هبوط رصيده لدى الإدارة البريطانية. فقد أصبحت ترى فيه أكثر من مزعج، فإلى جانب إثارته حفيظة نفوس المواطنين ضد أعمال الإنجليز، أصبح يتصل بدول أجنبية، وهو أمر من المحضورات حسب الاتفاقيات المبرمة بين الإدارة البريطانية وسلطنات ومشيخات الجنوب العربي، على الرغم من عدم توقيعها من قبل سلطان يافع.

ويبدو أن الإدارة البريطانية قد تأكد لها خروج الأمير محمد عن طوعها بعد زيارته لمصر. لذلك بدأت تكيل له بنفس المكيال. فأخذت تخلق له المشاكل، وتشجع أعضاء المجلس ضده وتحاول

زرع الفتنة بينه وبين سلاطين ومشائخ المحميات الأخرى وخاصة السلطنة الفضلية. وعملت على تشجيع الاختلالات الأمنية في المنطقة الساحلية ربما لإبهات صورة ما تحقق وإشغال المواطنين بالناحية الأمنية بدلا عن الحديث عن المكاسب.

كما أشاعت أن الأمير محمد يرفض فكرة الاتحاد لأن الإدارة البريطانية رفضت طلبه بأن يكون هو رئيس الاتحاد الفدرالي المقترح.

كما اعترضت الإدارة البريطانية على موضوع استعارة مدرسين من مصر، وكحل وسط وافقت على استقدام مدرسين من السودان.

وبناء على ذلك راسل الأمير محمد وزير التربية السوداني الذي اعتذر عن تقديم تلك المعونة، ماعدا مدير مدرسة متوسطة بناء على طلب من إدارة المعارف في محمية عدن، كان ذلك في بداية عام ١٩٥٦م.

فاستعان بعبدالله علي الجفري الذي أوجد بعلاقته الخاصة مدرسين سودانيين من الحزب الشيوعي السوداني الملاحقين سياسيا في بلادهم.

وكانت له زيارة أخرى إلى بريطانيا في ١٥ ديسمبر ١٩٥٦ م في وفد لجنة أبين ويرافقه من السلطنة اليافعية الأمير زين بن حسين العفيفي والشيخ علي عاطف الكلدي ومن السلطنة الفضلية النائب أحمد بن عبدالله الفضلي وحسين بن عبدالله عثمان وعبدالله بن أحمد عبدالله والسلطان هود بن عبد، وعن السلطنة العبدلية علي بن أحمد مهدي وعبدالله علي الجفري وقحطان الشعبي، وكانت الزيارة لإجراء مفاوضات حول تسويق القطن وتقرير الأسعار المقترحة لعام ١٩٥٧م.

بعد الزيارة قبل الأخيرة لبريطانيا أنعدمت أو كادت تنعدم كل صيغ التفاهم بينه وبين الإنجليز، و أصبح كل يتربص ويكيد للآخر، ووصل الأمر إلى توقفه عن حضور وترؤس اجتماعات مجلس السلطنة وكان آخر إجتماع حضره الذي انعقد بتاريخ ٢٢مارس١٩٥٦م.. ولم تعقد بعد ذلك التاريخ إلا ثلاثة اجتماعات، ففي الاجتماع الذي يليه و الذي انعقد بتاريخ ٧ مارس ١٩٥٧ كلف السلطان عيدروس أخيه الأمير غالب محسن ليكون وكيل النائب بالنيابة ويقوم بترؤس جلسات المجلس، وتقرر في تلك الجلسة بأن تنعقد جلسات المجلس كل ثلاثة أشهر بدلا من كل شهر، وفيها أيضا تم انضمام زيد بن علي العطوي بناء على طلب السلطان عيدروس والعاقل طاهر حنش بناء على طلب الأمير محمد. مما يجدر ذكره أن الأمير محمد طلب تمثيل جميع قبائل يافع بني قاصد في هذا المجلس والذي كان يقتصر التمثيل في معظمه على أهل عطية من قبيلة كلد و أهل عفيف، لكن طلبه هذا جاء متأخرا والإدارة البريطانية وبعض أعضاء المجلس يتوجسون خيفة من كل أمر يطرحه.

قبل الاجتماع المذكور أعلاه، كان الأمير محمد قد طلب إجازة لمدة ثلاثة أشهر من السلطان عيدروس إعتبارا من شهر فبراير عام ١٩٥٧م. واتجه إلى القارة في المنطقة الجبلية من يافع، حيث زار قرى المكاتب الخمسة، وتحدث إلى أبنائها عن الصعوبات التي يواجهها وشرح لهم طبيعة سياسة الإدارة البريطانية وكاشفهم بنواياه في مطالبة الإنجليز بالرحيل، وطلب منهم صلح من الفتن بين القبائل ولمدة عشر سنوات، خلالها يتم حل قضايا النزاع، ومن ينقُض الصلح بشيء فهو بعشرة أمثاله.

تقبلت القبائل ذلك الصلح وتفهمت دواعيه وشاركت الأمير محمد مشاعره الوطنية الهادفة إلى خروج الاستعمار.

في نفس الإطار وربما لضرب عصفورين بحجر، اتجه إلى الزاهر لترتيب صلح بين قبيلة من أهل حميقان (آل برمان) وأخرى من مكتب الناخبي (آل منصور) والتقى هناك بمحمد بن صالح بن ناجي الرويشان، والذي يقال أنه مثل حلقة اتصال مع الإمام أحمد بالإضافة إلى مشاعره الوطنية المتعاطفة مع المعارضين للإنجليز[٨].

و في كل مرة يتواجد فيها الأمير محمد في القارة، كان يعتمد على بعض من يثق فيهم من الموظفين في إدارة السلطنة لموافاته بما يدور في المنطقة الساحلية و إرسال إحتياجاته منها، أمثال سكرتيره صالح عثمان أحمد بالربيعة والمسؤول المالي صالح علي شيخ السعدي و أمين الصندوق حسن محمد بن عبادي. لذلك كانوا يبلغونه بما يدور في إدارة السلطنة والمجلس وينقلون إليه نبض الشارع في المنطقة الساحلية.

كان لتأميم قناة السويس وما لحقه من العدوان الثلاثي على مصر في أكتوبر ١٩٥٦م ثم إنسحاب القوات المعتدية أثر كبير على تأجيج مشاعره ضد الإدارة البريطانية والتعجيل برفع مستوى المواجهة معها. لذلك كان يتحجج أو يرفض مقابلة المسؤولين الإنجليز عندما كانوا يأتون لزيارته ومحاولة ثنيه عن توجهاته، و استدعت الإدارة البريطانية الضابط السياسي الإنجليزي (لاري هوبسن) خصيصا باعتباره المرشح الأفضل لإقناع محمد بن عيدروس بالعدول عما هو سائر عليه، لكنه لم يفلح فيما أوكل إليه. وعندما شعر بعدم جدوى مايقوم به قال: إنه أحضر المشكلة بيده للإدارة البريطانية (ويعني بذلك تزكيته لمحمد عيدروس ليكون نائبا لوالده).

---

٨ مثل هذا الأمر يعد اتصال بدولة أجنبية في نظر الإدارة البريطانية

في نفس أيام العدوان على مصر أُحيل والي عدن (هيكنبوثم) على التقاعد و حل محله السير (وليم لوس) والذي كان أكثر شدة في التعامل مع المد الوطني في المحميات وعدن مقارنة بسلفه.

ازداد الخلاف بين الأمير محمد وبين مجلس السلطنة وكل يكيل الاتهامات للآخر.. أعضاء المجلس يتهمونه بتعطيل عمل المجلس والاعمال الإدارية في السلطنة بسبب سفره وغيابه المتكرر وخلافاته المستمرة مع الإنجليز..و هو يرى فيهم صدى لما تريده الإدارة البريطانية.

في يوم الأحد تاريخ ٣٠ يونيو ١٩٥٧م في الرابعة عصراً، اتجه من الحصن إلى القارة في المنطقة الجبلية. و في اليوم التالي تاريخ الأول من شهر يوليو ١٩٥٧م، اجتمع بعض أعضاء المجلس مع السلطان عيدروس في منزل عبداللاه بن عاطف جابر في عدن وحضر الاجتماع كل من: الشيخ علي عاطف، العاقل محسن حسن منصري، العاقل حيدرة منصور عطوي، العاقل بالليل الرهوي، العاقل محمد شيخ بن هيثم، كما حضره القاضي الشرعي منصور عبدالعزيز..عندما علم السلطان بمغادرة النائب استاء من تصرفات ولده، و طلب بعض أعضاء المجلس تعيين نائب آخر وقت غياب ولده.. و أيد الفكرة جميع الأعضاء ما عدا الشيخ علي عاطف الذي عارض الفكرة ونجح بذلك.

في نهاية شهر أغسطس أُشيع عن محاولة لاغتيال السلطان عيدروس وبأن ورائها بعض أعضاء مجلس السلطنة وبعض أهل عفيف.. على إثرها استدعى السلطان عيدروس قوة من حرس الحكومة المتواجد في منطقة (باجدار) من السلطنة الفضلية لضبط الأمن والقبض على المتآمرين، وتمركزت بعض هذه القوة

في دار (حلمة) وبعضها في دار السلطان القديم المسمى (حجرة هاجرة). و في ٢٨أغسطس ١٩٥٧ م أمر السلطان هذه القوة بالقبض على المتهمين والذين علموا بذلك فهربوا إلى عدن وطلبوا وساطة السيد محمد علي الجفري و فضل بن علي العبدلي[٩].

الأمير محمد عند علمه بالخبر توجه من القارة صوب المنطقة الساحلية مع عدد كبير من قبائل يافع إلى أن وصل (غيل امثب) حيث التقاه رسول من والده وطلب منه العودة إلى القارة، لأن الإدارة البريطانية قد سبق لها إخطار السلطان عيدروس بعدم رغبتها بعودة ابنه محمد إلى المنطقة الساحلية من يافع. حمل ذلك الإخطار إلى السلطان عيدروس قائد الجيش الاتحادي حينها فضل عبدالله عولقي ويرافقه محمد بن فريد العولقي الذي كان يترجم فحوى الإخطار المكتوب بالإنجليزية.

توصل الأمير محمد بعد ذلك إلى قناعة بأن خبر محاولة اغتيال والده ربما كانت عبارة عن تسريب كاذب من قبل الإدارة البريطانية لجعل السلطان عيدروس بنفسه يطلب وجود قوة للمرابطة في منطقته الساحلية من يافع، حيث كان لايقبل تواجدها قبل ذلك و أن ذلك الخبر الكاذب سيعمل أيضا على شق العصى بين السلطان وولده من جهة ومجلس السلطنة و أهل عفيف من جهة ثانية وقطع خط الرجعة على أي نوع من أنواع الوفاق والثقة بينهم مرة أخرى.

في شهر أكتوبر كتب إلى والده مقدما استقالته وهو في المنطقة الجبلية، لكن هذه الاستقالة لم تقبل لأن نتيجة ذلك كانت معروفة سلفا ويتحين مجلس السلطنة والإدارة البريطانية هذا الأمر بفارغ الصبر.

---

٩ ربما هذه هي الرواية التي أشار إليها هيكنبوثم سابقا لكنه خلط في التاريخ ومجرى الأحداث فيها

عاد في بداية شهر ديسمبر إلى الحصن من المنطقة الجبلية، و أبلغت الإدارة البريطانية السلطان عيدروس مجددا، بأن ما يقوم به ولده لم يعد يحتمل وعليه مغادرة المنطقة فورا وإلا فإنها ستضطر لضربه في داره (دار المنقاش) بواسطة سلاح الجو البريطاني.

التهديد كان واضحاً وصريحاً، لذلك ظل يتنقل من منزل إلى آخر طوال فترة بقائه في المنطقة الساحلية التي لم تتعد الأسبوع.. وعندما بلغه أن قوة من (شبر) متجهة إلى الجزء الساحلي من السلطنة عمل على المغادرة قبل وصول تلك القوة ومعه ١٦٧ مما كان يسمى بالحرس القبلي للسلطنة من أبناء يافع بالإضافة إلى عدد كبير من الشخصيات الإجتماعية والموظفين الذين تفاعلت روحهم الوطنية معه، وممن أحبوا نهجه في الإدارة والسياسة، وذلك بعد أن تجمهر عدد كبير من المواطنين حول منزله في الحصن وألقى فيهم كلمة طمأنهم بأنه و إن غاب عن المنطقة فسيظل معهم وفي نفس الاتجاه الذي عرفوه عليه. كما جمع ما كان متاحاً في خزينة السلطنة من مال ويقدر بحوالي مائتي ألف شلن[١٠]، ثم توجه إلى القارة في تاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٥٧م، ووصل إليها مساء يوم الجمعة تاريخ ٢٠ ديسمبر الموافق ٢٨ جماد أول ١٣٧٧ هجرية. واستقبلته قبائل يافع بأعداد كبيرة مرحبة به برقصات البرع والرواجز واطلاق الأعيرة النارية في الهواء تعبيرا عن مساندتها له ووقوفها إلى جانبه.

أشاعت الإدارة البريطانية أن مغادرة الأمير محمد وما رافقها كان بسبب خلاف مع والده، فأصدر السلطان عيدروس بياناً للرأي العام في الجنوب عامة وشعب يافع خاصة، نفى فيه هذا القول وقال فيه إن رأيه من رأي ولده.

---

١٠ بعض المعلومات تفيد أن المبلغ هو مئة وعشرون الف شلن

كما قام عدد من الشخصيات من أبناء يافع المقيمين في عدن ومعظمهم من أبناء يافع بني مالك بكتابة خطاب موجه إلى والي عدن يكذبون فيه هذا الادعاء.

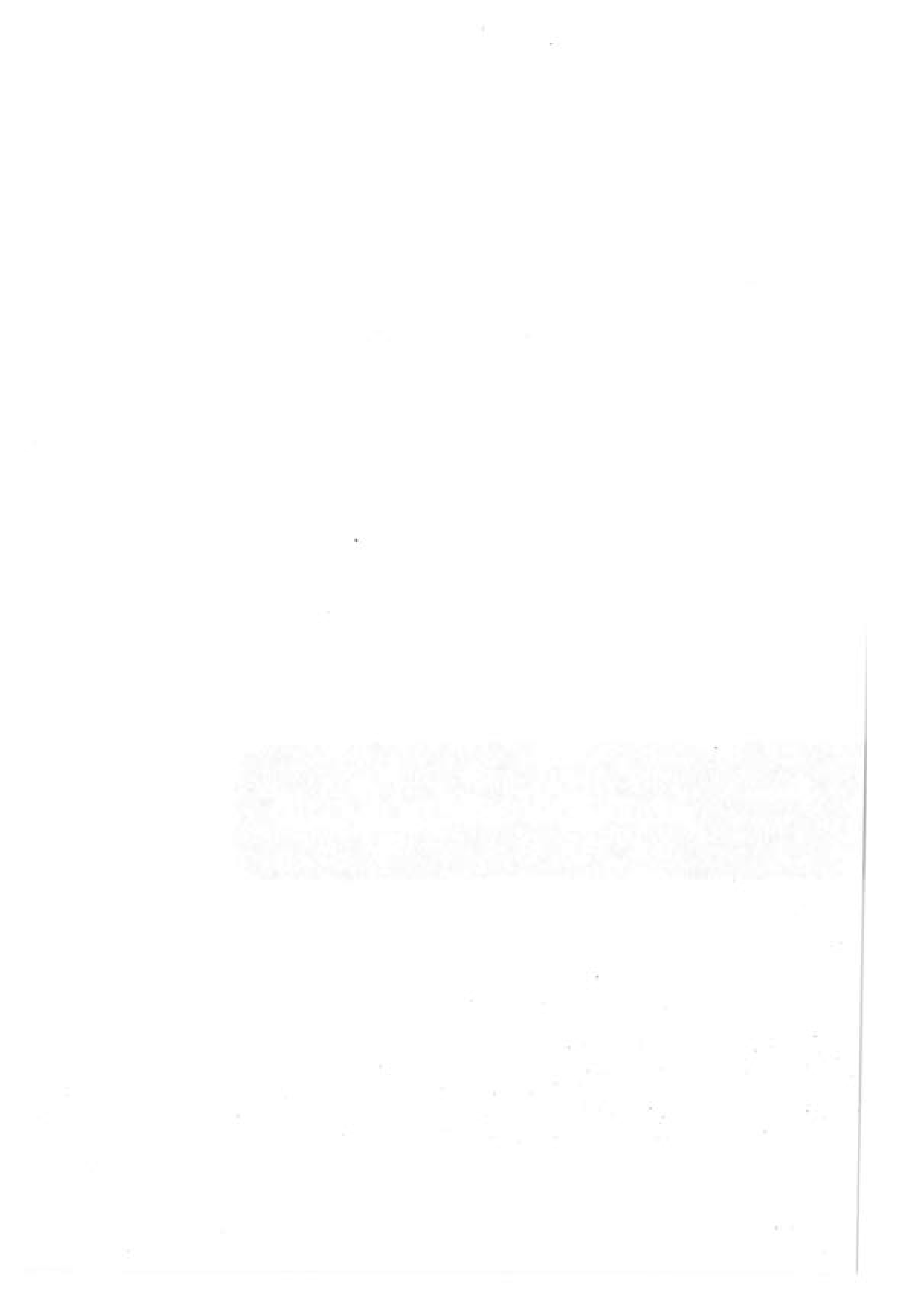


السلطان عيدروس والسير هيكنبوثم يسلمان على بعض

بعدها تغيرت صيغة الإشاعة فأصبحت بأن الخلاف بينه وبين قبيلة من كلد، و أن الأمير محمد مستاء لأن الإدارة البريطانية رفضت طلبه بقصف هذه القبيلة غير المنصاعة له بواسطة سلاح الجو البريطاني، وعززت الإدارة البريطانية العمل في هذا الاتجاه إلى ما قبل الإستقلال بحوالي عام ونيف، أي إلى التاريخ الذي عاد فيه السلطان محمود بن عيدروس من دراسته في لندن في منتصف عام ١٩٦٦ م وتوليه مهام منصبه وحينها أبطلت الحكومة البريطانية المجلس الذي أقامته عام ١٩٤٧م، وأزاحت العاقل حيدره منصور من منصبه كنائب للسلطنة إثر تغيير اسم السلطنة إلى ولاية ومنح نفسه لقب حاكم ولاية يافع الساحل بناء على مقترح عضو المجلس علي محمد بن سبعة ومقترح العاقل بالليل الرهوي لكيفية التصرف بأملاك السلطان، في الجلسة المنعقدة بتاريخ ١١ يونيو ١٩٦٦م والتي امتدت إلى اليوم التالي، إلا أن المستشارين الإنجليز والعرب لم يحضروا جلسة اليوم الثاني والتي كانت آخر جلسة لهذا المجلس. ويبدو أن الإدارة البريطانية شعرت أن المجلس قد تجاوز الهدف المرسوم له، وبدأ بالاتجاه نحو إحداث انقلاب على الأسرة الحاكمة وبطريقة تظهر وكأن الإنجليز استغفلوا باتمام الأمر تحت مظلتهم.



فترة المجابهة المسلحة



ماجرى كان بداية مواجهة مكشوفة لاستخدام كل الخيارات لدى كل طرف، ففرضت الإدارة البريطانية على السلطان عيدروس نائبا له من خارج أسرته بعد أيام قليلة من مغادرة الأمير محمد، وهو عضو مجلس السلطنة العاقل حيدره منصور عطوي والذي رأت فيه رجلاً قوياً وصاحب تطلعات ولاينقصه التحفيز. وكان قبول السلطان عيدروس بالنائب البديل ربما تعبير عن عدم رضاه بتصرفات ولده، والتي كان يود أن لاتخرج عن إطار سياسة الحفاظ على شعرة معاوية مع الإدارة البريطانية وربما شعوره بأن الأمر لم يعد بيده.

المعتمد البريطاني وجه خطاباً إلى المجلس أوضح لهم فيه ما سيكون عليه موقف المجلس في المستقبل، كما عُين العاقل محسن حسن منصري رئيسا لجلسات المجلس، و تقرر أن يعاد النظر في جميع القرارات السابقة للمجلس التي تمت إبان ترؤس الأمير محمد للمجلس.. كما طُلب من النائب الجديد حيدرة منصور أن يكتب للحكومة (الإدارة البريطانية) بطلب ٥٠٠ بندقية و٣٠٠ صندوق ذخيرة للدفاع عن حقوقهم ووطنهم من أي اعتداء يصير عليهم وخُول أيضا أن يطلب من الحكومة أن تساعد في تحويل جيش محمية عدن المرابط في(باجدار) في السلطنة الفضلية إلى حبيل البرق(منطقة وسطية بين الجزء السهلي والجزء الجبلي من السلطنة اليافعية) للمحافظة على الحدود ضد أي اعتداء يكون من تلك الجهة، وأقر إعادة إجتماعات المجلس لتعقد كل شهر.

في ٣ فبراير١٩٥٨م، تم رفع قائمة إلى الضابط السياسي الإنجليزي شملت أسماء بعض مشايخ وشخصيات كلد وعددهم ثمانية عشر ومنهم الشيخ علي عاطف الكلدي، مع تبيان مالديهم من ممتلكات في المنطقة الساحلية وذلك من قبل نائب السلطنة

الجديد حيدره منصور والعاقل بالليل الرهوي، واقترحا إعطاء هؤلاء المشائخ بنادق مقابل توقيعهم بالاعتراف بالنائب حيدره منصور بالإضافة إلى عدد آخر من الشروط مثل عدم مساعدة أو إيواء المتمردين وما شابه ذلك .

في الجانب الآخر توافدت قبائل يافع إلى مقر الأمير محمد في دار (لقواد) المجاور للقارة من جهة الشمال وبايعته على كونه ولي العهد لسلطنة يافع بني قاصد.. ويبدو أن ذلك كان ردة فعل من القبائل على تنصيب نائب بديل للأمير محمد في الجزء الساحلي من يافع.

نجحت الإدارة البريطانية وأصدقاؤها في استقطاب تأييد بعض المشائخ والأعيان للنائب الجديد، وفي هذا السياق اتجه الخضر الشقي إلى المنطقة الساحلية للإعتراف والتهنئه.. وعلى إثر ذلك وقبل عودته إلى سبيح، دعا الأمير محمد أهل ذي ناخب إلى لقاء في حبيل (تالحبيل) وتم ذلك في ٣١ مايو ١٩٥٨م، واتفق معهم على: إقامة ثلاث نقاط، في مناطق سلب، والعرقة، وسبيح، و أن يعيد الخضر الشقي المعونة التي تلقاها من الإدارة البريطانية، وكذلك جعل الخضر يدين تنصيب بديل للنائب محمد بن عيدروس، إلا أن الخضر لم يستجب للاتفاق الذي تم بين الأمير محمد ومشائخ وأعيان مكتب ذي ناخب.

بعد وصوله القارة كانت الطائرات البريطانية تحلق فوق يافع وبالذات فوق القارة وبشكل شبه يومي، وكان أفراد القبائل المتواجدون في القارة يطلقون النار عليها من أسلحتهم الشخصية دون أن ترد عليهم، كان بعض المقربين إليه يحاولون ثنيه من التمادي في مواجهة الإدارة البريطانية، خاصة عندما لمسوا توجهه نحو تنظيم عمل عسكري بقصد مقاومة الاستعمار، وكان يتهمهم بالجبن بسبب محاولاتهم تلك.

بعد مغادرته للمنطقة الساحلية بأكثر من شهر، أقام مركزاً عسكرياً للمقاومة في (غيل المقيل) في منطقة حطاط وبالتحديد في شعب (مكر) و أوكل قيادة ذلك المركز لأولاد عمه، الأمير فضل بن عبدالله والأمير عبدالمجيد بن حمود. وقد سجلت إدارة الأمن في المنطقة الساحلية أولى العمليات بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٥٨م.

كانت تنطلق من مركز (مكر) حرب عصابات متواضعة نظراً لشحة الإمكانات، حيث استمرت العمليات لفترة تزيد عن الأاربعة أشهر، حل فيها الأمير محسن حمود بدلا عن أخيه عبدالمجيد و ولد عمه فضل في قيادة المقاومة في الشهر الأخير منها .

كانت القوة مقسمة إلى فرق كل فرقة يقودها شخص، فمثلا إحدى الفرق كان يقودها عاتق عبدالله فدعق اليهري . وكانت كل العمليات تنفذ في الليل، فرقة أو أكثر تقوم بأداء مهمة قتالية و أخريات ترابط وتأخذ قسط من الراحة، وكانت كل عملية تنفذ بحوالي ثلاثين شخصاً تعطى لكل منهم خمس طلقات من الذخيرة فقط للعملية الواحدة، وكان معظمهم يأوون إلى منازل بعض المواطنين في جعار والحصن وباتيس بعد إتمام عملهم، ومن هؤلاء المواطنين ناصر عبدالقوي السلفي الذي كان يؤوي حسين عبدربه الملجمي وأحمد درويش الطالبي وغيرهم. وكانت كل فرقة تنقسم إلى عدة مجموعات، مجموعتين أو ثلاث كل مجموعة تهاجم موقعاً مختلفاً.

كانت التعليمات إلى المقاومين بإطلاق النار على مراكز جيش الليوي والحرس الثاني ومنازل أصدقاء الإدارة البريطانية وضباطها السياسيين، وفي العديد من المرات كانوا يتعرضون للكمائن إحداها التي قتل فيها عبدربه بن محمد بن الحاصل اليهري وكان ذلك في ليلة الجمعة ٢٨ فبراير ١٩٥٨م، وجُرح من الطرف الآخر جنديان من قوات الليوي الذين كان عددهم يفوق عدد المهاجمين بعدة مرات.

في بداية حركة المقاومة كان عدد المقاتلين كبير نسبيا ومعظمهم من الحرس القبلي المدرب نظاميا، و الذين غادروا المنطقة الساحلية مع محمد عيدروس، لكن أغلبهم ترك المقاومة ربما لشحة الإمكانات وصعوبة الحياة بين الأشجار والكهوف وربما لأسباب غيرها، وقد ثبت العدد على حوالي سبعين مقاتلاً كان يأتي من يحل محلهم من مختلف مكاتب يافع بني قاصد بين الفترة والأخرى، ويأتون يحملون معهم زادهم وزنادهم.

نذكر هنا بعض من شاركوا في تلك المقاومة فمن أهل سعيد : حسين عاطف وعلي حسين أحمد، ومن أهل حنش محسن حسين أحمد، ومن أهل كلد أحمد درويش الطالبي، ومن أهل القارة حسين عبدربه الملجمي ومن أهل عفيف عيدروس بن علوي وفضل بن محسن فضل وعلي بن غالب سيف، ومن أهل يزيد عوض سالم الصهيبي وعلي عبداللاه بن عبدالرب الصهيبي ومحمد عبدالله علي الصهيبي وصالح علي بن عسكر ومحمدسالم بن عسكر، ومن أهل يهر شايف عبدربه اليهري.

في ١٠ مارس أُتهم أحمد محمد بن سليمان بإيواء الشوعية[11] في منزل السلطان القديم (حجرة هاجرة) الذي كان يقيم فيه في تلك الفترة وهو المعروف عنه موقفه المخلص والقوي إلى جانب السلطان وولده محمد.

وسبب ذلك حدوث إطلاق نار من المقاومة من أبناء يافع على مركز الشرطة في الحصن مساء ذلك اليوم، وصادف ذلك تواجد عبدالله علي ثابت بن سليمان وصالح محمد طاهر وعلوي طاهر بن سليمان وعلي عبدالرب بن مشهور في قرية الحصن قادمين من قطر ماعدا الأخير قدم من حضرموت والذين اندفعوا عندما سمعوا إطلاق النار باتجاه منزل السلطان غير المأهول الا باحمد

---

١١ الاسم الذي كان يطلق على المقاومين من أنصار محمد بن عيدروس

محمد بن سليمان، ثم أخذوا يطلقون النار على مركز الشرطة من هناك، ورد عليهم أفراد القوة الموجودة في مركز الشرطة مما أغضب السلطان و أخذ يطلق النار بدوره على مركز الشرطة من داره الذي يقع أعلى جبل المنقاش.. وطلب المتحصنون من السلطان عيدروس مدهم بالذخيرة ليتمركزوا في نفس المكان، الاّ أنه نصحهم بالمغادرة قبل طلوع الفجر وصارحهم أنه ليس باستطاعته حمايتهم.

القادمون من قطر كانوا قد مروا على السلطان للسلام عليه في طريقهم إلى الجزء الجبلي من يافع عصر اليوم السابق وطلب منهم أن ينصحوا ولده محمد بأنه لا يَقْوى على (مناطحة جبل).

وقد جرت المحاولة لاعتقال أحمد محمد بن سليمان في اليوم التالي، فاعتصم بدار السلطان المذكور. وعندما حاصرته قوة من الخارج، أخطرهم السلطان بأن يفتشوا البيت ليتأكد لهم عدم وجود أحد ممن يدعون، وكان رد مأمور القوة أنه لا يستطيع أن يفتش البيت وأحمد محمد بالداخل، وكرر الطلب إلى السلطان كي يأمر أحمد محمد بالاستسلام.. و أخيراً خرج أحمد محمد بناء على نصيحة السلطان، وأُخذ إلى السجن حيث قضى فيه حوالي خمس سنوات.

في تلك الفترة انتشرت المسميات ضد أعوان كل طرف من الطرف الآخر، فالأمير محمد و أنصاره كانوا يطلقون مسمى (أذناب) و (عملاء) و (خونة) على أصدقاء الإدارة البريطانية، والأخرون كانوا يطلقون مسمى (متمردين) و (شوعية) على أنصار الأمير محمد وكانت المنشورات البريطانية تصف الأمير نفسه بالمجرم

وقاطع الطريق والخارج على القانون وكان يرمز إلى اسمه في بعض مراسلات الضباط السياسيين ب (LAD) أو (BOY) ويعني الغلام أو الولد ومن هذه التسميات قال أحد المترجزين من قوة (الليوي) التي كانت متمركزة في المنطقة الساحلية لمقاومة المقاتلين من أنصار محمد بن عيدروس:

يالشوعية ياذي ضربتوني　　　كيف الخبر لوكان صبتوني

في ٢٨ مارس ١٩٥٨م، حصلت الحادثة المشهورة في يافع عندما قام سلاح الجو البريطاني بضرب قافلة من المسافرين ظناً أنها من المقاومة، وكانت أول عملية لسلاح الجو موجهة ضد من كان يُعتقد أنهم محمد بن عيدروس ورجاله، وقد قتل في هذا الحادث زوجة الناخبي وولده الرضيع فضل، وجرح ثلاثة أشخاص آخرون ونفوق ٢٢ جملاً، وقد استمرت عمليات القصف والتمشيط بالرشاشات الثقيلة والصواريخ من الطائرات من الساعة التاسعة صباحاً إلى الواحدة ظهراً وقد نُفذت عمليات القصف بأسراب عديدة من الطائرات، ومشطت المنطقة من مكر إلى (غيل امثب).

في الليلة الأولى بعد عمليات سلاح الجو تم القيام بعمليتي مقاومة بدلاً من واحدة كرسالة بأن عمليات القصف لم توهن عزائم المقاومين بل زادتها، كما قام بعضهم بعمل مركز متقدم خوفا من كون عمليات القصف تلك كانت تمهيد وغطاء لتقدم عسكري نحوهم، الا أن ذلك لم يحدث.

في نفس اليوم الذي تمت فيه عملية سلاح الجو، كان الأمير محمد قد توجه إلى البيضاء لطلب المعونة وكانت زيارته ليوم واحد ثم عاد.. على إثر تلك الزيارة ألقت الطائرات منشوراً تحذر فيه أبناء يافع من محمد بن عيدروس الذي قام بزيارة البيضاء ليبيع يافع للزيود.



السلطان محمد في زيارته الخاطفة للبيضاء
ويبدو إلى جواره النقيب محمد بن صالح الرويشان

في هذه الزيارة أفصح الأمير محمد لممثلي الإمام في البيضاء بأن المساعدات التي تقدمها المملكة أو من خلالها للوطنيين من محميات الجنوب العربي ينتقصها ويقلل من أهدافها طلب المملكة رهائن ممن تقدم لهم المساعدة كشرط مسبق لتقديم تلك المعونات، وقد اقتنع أنهم تقبلوا تلك الملاحظة، الا أن المعتقد أنها أتت عليه بمردود سلبي، فطالما أنه لا يرغب بهذا الأسلوب من التعامل فهم لا يرغبون بأسلوب غيره ودون مصارحته بذلك.

بعد عدة أيام من حادثة غيل امقيل و كان محمد بن عيدروس موجوداً في (امها حطاط) والطائرات البريطانية تقوم بعمليات استطلاعية فوق الطريق المؤدي إلى مكر وعندما شاهدت قافلة من الجمال غير المحملة أصلاً يستريح أصحابها في (غيل امشب) في

طريقهم إلى الجزء الساحلي من يافع قامت باطلاق نيران مدافعها الرشاشة عليهم وقتل في هذا الحادث محمد حيدره أحمد المحرمي.

سلاح الجو البريطاني الموجود في محمية عدن كان مكوناً بالأساس من السرب الثامن الذي جُددت طائراته مع بداية عام ١٩٥٨م بطائرات حديثة، ويرجع تاريخ تكوين هذا السرب إلى أكتوبر ١٩١٤م وأول تواجد له في الشرق الأوسط كان في حلوان في مصر في أكتوبر عام ١٩٢٠م ثم انتقل إلى منطقة قناة السويس ثم نقل عام ١٩٢١م إلى البصرة ثم بغداد في العراق، وقد تم نقل السرب بحرا إلى عدن في فبراير ١٩٢٧، وكانت أول عملية لهذا السرب ضد الصبيحة في ٢٩ يناير ١٩٢٩ وقد استمرت إلى ٢٦ مارس، حيث كان وزن القنبلة التي تلقى باليد لاتزيد عن ٨ أرطال بينما ما أسقطه هذا السرب لاحقاً على يافع قد وصل وزن أثقلها إلى ٥٠٠ رطل.

بعد ذلك استمرت عمليات المقاومة لفترة قصيرة ثم توقفت لأن الأمير محمد لم يحصل على دعم من الإمام كما كان يعتقد وكل ما حصل عليه كان مساعدة متواضعة عبارة عن ذخائر وربما بشكل أو تصرف شخصي من محمد بن صالح الرويشان، ولأن سلاح الجو البريطاني نقل المقاومة إلى حالة الدفاع بقيامه بعمليات قصف جوي على القرى والمساكن والمزارع خلف الجبهة التي فتحها المقاومون.

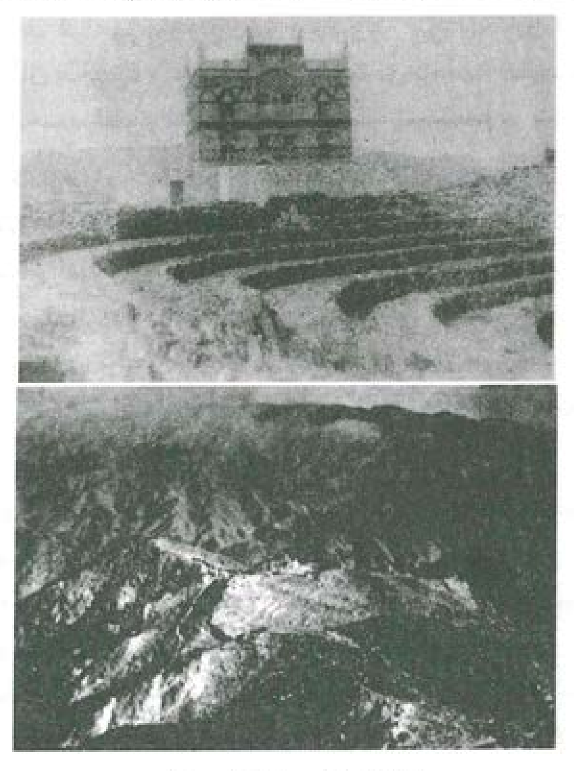
عرض عليه بعض أنصاره تكتيكاً بديلاً يحل مشكلة شحة الإمكانيات وعدم القدرة على فتح جبهة وتطوير عملها، وذلك بالقيام بعمليات اغتيالات مستهدفة ضد الضباط السياسيين وأصدقاء الإدارة البريطانية في المنطقة الساحلية من يافع، لكنه لم يستحسن العمل بهذا الخيار، لأنه كان يرى في ذلك نوعاً من أنواع العمل الجبان في أن تقتل عدوك غدرا.

في عدن استمرت أعمال المقاومة للإنجليز حتى بعد توقف العمليات العسكرية في المنطقة الساحلية من يافع ولفترة طويلة وذلك عن طريق أشخاص محدودين و لا يعلم بهم أحد سوى السلطان محمد وبعض أبناء عمه لاحقا، وتلك الأعمال تمثلت في استخدام القنابل اليدوية ضد الإنجليز ومنشآتهم وكان ممن ينفذون مثل هذه الأعمال شيخ بن هيثم السعدي وآخرون والذين كانوا يزودون بالقنابل عبر ناصر عبدالقوي السلفي وعبدالحق بن سالم الصهيبي والأخير كان يزود السلطان بالأخبار والتراسل عبر أخيه عوض سالم الصهيبي.. ناصر عبدالقوي السلفي التحق بالجبهة القومية بعد قيامها وأرجع آخر مجموعة من القنابل أرسلت إليه من السلطان محمد، وشيخ بن هيثم التحق بجبهة التحرير منتقدا السلطان محمد لعدم استمراره في مقاتلة المستعمر.

بدأت الإدارة البريطانية تسعى إلى تضييق الخناق على خصمها ماديا وعسكريا وتنتقل إلى موقع الهجوم وتجبره للانتقال إلى موقع الدفاع وسد الثغرات التي تفتحها عليه من وقت إلى آخر، وفي هذا الاطار رتبت مع أصدقائها من يافع على إقامة مركز عسكري في قمة جبل (بن قماطة) التي تعلو على قمة جبل القارة وتبعد عنها بأقل من ثلاثة كيلومترجوي وتشرف عليها من جهة الجنوب الغربي.

رُتب أن يكون ذلك المركز بقيادة شخص يدعى مُحمد العبّاب وجنش عبدالله بن ناصر عمر والذي هرب من بيته قرب قمة جبل بن قماطة عندما بدأ بعض أفراد من قبائل يهر مشاغلتهم باطلاق النار عليهم وظل مُحمد في دار (بن سند) المهجور أصلا مع حوالي ١٤ شخصاً، حتى قام بعض أفراد من قبائل يهر بقيادة الشيخ قاسم راجح بن حلموس وآخرين بمهاجمتهم حتى غادروا المكان وتم هدم ذلك الدار.

ذلك كان المحور الأول من أصل أربعة محاور سعت الإدارة البريطانية إلى تطويق محمد بن عيدروس بها. بقية المحاور الثلاثة كانت مرسومة لأن يكون أحدها في (سبيح) بقيادة الخضر الشقي والثاني في (الموصف) بقيادة العاقل عبدربه بن ديّان والثالث في (سرار) بقيادة قائم سرار زيد بن علي العطوي. ولم ينجح من تلك المراكز الا مركز سرار والذي كان يتم التعامل معه من قبل أنصار محمد بن عيدروس بشكل متقطع وكانت تتم نجدته ومد العون له بواسطة سلاح الجو بعض المرات. والمركز الآخر مركز سبيح الذي لم تتم أية مواجهة فيه إلاّ في معركة واحدة، هي معركة سلب التي سيأتي ذكرها لاحقاً.



دار السلطان محمد قبل وبعد تدميره

في ١٦ يونيو ١٩٥٨م، قام سلاح الجو البريطاني بقصف منزل الأمير محمد دار (لقواد) والذي كانت تسميه المنشورات التي تُلقى من الطائرات بدار (القوات)، تلاه في ١٧، ١٨ قصف منازل بعض المناصرين لمحمد بن عيدروس في فلسان (قرية عنب) وقد ضُرب منزل أحمد محمد بن سليمان ومنزل آل أحمد عبدالرب بن سليمان ومنزل عبدالله علي ثابت بن سليمان وعمه حسين ثابت ومنزل آل مشهور.



منازل المخدرة بعد التدمير

ومنزل آل صالح حسن بن سليمان، ثم شريان على التوالي وضُرب فيها منزل محمد مسعود المقفعي ومنزل أحمد صالح المقفعي وفي ٢٤ من نفس الشهر تم قصف الدقة والمعزبة جنوب القارة كونها مخازن للسلاح والذخيرة حسب إدعاء المنشورات الملقاة من الطائرات، ثم تم قصف قرية (المخدرة) على بعد أقل من كيلومتر شمال شرق القارة كون محمد بن عيدروس سكن فيها بضعة أيام بعد تدمير منزله دار

لقواد و كان يستخدمها كمخازن للسلاح والذخيرة حسب الادعاء ..ويبدو أنه قد تأكد للإدارة البريطانية لاحقا أن التقارير التي كانت ترفع عن الأسلحة والذخيرة التي تصل كمساعدات لمحمد بن عيدروس عن طريق البيضاء وقعطبة من المملكة العربية السعودية أو من الجمهورية العربية المتحدة أو من المملكة المتوكلية اليمنية كانت مبالغ فيها وربما لا صحة لها من الأساس، وكان ذلك واضحا في تعليق مساعد الضابط السياسي للمنطقة الشمالية الغربية (الضالع) المكتوب على أحد التقارير المرسلة إلى المعتمد البريطاني في عدن بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٦٠ م، والذي لا يخلو من السخرية حيث وصفه أنه مضحك ولايبعث على التصديق.

لم يعد في يد محمد بن عيدروس إلا الوقوف موقف الدفاع والمحافظة على الجبهة الداخلية من التصدع قدر الإمكان، بينما عملت الإدارة البريطانية وأصدقاؤها على التشكيك في الأهداف المعلنة لخصمها ومارست عمليات الترغيب والترهيب ضد قبائل يافع لتفريقهم من حوله ومدت المال والسلاح وكسبت البعض وحيّدت البعض.

ويمكن تصنيف موقف القبائل حينها إلى أربع مجموعات، الأولى: وهي الأغلبية تحملت وصمدت في موقفها مع محمد بن عيدروس، والثانية: وهي الأقلية والت الإدارة البريطانية ظاهرا وباطنا، والثالثة: شعرت أنها واقعة بين المطرقة والسندان إمّا لأن لها مصالح واراضي في المنطقة الساحلية من يافع وإما عز عليها تدمير منازلها وإحراق مزارعها بواسطة سلاح الجو البريطاني حسب التهديدات المستمرة لكل من يناصر محمد بن عيدروس، فبعض هذه المجموعة وهم الأكثر فيها يؤيدون محمد بن عيدروس في الظاهر ويتواصلون مع أصدقاء الإدارة البريطانية سرا ويفيدونهم برسائلهم بأنهم يعلمون أن محمد بن عيدروس

مخطئ في موقفه ضد الإدارة البريطانية ولكنهم يجارونه مكرهين حفاظا على مصالحهم، وباقي هذه المجموعة تواجدت في المنطقة الساحلية قرب مصالحها وتتظاهر بأنها ضد محمد بن عيدروس ولكنها تواصله سرا أو تؤيده في دخيلتها.. أما المجموعة الرابعة :فتسعى بعد مصالحها وليس لها أي موقف ظاهري.

كانت الإدارة البريطانية ترسل المال والسلاح والذخيرة لأنصارها و أتباعهم في يافع وكان على الأمير محمد أن يفعل الشيء نفسه مع من يواجهون أولئك، وقد أرهقه ذلك كثيرا، إذ لم يكن رجل عصابات يضرب ويهرب، بل رجل دولة يحافظ على حدود دولته وسلامة مواطنيها، ويترتب على ذلك التزامات كثيرة وثقيلة ولايحصل على دعم من أية جهة.

كان يحاول الاتصال بالإدارة البريطانية لإقناعها بالمطالب التي رفعها إلى الحكومة البريطانية في لندن والمؤرخة ١٦/١٠/١٩٥٧م[١٢].

و خيار المقاومة العسكرية لم يعد في يده، لذلك ركز جهوده على المقاومة السياسية مع الاحتفاظ بسلامة المنطقة الجبلية من الاختراق بشتى أنواعه، حيث أن الإدارة البريطانية كانت تسعى لتضييق الخناق عليه وإجباره على مغادرة يافع وبالتالي دعم شخص قوي من أهل عفيف أو من غيرهم ليكون نائب السلطنة في المنطقة الجبلية، وقد فطن لذلك الأمر ونجح في الصمود رغم امكانياته الشحيحة مقارنة بإمكانيات خصومه.

و هناك قضية حدثت في القارة نهاية عام ١٩٥٨م، ولم تكن تنقصه، حيث استغلتها الإدارة البريطانية وأصدقاءها لإشغاله بنفسه وقرب داره.

---

١٢ للأسف لم نجد صورة لتلك المطالب وربما أنها من ضمن الملفات التي أُحرقت كما ذكرنا في المقدمة

فقد حدث أن قام أحد ساكني القارة ويدعى عبدالله ناصر ماطر، الذي كان ممن يرافقون السلطان ويقومون على خدمته قام بطعن الأمير صالح علي العفيفي عندما كانا يشتريان القات، وبعد مهاترة أخرج على اثرها الأمير صالح علي (قيطلاً)[١٣] وذلك من جيب جاكته، فعاجله القاتل بطعنة جنبية في ساعدة الايمن، ضانا أنه يستخرج مسدسا كما ادعى القاتل نفسه..توفي الأمير صالح علي بعد أسبوع متأثراً من جرحه.

قُبض على القاتل وعُرض تسليمه لأهل الدم للقصاص منه، إلاّ أن بعض أهل عفيف، أخرجوا الموضوع مخرجاً آخر بالقول: أن محمد بن عيدروس كان خلف الحادث، وأنهم لن يقبلوا بالقصاص من القاتل الأقل مرتبة اجتماعياً بل من الأمير محمد نفسه.

وفي جعار استدعى الضابط السياسي المساعد أحمد محمد باشراحيل، استدعى مجموعة من أهل عفيف ونصحهم بالوقوف يد واحدة ضد محمد بن عيدروس الذي تآمر على اغتيال الأمير صالح علي، وأنهم سيلقون نفس المصير واحدا تلو الآخر من قبل محمد بن عيدروس إن لم يتخذوا موقفاً قوياً منه.

أصبح الأمير محمد حذراً في دخوله وخروجه في القارة نفسها لأنه أصبح مستهدفاً ومن أناس من أهله ومنزل أبعدهم لا يبعد عن منزله أكثر من ثلاثمائة متر وجعل القارة - القرية الصغيرة - وعاصمة السلطنة منقسمة إلى جزأين متنافرين.

وعلى الرغم من هذا الموقف من معظم أهل عفيف الساكنين أعلى القارة (جنوبها) الاّ أن الأمير معوضة عبدالله محمد عم القتيل و أكبر أهل عفيف سناً حينها بالإضافة إلى الأمير حمود

---

١٣ هو سوط من أسلاك الكهرباء ملبس بالبلاستك

بن زين، كانا يريان أن الحادث غير مقصود ولامدبر و أنه قضاء الله وقدره و أن الأمر قد خرج عن إطار وحقيقة ما جرى، و أن الوقوف ضد محمد بن عيدروس أو مع الإدارة البريطانية لايفيد ذلك الجانب من أهل عفيف بشيء.

في بداية عام ١٩٥٩م، قام الأمير فضل بن محسن فضل بإطلاق النار على الأمير محسن بن حمود والذي رأى الجزء الأعلى من جسمه على سطح منزل محمد بن عيدروس، وقد أخطأ هدفه. على إثر ذلك كانت ردة الفعل خاصة من أنصار الأمير محمد غير محددة وشملت بعض بيوت أهل عفيف في (أعلى القارة) الذين أُجبر البعض منهم على الرد والمشاركة في مالم يكونوا متحمسين للمشاركة فيه.. وقد استمر إطلاق النار بين الجانبين لأكثر من ساعتين إلى أن تدخل الوسطاء من القبائل و أوقفوا القتال.

ومن تداعيات ذلك الحادث أيضا أن قام الأمير محمد بن حسين بن محمد العفيفي في يوم الأربعاء ١٧ يونيو ١٩٥٩م ثاني يوم لوصوله إلى القارة مع والده من المنطقة الساحلية بإطلاق النار على منزل محمد بن عيدروس الذي لا يبعد عن منزله بأكثر من مئة وخمسين متراً، فرد عليه بعض أفراد القبائل المتواجدين في القارة وأصيب بطلقة رصاص في يده.

لم يشك أحد بأن الأمير محمد بن حسين ووالده كانا قد أُعدا نفسيا وماديا قبل طلوعهما إلى القارة وكان مطلوباً منهما القيام بمثل ذلك العمل.

وعندما حاول الأمير حسين الاستعانة ببقية أهل عفيف في (اعلى القارة) والاستنجاد بهم لم يجد الصدى المطلوب لأن ولده فعل ما فعل دون أن يخبرهم أو يأخذ رأيهم مسبقا وعندما وقع في المشكلة استدعاهم ليشركهم فيها.

في ١١ فبراير ١٩٥٩م، أُعلن رسميا عن قيام الاتحاد الفدرالي لإمارات الجنوب العربي وتتابعت المحميات بالتوقيع على إتفاقية الانضمام إليه وقام مجلس السلطنة في المنطقة الساحلية من يافع بتأييد قيامه، لذلك عُين الشيخ علي عاطف من بين أعضائه وزيرا للصحة في حكومة الاتحاد.

موقف الأمير محمد كان معروفاً سلفا من هذا الاتحاد وهو سبب من أسباب الخلاف مع الإدارة البريطانية، وكان يؤيد قيام اتحاد فدرالي بعد الحصول على الإستقلال وليس تحت الوصاية البريطانية.

في ٢٩يناير ١٩٦٠م، أعلنت إذاعة عدن في أخبارها الصباحية عن وفاة السلطان عيدروس بن محسن العفيفي عن عمر يناهز الرابعة والسبعين.. وقد وافته المنية في الساعة الحادي عشرة و ثمان دقائق من مساء يوم الخميس ٢٩ رجب ١٣٧٩ الموافق ٢٨ يناير ١٩٦٠م في منزل علي غالب الجبلي بشارع الزعفران بكريتر بعد نوبة من السعال المفاجئ المصحوب بنزيف من الصدر.. أثيرت بعض الشكوك بأنه توفى مسموما. وقد دُفن في جبل المنقاش جوار منزله في قرية الحصن بعد صلاة عصريوم الجمعة.

اتجهت قبائل يافع في الجزء الجبلي تلقائيا إلى القارة بعد سماعها النبأ، وقد وصلت القبائل القريبة منها بعد عصر نفس يوم إذاعة الخبر واستمر توافدها إلى عصر اليوم التالي، حيث تم تنصيب الأمير محمد سلطانا ليافع خلفا لوالده يوم السبت ٣٠ يناير وذلك بلف العمامة حول رأسه حسب العادة المتبعة.

وقد حدث خلاف حول ذلك بين اثنين من أهل عفيف من البيت الذي له عرفاً لف العمامة حول رأس السلطان المنصّب من

أكبر أفراده سنا وحُسم الخلاف بأن قام أكبر أهل عفيف سنا وهو الأمير معوضه عبدالله بلف عمامة السلطنة.

في تقرير استخباراتي من ملفات مساعد الضابط السياسي بتاريخ ٨ فبراير ١٩٦٠م ورد فيه أن محمد بن عيدروس نُصّب سلطانا من قبل حوالي نصف عقال (مشائخ) مكتب كلد ومعظم عقال مكتب السعدي وبعض عقال مكتب اليزيدي والناخبي واليهري وخمسة من أهل عفيف، و أن بعض عقال اليهري واليزيدي والناخبي لم يصلوا إلى القارة أو يعلنوا اعترافهم بالسلطان الجديد بعد.

على الجانب الآخر عملت الإدارة البريطانية على حجب الثقة عن خصمها بتنصيب أخوه غير الشقيق الأمير محمود بن عيدروس الذي لم يتجاوز الثانية عشر من عمره، ورتبت دعوات باسمه وأرسلت إلى المشائخ والشخصيات الاجتماعية في الجزأين الجبلي والساحلي من يافع يدعوهم فيها لحضور مراسم تنصيبه خلفا لوالده، وذلك في مدينة الحصن بتاريخ ٢٥ فبراير.



السلطان محمود بن عيدروس يلقي خطاب تنصيبه كسلطان
امام منزله في قرية الحصن

شارك في هذا الاحتفال بعض المدعوين من بعض سلطنات ومشيخات الجنوب العربي أمثال السلطان فضل بن علي العبدلي وشريف بيحان والسلطان عبدالله عثمان والنائب أحمد بن عبدالله الفضلي والشيخ محمد بن فريد العولقي ووالده، والسلطان صالح بن حسين العوذلي ونائبه الأمير جعبل بن حسين، والشيخ محمود العقربي كما حضر من الإنجليز المعتمد البريطاني كندي تريفاسكس ومستر ينج ولاري هوبسن الضابط السياسي السابق في السلطنة، وكانت المشاركة الفعلية قد اقتصرت بشكل كبير على أبناء يافع من الجزء الجبلي المتواجدين في المنطقة الساحلية.

وقد طُلب من هؤلاء المشاركين القدوم برقصات البرع والرواجز كل يمثل مكتبه وفي هذا الصدد قال عبد الحق بن سالم متقدم مكّتب اليزيدي راجز استجوب وسُجن بسببه:

قال اليزيدي من حضر بقعة شهد	على طريق الحق ولاّ عالخلاف
القفل والمفتاح في يد الأسد	لو بايفيض البحر من فوق الطفاف

وقد تم توزيع خمسين بندقية على كل شخص أو متقدم أحضر معه عدداً من المرافقين بواقع بندقية لكل واحد منهم ماعدا ثلاثة منحوا من ثلاث بندقيات.

وفي تقرير سري من رئيس استخبارات المنطقة الوسطى (روبين ينج) وموجه إلى المستشار والمعتمد البريطاني في ١١ مارس ١٩٦٠م أورد فيه أسماء من حضروا تنصيب محمود بن عيدروس كسلطان، وكذلك أورد أسماء من وزعت عليهم البنادق بهذه المناسبة.

الإدارة البريطانية اتخذت إجراءً آخر، وهو تشكيل مجلس وصاية على السلطان محمود باعتباره قاصراً حتى يبلغ سن الرشد، وتكوّن ذلك المجلس من أربعة أعضاء يرأسهم العاقل حيدره منصور نائب السلطنة ليافع الساحل (كما كانت تسمى)، وأسمت ذلك المجلس بـ (مجلس أمناء مقام السلطان

محمود)، ويقوم المجلس بما يُفترض أن يقوم به السلطان، بالإضافة إلى رعاية احتياجاته وإدارة أملاكه، وكان من ضمن أعضاء ذلك المجلس الأمير عبدالله علي العفيفي خال السلطان محمود، الذي مُنح كذلك منصب مستشار السلطان، كما ضم المجلس في عضويته أحد الضباط السياسيين الإنجليز. ويعقد المجلس اجتماعاته شهرياً كما كان يقر الميزانية السنوية للسلطان وأسرته وميزانية المدرسة والداخلية التي كانت باسمه وبُنيت وأُديرت من ماله الخاص، كما كان يتابع مشاكل أراضي وأملاك السلطان والاعتداءات عليها..قام ذلك المجلس بالتصرف بمئات الأفدنة من الأراضي الزراعية الخاصة بالسلطان وذلك بأوامر من رئيسه.. وكان أهم هدف لذلك المجلس هو التأكد من عدم حصول السلطان محمد في المنطقة الجبلية على فلس واحد من عائدات أملاك والده.

لاحقا وفي نفس العام الذي توفي فيه والده أخذ السلطان محمود إلى بريطانيا لاختيار المدرسة التي سيكمل تعليمه فيها مع أخيه فيصل، وفي عام ١٩٦٢م سافرا والتحقا بكلية براد فيلد (Bradfield).



السلطان محمود بن عيدروس وشقيقه الأمير فيصل يصعدان سلم الطائرة في طريقهما إلى لندن للدراسة

كانت الإدارة البريطانية ونائب السلطنة في المنطقة الساحلية يعملون بعض الحساب للسلطان عيدروس قبل وفاته رغم أنهم عمليا قد عزلوه. ومجلس السلطنة الذي ترأسه العاقل محسن حسن

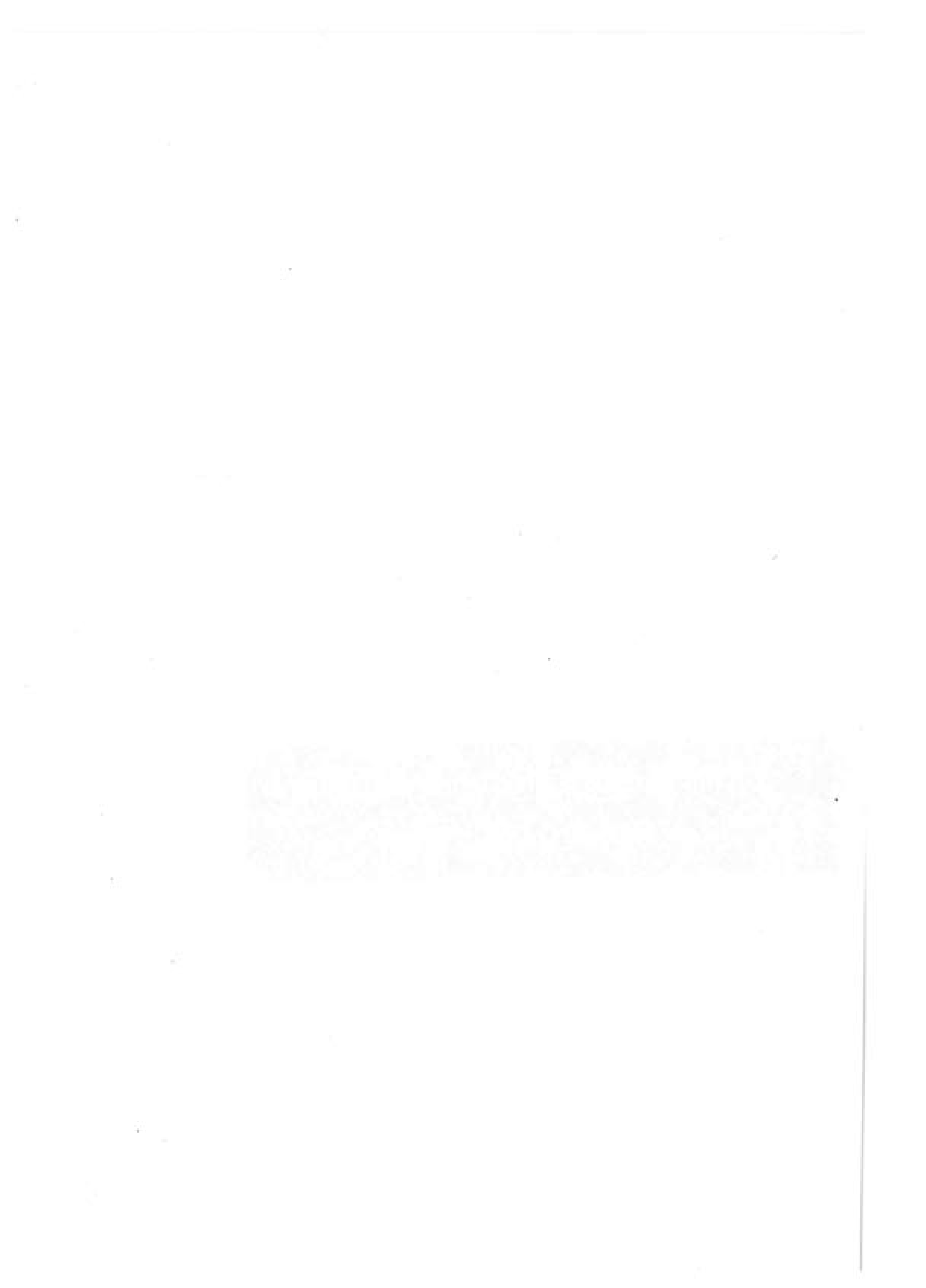
منصري بعد مغادرة السلطان محمد للجزء الساحلي من يافع، أصبح لا يعقد اجتماعاته الا كل ثلاثة أشهر، والمطلع على محاضره لتلك الفترة يلاحظ قلتها وتعاستها من حيث الشكل والمضمون.

دُعي المجلس للاجتماع في اليوم الثاني لوفاة السلطان عيدروس، وأعلن تنصيب محمود بن عيدروس اعتبارا من ٢٩ يناير ١٩٦٠م، كما أعلن الحداد لمدة يومين عُطلت فيها الدوائر الرسمية كما أُعتُبر ذلك التاريخ يوم وطني للسلطنة يحتفل به سنويا.. بعد وفاة السلطان عيدروس تم هدم دار السلطان المسمى دار (القلعة) أو قلعة أحمد بن علي والتي كانت تقع جنوبِ غرب جبل خنفر وبني مكانها مركز عسكري تابع لقوات شبر. وكذلك كثر المدعين والباسطين على أراضي السلطان.

بينما كانت تتم نقاشات بين الضباط السياسيين الإنجليز ومراسلات تتحدث عن كيفية التصرف بهذه الأراضي، وكان بعضهم يقدم مقترحات بإعطاء السلطان محمود نصف أراضي والده أو نصف محصولها.. و بعضهم كان يؤجل البحث في مثل هذا الأمر إلى وقت لاحق، إلا أن تلك الزوبعة العامة حول أراضي السلطان التي ظهرت بعد وفاته مالبثت أن هدأت بعد فترة ليست بالطويلة، وتم التصرف بمعامل السلطان الخاصة (غيرالمؤجرة مع المزارعين) وذات المردود الأكبر بشكل هادئ بعيدا عن الادعاءات التي طرحت.

مما يجدر ذكره أن كان للسلطان عيدروس ثلاثة أولاد ذكور من أمهات مختلفات، ثالثهم كان الأمير فيصل بن عيدروس والذي يصغر السلطان محمود بأقل من سنة.. العاقل حيدره منصور سعى إلى إخراج الجزء الساحلي عن سلطنة يافع بني قاصد المعروفة، فتارةً كان يسميها سلطنة يافع الساحل وأخرى ولاية يافع الساحل وأطلق على نفسه صفة حاكم ولاية يافع الساحل في منتصف عام ١٩٦٦م..كما تم إيقاف عائدات القطن والمحاصيل الأخرى عن أولاد عم السلطان محمد وبعض أهل عفيف الذين ظلوا معه في القارة ووزعت أراضيهم كما كان يسمى بتوزيع مؤقت وعلى المناوئين لـ محمد بن عيدروس.

المشاركة المعنوية والإعلامية والمادية
من أبناء يافع وغيرهم



لم تجد المقاومة وقوداً لاستمرار اشتعالها إلا في حدود المشاعر المعنوية الوطنية واستمرار تأجيجها والتراجع إلى موقف دفاعي بالعمل على إفشال محاولات أصدقاء الإدارة البريطانية في المنطقة الجبلية الذين كانوا ينشرون سياسة الترغيب والترهيب لجعل قبائل يافع تتخلى عن السلطان محمد، ويبالغون في ما يرفعونه من تقارير ربما لغرض في نفوسهم.. وفي الاتجاه نفسه واصل سلاح الجو قصفه بضرب (فلسان) مرة أخرى في ١٦ يونيو ١٩٥٩م وقد قُتل جراء ذلك محمد ناصر عبدالرحيم وعبدالرب ناصر عبد الكريم، كما قصف منزل صالح عبداللاه البادع في ذي صرى يافع بني مالك وصالح عبدالقوي حسين في المحجبة أيام ١٦، ١٧، ١٨ يونيو نفس العام الموافق ٩، ١٠، ١١ ذي الحجة ١٣٧٨ هجرية، والمذكورين قُصفت منازلهم بحجة أنهما كانا يعملان مع محمد بن عيدروس ومن أنصاره عندما كان في الجزء الساحلي من يافع، وقد لجأوا معه إلى المنطقة الجبلية. كما قامت طائرات سلاح الجو بنفس التاريخ بمحاولة قصف منزل محمد صالح المصلي لكنها أخطأته وذلك بدعوى اتصاله بدولة أجنبية ومناصرته لمحمد بن عيدروس.. وقصفت منطقة الدرب بالحد منزل (محمد صالح دوعني) وال موسى علي.

أكثرت الطائرات البريطانية من إسقاط المنشورات التي تصف محمد بن عيدروس بـ(المجرم) و (قاطع الطريق) وتصف أنصاره كذلك، وتتوعد من يؤيده أو يمد يدالعون له بأن مصير منزله ومزرعته كمصير من سبقوه، وتعد من يتفاهم مع الإدارة البريطانية ويتجه إلى الجزء الساحلي لذلك الغرض بأنه سيكافأ بصيانة أملاكه بالإضافة إلى الرضى المعنوي والمادي.

تركز نشاط محمد بن عيدروس في تلك الفترة على مجابهة تلك المحاولات لزعزعة معنويات القبائل في يافع بتوجيه حرب إعلامية مضادة عبر رسائله إلى مشائخ وشخصيات يافع، وعبر المنشورات التي يوزعها بين الحين والآخر وعبر البيانات التي كان يرسلها أحيانا عبر إذاعة صوت العرب من القاهرة وعبر إذاعة صنعاء - وكان ذلك الدعم الوحيد تقريبا المقدم من الإمام-و يرسل مثل تلك المنشورات مع رسائل إلى أنصاره في عدن مع أحمد درويش الطالبي وآخرين.

كما ساعده في ذلك البرامج والتعليقات التي كانت تذاع من صوت العرب ومن صنعاء وتتكلم عن الثورة في يافع وتشحذ همم أبنائها على التحدي والصمود في وجه قوة عدوهم وجبروته.. كما كان لبعض الصحف والكتاب والوطنيين دور مماثل من خلال معظم الصحف في عدن التي كانت تمجد ثورة يافع وسلطانها ماعدا الصحيفة الرسمية لحكومة الاتحاد المسماة (صوت الجنوب) التي كانت تتحدث في الاتجاه المعاكس لما يصدر عن بقية الصحف.

التعليقات القوية من إذاعة صوت العرب ومن إذاعة صنعاء في البرامج المخصصة للثورة في يافع وكذلك الأناشيد الحماسية والتي كتب بعضها لهذه الثورة مثل أنشودة اسكندر ثابت (سلام ألفين للدولة وللعسكر)، كلها مثلت حلقة وصل مع المغتربين وألهبت مشاعرهم في دول الخليج والسعودية، مما حدى بهم إلى تكوين مجموعات حاولوا جمع التبرعات فيما بينهم وإرسالها إلى السلطان محمد عبر وسطاء معروفين لديهم أمثال هادي أحمد عبدالرب بن سليمان، علي شايف بن عبدالباقي، سالم صالح محمد السعدي، عبدالرحمن عبدالله بن درويش اليهري، صالح محمد سالم السعدي، عبدالله محمد سالم السعدي.

كانت التبرعات متواضعة ولم يتعد حدوثها عدد أصابع اليد الواحدة، مقارنة بالحاجة الفعلية لاستمرار مقارعة الاستعمار، إلا أن قيمتها المعنوية كانت كبيرة وفاعلة.

كما كان يوجد من أبناء يافع المتواجدين فيها وظروفهم المادية متيسرة ممن يعملون على المساعدة على شكل سُلف من آن لآخر أمثال سالم ثابت الحربي اليهري وشيخ بن زيد السعدي والأمير هدار بن محمد محسن العفيفي، وكان الأول يتسامح ببعض مما قدمه من سُلف.

كما قدم البعض من خارج يافع المساعدة المالية سرا لمحمد بن عيدروس أمثال السلطان فضل بن علي العبدلي، كما كان يواصله بالأخبار المهمة سرا.

بالنسبة للسلطان عيدروس قبل وفاته والذي كان متواجداً في الجزء الساحلي من يافع، فلم يكن يستطيع تقديم أية مساعدة لولده لأنه كان في حكم المعزول من ممارسة السلطة كما ذكرنا سابقا. والسلطة الفعلية كانت بيد العاقل حيدره منصور نائب السلطنة، بالإضافة إلى كونه تحت المراقبة الشديدة. وقد حدث في إحدى المرات أن أراد اختبار تلك المراقبة فتحدث إلى أحد أتباعه من نافذة منزلة في جبل المنقاش وطلب منه أن يستعد للسفر في اليوم التالي إلى القارة ليحمل رسالة اليها وكان له هدفان من هذا الإخطار غير السري، الأول ايصال مضمون رسالته إلى الإدارة البريطانية والثاني معرفة مدى الرقابة المفروضة عليه.

عندما توجه حامل الرسالة في اليوم التالي نحو القارة أُوقف وتم تفتيشه وقراءة الرسالة التي يحملها وكان مضمونها مراجعة ولده الأمير محمد ودعوته إلى التصالح مع الإدارة البريطانية.

لذلك كان جُل اعتماد الأمير محمد على تمويل الصمود من عائدات أملاكه من الأراضي الزراعية في الجزء الجبلي وهي متواضعة جداً مقارنة بالعمل المفترض.



السلطان محمد يشرب القهوة في استراحة ويظهر واقفا على اليمين الأمير عبدالرب محمد العفيفي
وخلف السلطان الشيخ عبدالله علي ثابت والى جانبه علي سعيد بن رباح



السلطان محمد مع القبائل في يهر



صورة تذكاريه مع احد شباب قبائل يافع في احدى تنقلاته

وكان يصرف كل عائداته على الصراع القائم ضد الإنجليز ومعظم ما كان يصرفه كان للمؤلفة قلوبهمِ حتى لا يقعوا تحت إغراءات خصومه و لا يصرف على أسرته إلا بمستوى متوسطي الدخل في منطقة يافع.

على الجانب الإعلامي والتحريضي في عدن والجزء الساحلي من يافع، أُعتبر العديد من الشخصيات من أبناء يافع كأبواق دعاية وتحريض لمحمد بن عيدروس حسبما ورد في التقارير الاستخباراتية للإدارة البريطانية، لذلك ورد فيها أن محمد عثمان بن معوضة اليهري يعتبر ناقلاً للرسائل مع من هم في المهجر ومحمدهيثم حسين المطري اليهري وكان يعمل في شركة الهلال للنقل البحري، أُعتبر محرضاً وناقلاً للأموال والرسائل، كذلك حنش بن علي علوي الوطحي اليهري وكان يعمل في مصافي عدن ورد أنه كان يتواصل مع القارة بالتنسيق مع محمد هيثم المطري، ومحمد زين عمري اليهري الذي كان موظف في مطار عدن ورد أنه (بربجندا) وكذلك عبدالرب جبران بن الحاصل اليهري وكان يعمل ملاحظاً جوياً، وصالح بن حمزة اليزيدي وكان يعمل مدرساً في جعار وعلي ثابت اليزيدي ويسكن جعار وسعيد حسين اليزيدي وعلي حسين اليزيدي وكانا يسكنان في البريقة (عدن الصغرى).

العاقل مُحُمد شيخ بن هيثم الكلدي ورغم كونه من أعضاء مجلس السلطنة إلاّ أنه أعتبر من المتعاطفين مع محمد بن عيدروس.

وفي محاولة لتتبع خط النبرعات التي تصل محمد بن عيدروس، ورد في التقرير المقدم من مساعد المستشار (جودفري مينل) ويلفظ الأهالي اسمه بـ (ميلن) والمرفوع إلى المستشار ووكيل التاج البريطاني في تشامبيون لاين بتاريخ ٢٢ مايو ١٩٦١م، ورد أسماء خمسة عشر تاجرا من أبناء يافع كان في مقدمتهم علي عبدالله العيسائي وعمر قاسم العيسائي، الاّ أنه ورد في نهاية التقرير أنه توجد لهؤلاء تعاملات مالية مباشرة بين الخارج ويافع ويوجد شك بسيط بأن تكون أموال التبرعات تصل محمد بن عيدروس عبر تحويلات هؤلاء التجار إلاّ أنه لا يملك أي دليل ضد أي منهم.

معركة سلب



قرب نهاية شهر أكتوبر ١٩٦٠م تأكد للسلطان محمد خبر زيارة وفد كبير إلى سلب بناءً على دعوة من الخضر الشقي الذي أ طلق على نفسه صفة سلطان.

و كان المذكور من أصدقاء الإدارة البريطانية. وتأكد للسلطان أنه تحت غطاء تلك الزيارة سينصب جهاز اتصال وتمركز بعض القوة العسكرية المدربة على استخدام المدافع بالإضافة إلى جهاز الاتصال وسيكون حجم المركز أكبر من ذلك الذي أقيم في (المريقب) في سرار، وسيمثل هذا المركز إذا ما تم عنق الزجاجة الذي يتحكم بالحركة بين القارة والبيضاء بالإضافة إلى قربه من القارة وتهديده لها، كما كان يتوقع أن يتجه الوفد إلى (حلين) بعد زيارة سلب.

أُرسلت الرسائل من السلطان إلى قبائل يافع تدعوهم للحضور إلى مناطق محددة لكل مكتب، كما أفادهم أن ياتي كل فرد منهم ب (قرصه وقرطاسه) أي بزاده وزناده و أوضح لهم أن باطن الزيارة غير ظاهرها وعليهم إرجاع الوفد من حيث أتى.

من بادر بالحضور إلى القارة طالبا ذخيرة للمعركة المحتملة وجد الاعتذار من السلطان، فإن كان لديه مايكفيه منها فليتجه إلى حيث هو محدد له و إن لم فليعد إلى قريته.

اتضح لاحقا أن حجم الوفد الضيف بلغ عدد أفراده حوالي مئة فرد بخلاف من سبقوهم من قوة (شبر) لتأمين منطقة الضيافة، وقد كان قدوم الوفد الضيف بسيارة بدفورد عسكرية كبيرة واثني عشرة سيارة لاندروفر مع ستة مدافع.

عند وصولهم الى (امدقيقة) قادمين من زارة تاريخ ٢٧ أكتوبر ترجلوا من السيارات وبدأوا المشي على الأقدام حوالي الساعة السابعة صباحا وبعد حوالي مسافة ٧٠٠ متر من تقدمهم أطلقت عليهم بعض

الأعيرة النارية من جبل (امسودا) شمال وادي (ذي زيد)الذي كانوا يمشون فيه و قد رد أفراد الحرس الوطني الاتحادي المرافق للوفد وعددهم خمسين جندياً على تلك النيران بكثافة خاصة ولديهم أسلحة أوتوماتيكية من نوع رشاشات (برن جن) وأصيب بجراح طفيفة اثنين من الحرس الاتحادي والضابط الإنجليزي (جودفري مينل)، والذي نُقل عنه لاحقا قوله: لقد أصبت في رجلي مرتين الأولى من عبدالناصر في قناة السويس والثانية من محمد عيدروس في يافع.

وصل إلى منطقة الحادث الأمير جعبل بن حسين العوذلي ومعه عدد كبير من قبائله، بينما عاد معظم الوفد إلى لودر، واصل الأمير جعبل ورجاله والعاقل حيدره منصور وعبدالله أبوبكر القحيم وعلوي بن أحمد العفيفي طريقهم إلى بيت الخضر الشقي الذي وصلوه بعد ساعتين والمعركة مستمرة في تلك المنطقة.

حدد السلطان محمد محاور تمركز قبائل المكاتب وبقيادة أولاد عمه، فقد كانت قيادة الأمير محسن بن حمود لقبائل مكتب كلد التي حُدد لها التمركز في منطقة مفترق (سلب -حمة) التي تصل إليه الطريق عن طريق(يرامس) بلاد الفضلي، وفي منطقة حبيل(تي الحبيل) تجمعت القبائل من مكتب اليزيدي بقيادة الأمير حمود بن غالب محسن، وقد التحقت بهم قبائل وصلت في اليوم التالي من خموس يهر العليا، بينما تجمعت القبائل من مكتب السعدي وقبيلة الشبحي من يهر وبعض من مكتب اليزيدي بقيادة الأمير عبدالمجيد بن حمود والأمير فضل بن عبدالله في منطقتي (نخرة) و (ظبة) ويرافقهما من أهل عفيف الأمير معوضة بن حسين بن علي والأمير فضل محمد غالب مع صغر سنه حينها، بينما تولى السلطان نفسه قيادة المحطة الرئيسية في الطريق المؤدي إلى سباح من المنطقة الشرقية وقد وضع فيها عدة كمائن مع قبائل من يهر وأهل تصة وحدق وآل القحيم من مكتب الناخبي، كما كان معه من أهل عفيف

الأمير فضل بن عبدالله والأمير عبدالقادر بن محمد ناصر والأمير عبدالرب بن محمد ناصر، وقد قدر البعض أن عدد القبائل الذين لبوا طلب السلطان وتواجدوا في المحاور التي حددت لهم مسبقا قد وصل إلى مابين ألفين إلى ثلاثة ألف مقاتل بالتقديرات المتحفظة ولا يدعمهم أي مخزون إحتياطي من الذخيرة أو من الغذاء إلاّ ما أتوا به معهم فرادى.

كانت التعليمات تقضي بأن تأخذ كل مجموعة مركزها و أن لا تبادر القادمين بإطلاق النار حتى يتوسطوا طريقهم، الاّ أنه حدث في ليلة ٢٧ أكتوبر أن فوجئ المقاتلون من آل يزيد في منطقة ضبة عند توجههم إلى المواقع المحددة لهم بأن خصومهم قد سبقوهم إلى روابي تطل عليهم، لذلك بدأ اطلاق النار من الرتب الأمنية التي تمركزت في تلك الروابي لسلامة الوفد القادم، قامت مجموعة من حوالي أربعين مقاتلاً من آل القحيم وآل عصر وآل حدق بقيادة جعبل صالح العماري بالإلتفاف من جهة الشمال حتى أشرفت على (امدقيقة) وقامت المجموعة بإطلاق النار على الوفد الذي أنسحب إلى لودر حسبما ذكرنا سابقا، بينما تواصلت المعركة مع رجال الخضر الشقي وقوات شبر التي سبقت الوفد وقد تقدمت أبناء قبائل يافع حتى أشرفوا على منزل الخضر الشقي وقد لقوا مقاومة قوية من أنصاره رغم قلة عددهم والذين ساندهم لاحقا عدد من قبائل الأمير جعبل بن حسين العوذلي، وعندما توقف القتال في المساء عاد المقاتلون إلى محطاتهم الرئيسية.

بعد مغرب يوم ٢٩ وصل إلى (حبيلة الحبيل) محمد صالح المصلي وبرفقته ثمانية من يافع بني مالك، بعد أن استلم رسالة من السلطان يخطره فيها بإخبار الوفد الضيف القادم إلى سلب، والذي بدوره نسق مع الشيخ أحمد أبوبكر النقيب شيخ الموسطة، فاتجه الأخير إلى (قُريضة) مع حوالي خمسين فرداً للتمركز هناك.

كانت علاقة المصلي بالسلطان محمد قد نشأت عام ١٩٥٨م بعد قصف دار لقواد وكان يحارب الوجود الإنجليزي سياسيا منذ زيارة الملكة اليزبث الثانية لعدن عام ١٩٥٤م، الا أن محاولة قصف منزله وقصف منازل صالح عبداللاه البادع وصالح عبدالقوي حسين وآخرين وورود خبر من إذاعة لندن عن وزير المستعمرات أن ذلك تم بناءً على طلب السلطان محمد بن صالح هرهرة وأولاده.

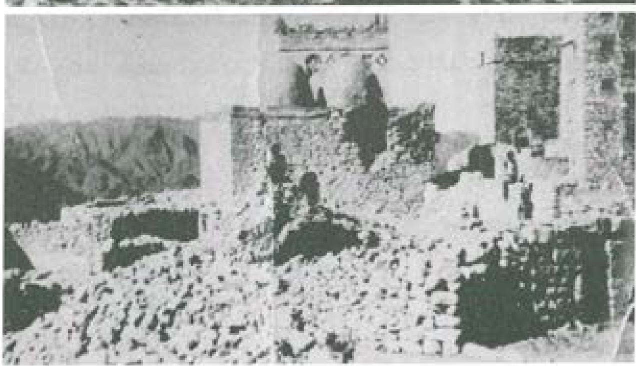
ذلك جعله يتحول إلى العمل العسكري من خلال مقارعته للسلطان بن هرهرة صديق الإدارة البريطانية والذي حصل على جهاز إتصال وقوة عسكرية نظامية صغيرة في (حلين) بالإضافة إلى دعم سلاح الجو من وقت إلى آخر .. استلم السلطان محمد عشرين صندوقاً من الذخيرة في تلك الليلة قادمة من البيضاء من محمد بن صالح الرويشان ربما بتصرف شخصي منه.

طُرح في تلك الليلة من بعض المقاتلين، أن لا يرتد المقاتلون إلى المحطات الرئيسية عند حلول الظلام، بل عليهم البقاء في المواقع التي وصلوا إليها، ومع أول ضوء من فجر اليوم التالي ٣٠ أكتوبر أغار سلاح الجو على المحطة المتواجد فيها السلطان ومشطها بالرشاشات ولم تحدث إصابات من جراء ذلك لأن نيران الطائرات وجهت بشكل كثيف إلى مناطق الأشجار والمناطق التي كانوا فيها في اليوم السابق، بينما كان المقاتلون في الجبال المواجهة لها و ذلك يرجع إلى أسلوب السلطان محمد القاضي المتمثل في عدم المكوث في موقع واحد لفترة طويلة. ومع الساعة الثامنة صباحا اتجه سرب آخر إلى القارة وقصف منزل السلطان ومنزل أولاد عمه فيها، وقرب المغرب تم قصف منازل آل القحيم في (السورق).

عمليات سلاح الجو جعلت المقاتلين يتفرقون للإختباء، كما هزت معنويات الكثيرين منهم الذين لم يتوقعوا بأن تكون هناك عمليات خلفهم وكل فرد أصبح قلقاً على قريته ومنزله وأسرته مع عدم علمهم أين كان يتم قصف الطائرات وما هي القرية التالية.

في ليلة اليوم الرابع جرى لقاء بين السلطان وبين بعض المقاتلين وأصحاب الرأي للتشاور حول ما يجب عمله في اليوم التالي وانقسم الموجودون إلى فريقين: فريق و منه عيدروس عبدالله فدعق وعاتق عبدالله فدعق يرون بمغادرة السلطان والقبائل أو على الأقل السلطان إلى منطقة (الصعيد) خوفا مما سيقوم به سلاح الجو في اليوم التالي، وفريق ومنهم أحمد درويش الطالبي وشيخ بن زيد ومحمد صالح المصلي وحسين عبدربه الملجمي، ويرون بأن ينسحب السلطان من المكان الذي سبق و أن ضُرب إلى مكان آمن ويبقى المقاتلون في مواقعهم التي وصلوا إليها مع تجنب فتح باب القتال.





التدمير الذي ألحقه سلاح الجو البريطاني بالمسجد

ومنزل السلطان وأولاد عمه في القارة

أثناء ذلك أشيع أن أفراد القبائل قد غادروا ولم يبق الاّ السلطان ومن هم حوله، ولقطع الشك باليقين تم تكوين لجنة للتحقق من هذا الأمر وقد عادت هذه اللجنة لتؤكد تلك الإشاعة.

تأكيد اللجنة هذا ألقى كل الترتيبات السابقة وتحرك السلطان عائدا نحوالقارة، وبينما هو كذلك خرج رجال القبائل من مخابئهم ولحقوا بالسلطان، فاتضح بعد فوات الأوان أنهم لم يبرحوا المنطقة وإنما كانوا مختبئين بعد حركة تمشيط سلاح الجو، كذلك وليس ببعيد من المحطة على الطريق المؤدي إلى القارة وصباح يوم ٣١ من أكتوبرالتقوا بأعداد كبيرة كانت قادمة من المناطق البعيدة من يهر متجهين إلى المعركة بمراكز ورواجز.

وهناك حادثة جرت في اليوم الثاني من معركة سلب لابد من ذكرها لتفردها، حيث حضرت إلى حبيلة الحبيل زوجة عبد القوي بن أحمد من أهل عامر وتدعى (شيخة) ومعها مسب[١٤] وفيه ذخيرة وخبز ومتمنطقة بحزام من الذخيرة وحاملة سلاح زوجها الكبير في السن. قامت بتوزيع الخبز الذي أحضرته معها على المقاتلين وأعطت السلطان قطعة منه، وأصرت على المشاركة في المعركة وقد سُمح لها بذلك إلى الوقت الذي يتيح لها العودة إلى قريتها قبل حلول الظلام.

المفارقة العجيبة في الأمر أن ولد هذه المرأة التي ناصرت السلطان محمد ولا زالت من أنصاره، كان من ضمن الذين شاركوا في قتله في فترة لاحقة.

---

١٤ كيس أو جراب مصنوع من جلد الغنم

عاد السلطان إلى القارة وسكن في بيت شعبي مكون من دور واحد يسمى (بيت عياش) وذلك بعد هدم داره الثاني في القارة، وكان يقضي النهار فيه وينام في منزل سعيد أمين وبعض الأحيان في منزل الأمير هدار بن محمد، كان يشعر أنه مطارد من قبل المخبرين المأجورين ومن قبل سلاح الجو الذي لا يملك وسيلة للتصدي له عن نفسه وعن يافع.. ويدل على هذا الأمر ما أورده (فرانك ايدواردس) في كتابه الجيش من أن السرب الثامن قد تحول بين الأشهر من يناير إلى شهر مايو من عام ١٩٦١م إلى صيادين قضوا هذه الشهور في ملاحقة محمد بن عيدروس بين جبال يافع ولكنهم لم يجدوه.



السلطان محمد أثناء انتقاله من منزل الامير هدار الى منزله

وماحدث في سلب أثار حفيظة الإدارة البريطانية كما يبدو فعملت على تكثيف وتنظيم عملياتها الاستخبارية عن خصمهم وأنصاره ومن خططهم التي وضعوها للوصول إلى القارة واحتلالها.

فلقد درسوا محيط القارة الطبوغرافي، وحددوا كيفية التعامل مع القبائل والطرق ومياه الشرب وموسم الأمطار والسيول، وذلك في كل خيار وضعوه.

وحُددت ثمانية خيارات للمسالك المؤدية إلى القارة، وتم تفضيل الخيار الثامن والذي يقضي بالتحرك من زارة عن طريق وادي ملح (وادي امسعيد) فالسيلة البيضاء، ثم امدقيقة، فوادي ذي يزيد فوادي سبيح ثم سلب نخرة فالقارة، وقد حُددت القبائل التي ستمر الحملة عليها في طريقها إلى القارة ووضعوا لهذا الأمر عدته وذلك باعتبار استدعاء أصدقاء الإدارة البريطانية من تلك المناطق وتكليفهم بإقناع قبائلهم وأهلهم بمساندة الحملة أو على الأقل عدم التعرض لها. ومن متطلبات الخطة عمل محطة متقدمة للجيش في منطقة سبيح، وتوقع المخططون أن من يتحصن بالقارة لن يصمد طويلا نتيجة لعدم توفر مياه الشرب فيها وبالأخص إذا استخدم سلاح الجو عليها.

مثل ما كان للإدارة البريطانية من أصدقاء ومخبرين يبلغون عن تحركات محمد بن عيدروس، فقد كان للأخير أنصار ومحبين يواصلونه بتكتم شديد.

لذلك كانت تصله معظم خطط الإدارة البريطانية ومن ضمنها خطة إسقاط القارة ومن عدة محاور.

أعد السلطان محمد منشوراً موجهاً إلى جميع أبناء يافع أعلمهم فيه بنية الإدارة البريطانية ودعاهم للاحتراس والتصدي لمثل هذا المخطط.

على الطرف الأخر تسلمت الإدارة البريطانية تقارير مخبريها بأن قبائل يافع وبناءً على تعليمات السلطان محمد قد تواجدت في مفارق الطرق المؤدية إلى القارة وكان يُتوقع قيام تلك الحملة مع نهاية شهر أبريل أو بداية شهر مايو.

وأفادت التقارير المرسلة من يافع أن أهل يزيد تمركزوا في وادي سلب، و أهل كلد تواجدوا في منطقة حمة على مفرق الطريق المؤدي إلى (مسكبة) وسلب حمة، و أن حوالي ثلاثمائة من قبائل يهر تمركزوا في جلة يهر.

في الفترة بين ١٣ فبراير ١٩٦١م، إلى ٩ أبريل من نفس العام قام سلاح الجو البريطاني بقصف العديد من قرى ومناطق يافع بشكل متواصل ليل ونهار.

ورافق ذلك القصف إسقاط منشورات تدعو قبائل يافع إلى عدم مناصرة محمد بن عيدروس أو تقديم العون له و أن من يفعل ذلك سيتعرض منزله وأرضه للقصف من قبل سلاح الجو البريطاني، ثم تطورت صيغة المنشورات فأصبحت تطالب بخروج محمد بن عيدروس من يافع، وهددت بأن قصف قرى يافع لن يتوقف إلاّ بخروجه. وكانت الطائرات البريطانية قد أسقطت حوالي ١٩ إنذاراً على يافع بني قاصد وحوالي ٦ إنذارات على مناطق يافع بني مالك في الفترة مابين ١٦ يونيو ١٩٥٨م إلى ٣١ أكتوبر ١٩٦١م.

أصبحت عيون المخبرين مركزة بشكل أكبر على أماكن تواجد السلطان، وتيقن من أنه أصبح مستهدفاً شخصيا لذلك تجنب السكن في أي منزل مراعاة لأصحابها، ولأن السكن في المنازل أصبح غير عملي بالنسبة لوضعه، كان يتنقل في شعاب الجبال وبين الديم المهجورة[15]، وكان لا يكثر من المرافقين، فقط اثنين أو ثلاثة حتى لا يكون وجوده ملحوظاً في أي مكان يكون هو فيه ومعظم الوقت كان مرافقيه في تلك الفترة هم أحمد درويش الطالبي وعبدالرب محمد العفيفي، وكان لا يستقر في مكان واحد أكثر من يومين وبعض الأحيان لا يستقر أكثر من ساعات وقد ضُربت عدة أماكن بعد أن غادرها وكانت تنقلاته بين جبل (الشقيقة) والجبال المحيطة بوادي (ذي عسيم) وديمها.

وقد حرص وهو خارج القارة على تأمينها بوضع عدد من رجاله الذين يثق بهم وبمراستهم في القتال، فقد بلغه أن هناك خطة للاستيلاء عليها من داخلها، وذلك بعملية تسلل لبعض أنصار الإدارة البريطانية إليها ثم قيامهم مع بعض من أهل عفيف المختلفين مع السلطان بالاستيلاء عليها على أن يتم مدهم بالدعم من الجو إلى أن تصل إليهم طلائع الحملة القادمة من زارة عبر سلب.

إكتشاف الخطة المرسومة لإسقاط القارة مع توصل الإدارة البريطانية إلى قناعة أن احتلال القارة أمر ليس بالصعب ولكن ما الفائدة من وراء ذلك ومن وراء التواجد في وسط محيط معاد وأرض جبلية وعرة صالحة لحرب عصابات، بالإضافة إلى تجربة الإنجليز مع قبائل الربيزي والدماني في الأعوام ٥٤ و ٥٥ التي خلصوا منها إلى تجنب معارك القتال البري بين الجبال وتفضيل استخدام سلاح الجو خاصة بعد تطويره بطائرات حديثة عام ١٩٥٨م.

١٥ الديم هي جمع ديمة وهي الغرفة الصغيرة التي تستخدم للحراسة أو لحفظ الحبوب والأعلاف

من جهته قام السلطان محمد بتوجيه منشور نبه فيه قبائل يافع إلى ما تعتزمه الإدارة البريطانية وذكر فيه (إننا قد نقتل وقد تستطيع الإدارة البريطانية التغلب علينا واحتلال يافع لكن لن يتم لهم ذلك إلا بعد أن نقاومهم ونموت بشرف) ويستدرك (إن الله مع الحق ونصير المظلومين وهو غالب على أمره).. ركزت الإدارة البريطانية بالضغط على يافع بالقصف المستمر والمطالبة بخروج محمد بن عيدروس منها.

في ٢٨ مارس قام بزيارة خاطفة للزاهر لمدة يوم واحد عاد بعدها إلى القارة في ٣٠ من نفس الشهر، وبعث برسائل إلى مختلف القبائل يدعو عقالها وعرافها إلى لقاء يوم الخميس الموافق ٦ أبريل[16].

في تقرير استخباراتي يدلل على شدة الملاحقة الشخصية للسلطان محمد يذكر فيه مرسله بأن السلطان محمد زار الزاهر.. ومكث مدة يوم وليلة عند الشيخ سالم عبدالقوي الحميقاني، وعاد إلى الخضراء يوم الأربعاء، ثم إلى القارة يوم الخميس وكتب إلى مكاتب يافع يطلب اللقاء بهم يوم الخميس، (الذي يليه) ٢١ شوال ١٣٨٠هـ (١٩٦١/٤/٦م) أما عن طلبكم عن مكان جلوسه فالمذكور من وقت (المبرز) إلى نهاية آخر الليل في (سقيفة) شرقي القارة (و أورد تفاصيل موقعها وشكلها) و بأنه ينام في بيت(هدار) (وحدد مكان الدار وشكله، وأما خارج القارة إذا توجه على(ذي عسيم) فإنه يسكن في بيت الشامي (وحدد موقع الدار وأدواره وشكله) وإذا اتجه(الخربة) فيسكن في بيت ثابت أحمد السعدي (وحدد بأنه الوحيد بالقرب من مسجد السبعة).

واكد المخبر أنه قد خصص ثلاثة أشخاص ليأتوه بتلك المعلومات وكل واحد منهم لا يعرف بالآخر ودفع لكل منهم خمسة

١٦ ربما كان غرض هذه الزيارة للتعزية بمقتل محمد بن صالح الرويشان الذي أُغتيل في محاولة اغتيال الإمام احمد في الحديدة في ٢٢ مارس ١٩٦١

عشر ريال فرنسي (ماريا تريزا) و أن إفادات الثلاثة جميعهم كانت متطابقة مما يدل على صحتها.

كما حذر المخبر مستلم التقرير من أن المذكور (يقصد محمد بن عيدروس) يمكن يعمل مثلكم وعليه أن لا يأمن أي شخص أجنبي (يقصد غير معروف) وفي آخر التقرير ذكر اسمه وتوقيعه وتاريخ التقرير الذي كان يوم السبت ٢٣ شوال ١٣٨٠هـ (٨/٤/ ١٩٦١ م) وتحرك حامل التقرير الساعة الواحدة.

في الأول من مايو قصف سلاح الجو القارة (بيت عياش) الغرف الشعبية التي كان يسكنها السلطان محمد، وقد حدث ذلك بعد تلقيه تحذيرمن قحطان سيف الشعبي الذي كان يعمل في إدارة المعتمد البريطاني والذي أبلغ الخبر إلى ناصر عبد القوي السلفي وهو بدوره اتصل بالأمير حمود بن زين فأرسلو عبدالله علي صوملي على وجه السرعة حيث أوصل التحذير ليلة القصف كما بلغه التحذير أيضا في نفس الليلة من السلطان أحمد بن عبدالله الفضلي وذلك عبر علي عبدالله العيسائي الذي أبلغه باتخاذ قرار استهدافه مباشرة.

كذلك قصفت مناطق في سرار ولمدة ثلاثة أيام، وفي الثاني من نفس الشهر ضربت القارة مرة أخرى (بيت سعيد أمين) الذي كان ينام فيه السلطان أحيانا وكذلك قصفت شعب البارع والخلوة.

مغادرة السلطان إلى البيضاء



من جانبه وجد السلطان محمد أنه عاجز عن مقاومة و ردع سلاح الجو البريطاني الذي يسرح ويمرح ويفعل ما يحلو لخصومه، ووجد أن بقاءه على هذه الحالة يزيد من تدمير المساكن وحرق المزارع في يافع ويزيد من مآسي أبنائها دون أن يكون قادر على الرد أو على الأقل التقليل من تأثير القصف.. لذلك قرر المغادرة إلى البيضاء وكان ذلك في ٥ شهر يونيو ١٩٦١م وقد شرح لقبائل يافع أسباب مغادرته في منشور موجه إليهم كعادته في توضيح كل أمر يقدم عليه ووعدهم بالعمل على شرح قضيتهم لمجلس العموم والحكومة البريطانة وكذلك بالبحث عن دول يمكنها المساعدة بالسلاح وكل أسباب المقاومة ضد الاستعمار.

غادر يافع بعد أن رتب نائبا له هو إبن عمه الأمير محسن بن حمود العفيفي وبجانبه خمسة آخرين من أبناء عمومته.

عندما وصل البيضاء سكن في دار الضيافة ثم نُقل إلى (حيد النصر) حيث مُنح سكن فيه، كما منح مخصص شهري، وقد توجه بعد ذلك بحوالي أسبوعين إلى تعز برفقة النقيب علي بن صالح الرويشان حيث سعى إلى مقابلة الإمام أحمد وكان يرافقه في هذه الرحلة الشيخ أحمد أبو بكر النقيب وعبدالله علي ثابت بن سليمان ومحمد صالح المصلي وهادي أحمد عبدالرب بن سليمان وأحمد درويش الطالبي وصالح عبدالقوي حسين، وقد أرسل له الإمام ثلاثة من وزرائه، منهم عبدالرحمن أبو طالب وزير الخارجية إلى مقر إقامتة بدار الضيافة، لكنه اعتذر عن الحديث معهم وقال إنه لن يتحدث إلاّ مع الامام نفسه أو مع ولي العهد الأمير محمدالبدر. في اليوم التالي رتبت له مقابلة منفردة مع ولي العهد.



السلطان محمد في البيضاء والى يمينه صالح بن ناجي الرويشان

عند مقابلته لولي العهد الأمير محمد البدر شرح له أسباب الخلاف مع الإنجليز وما فعله سلاح الجو البريطاني في يافع و عدم وجود الإمكانية لمقاومة ذلك السلاح، وطلب مساعدة المملكة المتوكلية اليمنية المادية والعسكرية وخاصة في السلاح المتوسط(مضادات الطائرات) وإذا كانت المملكة لا تستطيع تقديم ذلك لأسبابها الخاصة، فعلى الأقل إن كان بمقدورهم أن يعملوا على إيقاف القصف الحاصل على يافع، كما طلب منه الحصول على جواز سفر للسفر به إلى المملكة العربية السعودية.

الأمير محمد البدر طلب منه أولا أن يوحد المعارضة ضد الإنجليز وأعطاه فرصة لذلك. وعلى الفور راسل السلطان محمد الجهات الوطنية المعارضة في عدن وكذلك وجه لهم بياناً منشوراً عبر الصحف التي كانت تصدر هناك لنبذ الخلافات الحاصلة بينهم، وقد حضر منهم إلى تعز ممثلوا أربعة عشر ناد و بعض ضباط الجيش.

قبل حضورهم توجه إلى البيضاء وعقد اجتماعاً يوم ٢٥ يوليو مع بعض رموز الإنتفاضات القبلية في مناطق الجنوب الأخرى أمثال بعض من آل أبوبكر بن فريد العولقي ومن رموز الإنتفاضة في يافع، الشيخ أحمد أبو بكر النقيب ومحمد صالح المصلي وبعض من آل الشيخ علي و عدد لا بأس به من قبائل يافع بني قاصد ويافع بني مالك وطلب من المجتمعين إختيار ممثل يقوم بالتنسيق لحركاتهم في المملكة والخارج، وقد تم الإجماع على كونه الممثل لهم وفوضوه لإتخاذ مايراه صالحاً ومناسباً، ثم عاد مرة أخرى إلى تعز.

عند تواجد القادمين من عدن في تعز اجتمع بهم السلطان محمد واتفقوا معه على أن يرفع للإمام بمطالب المساعدات الضرورية لمعارضة ومقاومة الاستعمار، و أن يُبلغ الإمام بأن محميات الجنوب عند نيلها الاستقلال ستكون ضمن يمن واحد في إطار مملكة دستورية واحدة يكون الإمام أحمد هو ملكها، على أن تكون لهذه المملكة حكومة وبرلمان منتخبان من الشعب.

لم يوافق الإمام على ماطرح وعاد القادمون من حيث أتوا، وفي نفس الفترة قام الشيخ صالح بن حسين الرماح مبعوثا من محمد عبدالله الشامي أمير لواء البيضاء ومستشار الإمام قام بالسفر إلى عدن ومقابلة الوالي وبعدها تم لقاء بين الشامي و والي عدن بالقرب من رداع حيث أحضرت الثاني طائرة إلى هناك و لا يعرف ماذا تم بينهما.

المعروف عن محمد عبدالله الشامي رأيه الواضح والصريح بأنه لا يمكن أن يفرط أو يعرض المملكة للخطر من أجل محمية أو محميات من أرض الجنوب لذلك أوقف أكثر من مرة أوامر من الإمام بتقديم المساعدات للمعارضين للإنجليز وإذا سمح بشيء فيكون ذلك بالحدود التي لا تغني ولا تسمن من جوع.

حاول السلطان محمد أكثر من مرة مقابلة الإمام إلا أنه كان يعتذر، ويعزو البعض ذلك إلى اعتقاد الإمام بالتنجيم والحسابات الفلكية وتنبؤاتها والتي تشير إلى أن زوال ملكه مرتبط بلقائه بالسلطان العفيفي. وتفسير آخر يعزو اعتذاره عن المقابلة إلى علمه بمطالب السلطان محمد سلفا ويعلم عدم استحسان السلطان وضع رهائن مقابل ما يحصل عليه من مساعدة، لذلك وفَر على نفسه حرج رفض مطالب السلطان، الا أن السبب الأكثر إحتمالا هو عدم قدرة الإمام حينها على القيام بمهام عمله أو مقابلة الضيوف بعد اصابته في محاولة اغتياله في الحديدة في ٢٢ مارس ١٩٦١م.

عاد السلطان محمد إلى البيضاء في ٢٩ يوليو، ثم اتجه إلى تعز بعد أسبوعين ومنها إلى الحديدة لمتابعة الاتصالات مع المملكة العربية السعودية طالبا السفر إليها والتي رحبت بمجيئه على عهد الملك سعود.

استعد المغتربون من أبناء يافع في السعودية لاستقبال السلطان وجُمعت التبرعات لذلك الاستقبال وخُصصت مداخيل بعض ملاعب كرة القدم في تلك الفترة لصالح الثورة في يافع، وقبل السفر بيوم وصلت السلطان برقية من ديوان الملك سعود تعتذر عن إتمام الزيارة كون الملك يعاني من وعكة صحية وسيذهب للعلاج في الخارج في ذلك الوقت، وحول نفس الموضوع حول حسين محمد بن عسكر وعبدالقوي سيف ومحمد عثمان مبلغ وقدره (١١٤٢) ريال (ماريا تريزا) بواسطة البنك الأهلي التجاري السعودي بصنعاء بتاريخ ١٩٦٢/٦/٧م و هو ماجمع من تبرع من أبناء يافع في جدة ومكة عندما علموا بزيارة السلطان محمد، إلا أن إرسال المبلغ تأخر بسبب شخص يدعى حمزة عمر والذي سبق له عرقلة إرسال

مبلغ سابق قدره (٥٠٠٠) شلن، مطالبا تسليم المبالغ للرابطة أو رد المبلغ إلى المتبرعين، المعروف أن حمزة عمر كان عضوا في رابطة أبناء الجنوب العربي آنذاك.

إتجه السلطان إلى صنعاء و هناك عرض عليه السفير العراقي زيارة بلاده على عهد الرئيس عبدالكريم قاسم، قبل تلك الدعوة على الرغم من رأيه في عبدالكريم قاسم و بأنه (مرجوج) (أي مهووس أو مختل) على أن تؤخذ موافقة وزير الإمام في صنعاء، ورغم موافقة الوزير إلاّ أن الزيارة لم تتم، كذلك كانت هناك محاولة لزيارة الجمهورية العربية المتحدة.

كان السلطان يعتقد أن الذي يقف وراء تعطيل زياراته إلى الخارج هو محمد عبدالله الشامي والذي كان يبرر للسفراء في صنعاء ذلك الموقف بأن المملكة ستتكفل بدعم الثورة في يافع و أن أي بلد يريد تقديم المعونة لهذه الثورة بإمكانه عمل ذلك من خلال المملكة المتوكلية اليمنية، ولبعض الدول تجربة غير ناجحة في إمداد ثوار المحميات بالسلاح عبر المملكة فلم يصل إلا الشيء القليل منها وبعد استبدالها بأنواع قديمة ورديئة من الأسلحة.

من محضر اجتماع للضباط السياسيين في أبين تم بتاريخ ١٢ يوليو ١٩٦١م بزنجبار، أفاد الضابط السياسي الأول ومدير إستخبارات المنطقة الوسطى مستر (ينج) أن آخر المعلومات تفيد أن محمد عيدروس غير مرتاح من معاملة الحكومة اليمنية له لأنها لم تعد تذيع الكثير من أخباره وأهدافه من إذاعة صنعاء، ولأنها لم تلب مطالبه الكبيرة للحصول على أسلحة ثقيلة وبنادق وذخيرة، وبدلا من ذلك عرضت عليه ثلاثين بندقية و ثلاثين ألف طلقة من الذخيرة، كما أفاد أن هناك إشاعة بسفره إلى السعودية إن لم يكن قد سافر فعلاً.

في بداية ديسمبر توجه إلى صنعاء واستأجر منزلاً حيث أحضر عائلته للعلاج ومكث فيها حوالي شهرين، كان فيها على علاقة واتصال بسفيري مصر والعراق، وكان الأخير يزوده بالكثير من المطبوعات الرسمية العراقية.

ولي العهد الأمير محمد البدر زار البيضاء في بداية عام ١٩٦٢م، ولم يشارك في مراسم استقباله، ويبدو أن البدر تفهم ذلك الموقف فأرسل له موفد من قبله ليبلغه تحياته واعتذاره عن عدم تمكن والده من لقائه.

سبق له مراسلة مجلس العموم البريطاني بعد قدومه إلى البيضاء، وقد زاره نائبان من حزب العمال في مجلس العموم إليها يوم الجمعة ٢٢ يونيو ١٩٦٢م، وهما جورج طومسون (الذي شغل فيما بعد وزير دولة في وزارة الخارجية البريطانية) وروبرت إدواردز.

كانت زيارتهم عبر مكيراس بعد وصولهم إلى عدن كضيفين على إتحاد العمال وحضورهم إجتماعا جماهيريا كبيرا من العمال فيها بعد عودتهم من البيضاء.

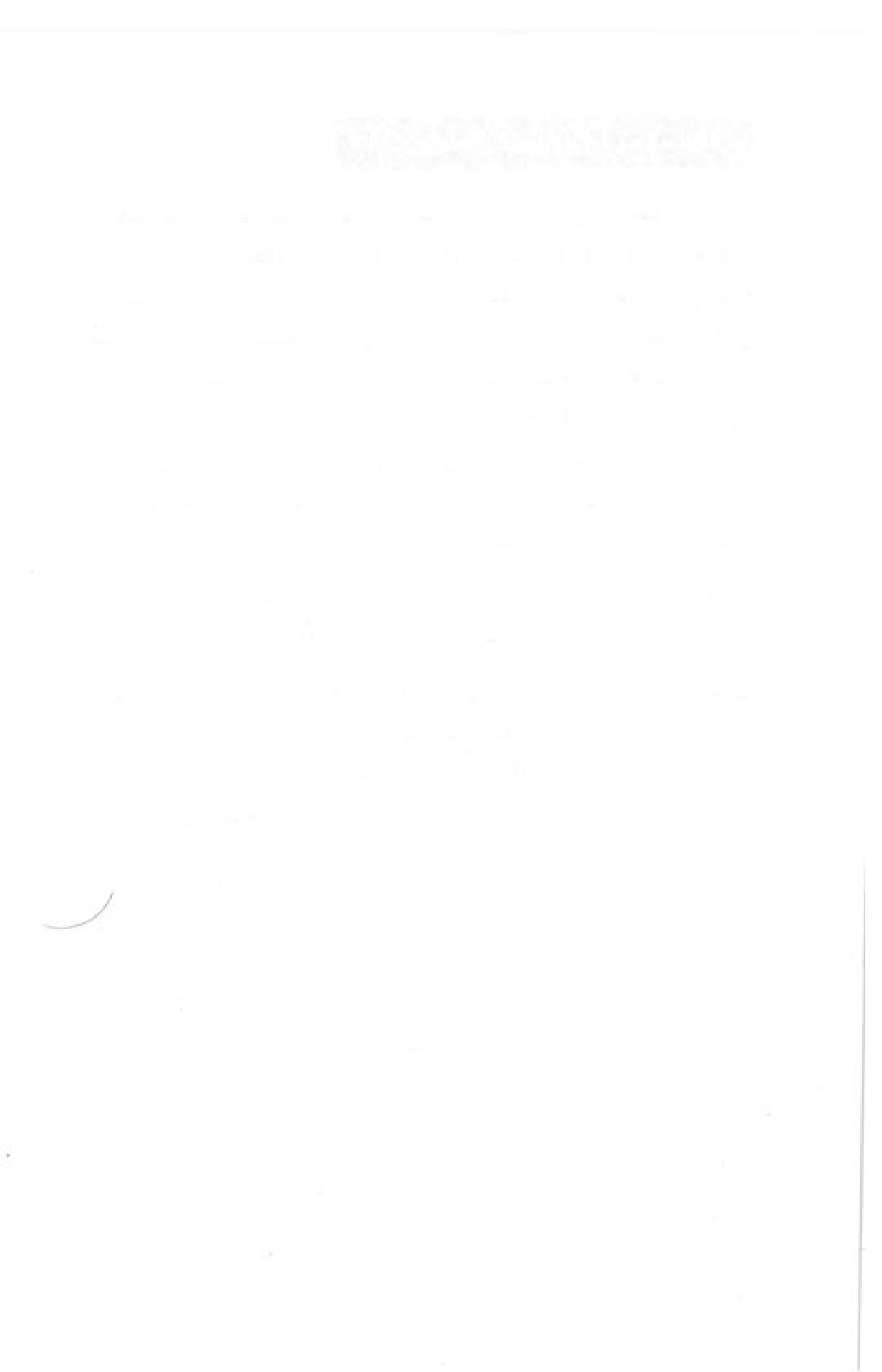


مع أعضاء حزب العمال البريطاني في البيضاء ويبدو على يساره من الخلف هادي عبدالرب بن سليمان وعلى يمينه من الخلف صالح عبدالقوي حسين، وفي أقصى اليسار الأمير عبدالرب محمد وإلى يسار السلطان ولده فضل

وقد عرض عليهم السلطان صور الدمار الذي خلّفته هجمات سلاح الجو البريطاني في يافع، وطرح لهم مطالبه وتظلمه من العسف الذي تمارسه الإدارة البريطانية في عدن، كما طالبهم بنقل رغبة أبناء المحميات في الحصول على الاستقلال أسوة بالشعوب التي حصلت على استقلالها من بريطانيا، وقد وعدوه برفع تقرير بما اطّلعوا عليه وأنهم سيعملون على توجيه دعوة له ليطرح القضية أمام المجلس وبحضور مندوبين من إدارة المستعمرات ليواجهوا طرحه واستفسارات المجلس، كما أخبروه بورود خطاب إليهم من محمد صالح المصلي يشرح إعتداءات سلاح الجو البريطاني.

كما زاره في البيضاء وفد من الحركة النسائية في عدن، وذلك لنقل تأييد ومناصرة الحركة النسائية له.

كانت الإدارة البريطانية في عدن تتابع تحركات السلطان محمد في فترة تواجده في المملكة المتوكلية اليمنية من خلال ما كان يسمى بـ (الدائرة الخضراء) والتي كان يرأسها أحمد حسن مظفر الذي اغتالته الجبهة القومية في عدن لاحقا.



قيام ثورة ٢٦ سبتمبر



في سبتمبر ١٩٦٢م توجه إلى تعز ثم إلى صنعاء وبرفقته مقبل باعزب والأستاذ محمد عبده نعمان وأحمد سالم الحميري ومحمد صالح المصلي، وذلك لمقابلة الأمير محمد البدر. وقبل أن تتم المقابلة توفي الإمام أحمد واضطروا لأن ينتظروا، ونُصِّب الأمير محمد البدر خلفا لوالده، وبينما كانوا بانتظار المقابلة في دار الضيافة، قامت ثورة ٢٦ سبتمبر وأعلنت الجمهورية العربية اليمنية.

توقع السلطان محمد وزملاؤه أن ينفرج الضيق والإحباط الذي كانوا يعانون منه وزاد من ذلك الشعور علمهم بقدوم قوات الجمهورية العربية المتحدة لنصرة الثورة الوليدة.

اتجه إلى البيضاء لإقناع صالح بن ناجي الرويشان بالاعتراف بالجمهورية، حيث كان متردداً في ذلك، وكان للعلاقات القوية والطيبة بين السلطان وآل الرويشان في البيضاء أثر كبير في المبادرة من الطرف الأول والقبول بالنصيحة من الطرف الثاني.

اندلعت المعارك بين الجمهوريين والملكيين، وأوحى السلطان محمد إلى بعض من أنصاره بدعوة أبناء يافع للتطوع والقتال مع الجمهورية، وكان من ضمن من أوحى إليهم عبدالله علي ثابت بن سليمان ومحمد صالح المصلي وأحمد درويش الطالبي وسعيد جابر حسن وحسين عبدربه الملجمي وقد حضر الكثير من أبناء يافع إلى البيضاء وأرسلوا إلى صنعاء على ثلاث دفعات مايقارب ٩٧٠ متطوعاً وكان يشرف على تسجيلهم وتجهيزهم في البيضاء هادي أحمد بن سليمان.

بعد قيام الجمهورية أُطلق سراح السلطان حسين بن أحمد الرصاص وتوجه مع أولاده إلى البيضاء لإلقاء القبض على أولاد صالح بن ناجي الرويشان عامل البيضاء أيام حكم الإمام، وذلك بموجب توجيهات رئيس الوزراء حينها عبد الرحمن البيضاني وذلك بعد اعتقال والدهم في صنعاء ووضعه تحت الإقامة الجبرية نتيجة لغضبه واستيائه من أعمال اُرتكبت ضد بعض من قبائل خولان بينما كان يقاتل مع الجمهورية. وقد تمركز أولاد الرصاص مع بعض من قبائلهم في قلعة البيضاء وأطلقو النار منها على النقيب علي بن صالح الرويشان بينما كان بجانب دار الحكومة في السوق وأصيب بطلقة في صدره نقل على إثرها إلى دار الضيافة. توتر الموقف بين عسكر الحكومة في البيضاء، وغالبيتهم من خولان ولديهم أسلحة ثقيلة ومصفحات وبين جماعة الرصاص، خاصة وأن جماعة الرصاص كانوا يصرون على اقتحام دار الضيافة وتكبيل النقيب علي بن صالح بالقيود.



صور كانت تدبلج في استوديوهات التصوير لشعبيتها عند المواطنين

تدخل السلطان محمد في القضية واستعان بالقادمين للتطوع من أبناء يافع وكان يتواجد حينها منهم في البيضاء مايقارب ٤٠٠ فرد، وقد كلفهم بالفصل بين الفريقين المتنازعين وتولى الجانب الأمني في المدينة وتحييد قوات الحكومة من ممارسة عملها وترك ذلك لأبناء يافع، وأبقى عبدالله صالح بن ناجي الرويشان لديه في منزله، وأقنع جماعة الرصاص بترك النقيب علي بن صالح تحت إشرافه، ثم بعث برقية إلى الرئيس عبدالله السلال أخبره فيها بما جرى وبما اتخذه لمعالجة الموقف وقد رد عليه الرئيس، وشكره لضبطه للموقف وطلب إرسال النقيب علي وأخيه في طائرة ستصل لنقلهم في اليوم التالي حيث سيعالج الأول في صنعاء.

بعد تثبيت الأوضاع في البيضاء وحضور قوة حكومية جديدة بدلت القوة السابقة، تحرك السلطان إلى صنعاء وزار صالح بن ناجي الرويشان الذي كان تحت الإقامة الجبرية كما أسلفنا، بعدها بفترة قصيرة رفعت الإقامة الجبرية عنه وعين محافظ للواء تعز.

في النصف الأول من شهر يناير ١٩٦٣م انتقل السلطان محمد وأسرته إلى تعز حيث مُنح مسكن في منطقة حوض الأشراف.

كان تواجد القوات المصرية في اليمن هو كل ماتطمح إليه مختلف الحركات والشخصيات الوطنية في مناطق جنوب اليمن المحتل. لذلك بدأت بالتوافد إلى صنعاء وتعز وتتواصل فيما بينها ومع القيادة المصرية.وكل حزب أو جماعة فتحت أو حاولت أن تفتح لها مكتباً. وكل ذلك بدعم ومباركة القيادة العربية للقوات المصرية.

توجه السلطان إلى صنعاء والتقى بالرئيس عبدالله السلال وخلال حديثه معه شكى الرئيس من دعم الإنجليز لشريف بيحان ومساندته للملكيين، فعقب السلطان على ذلك بأن بريطانيا عدوة لنا جميعا و إن حصلنا على الدعم العسكري اللازم فباستطاعتنا فتح عدة جبهات ضد بريطانيا، كان الرد بأن الجمهورية تواجه حوالي أربعين جبهة حينها ولاتستطيع المساعدة في الوقت الراهن.

عند نزول السلطان من الطابق الذي التقى فيه برئيس الجمهورية في القصر الجمهوري التقى في أحد الأدوار ب قحطان محمد الشعبي الذي عُين في نهاية مارس ١٩٦٣م مستشاراً لوزارة شؤون الجنوب اليمني بدرجة وزير، وكانا قبل ذلك رفاق رؤيا ومشاعر وطنية متماثلة في منتصف الخمسينيات ولقاءاتهم كانت عديدة ومتكررة في عدن.

السلطان محمد أطلع قحطان على مادار بينه وبين الرئيس عبدالله السلال وطلب من قحطان الاتصال عندما يجد أن الظروف مواتية للعمل.

لاحقا بلغ السلطان بطريقة غير مباشرة بأن قحطان يسجل أبناء الجنوب في قوائم تحمل مسمى حركة القوميين العرب. اتجه على إثرها إلى صنعاء مرة أخرى وعاتب قحطان على عدم استدعائه ووجد أن كل شيء قد رُتب تحت إطار المسمى المذكور.

وكانت هذه الحادثة قد بينت بداية افتراق الطريق بين الطرفين فيما كانا متفقان عليه سابقاً.

جرت محاولات في فبراير ١٩٦٣م، لتكوين جبهة تسمى بجبهة التحرير من جميع الفصائل والشخصيات التي تطالب

بالاستقلال للجنوب اليمني، إلاّ أن ذلك لم يتم بسبب محاولة القيادات الحزبية في حزب البعث والقوميين العرب وحزب الرابطة الاستحواذ على تلك الجبهة كل من جهته، مما حدى بالقيادات القبلية إلى الانسحاب بهدوء وتكوين هيئة تحرير الجنوب اليمني المحتل وكان المؤسسون هم:

السلطان/ محمد بن عيدروس العفيفي	يافع بني قاصد
محمد صالح المصلي	يافع بني مالك
الشيخ/ مقبل باعزب	باكازم (العوالق)
الشيخ/ أحمد سالم الحميري	الواحدي
الشيخ/ فضل محمد الشاعري	الضالع
الشيخ/ عبدالله سالم الحميري	الواحدي
الأمير/ عبدالحميد بن سرور الحوشبي	الحواشب
الأمير/ فضل محمد بن هرهرة	يافع بني مالك
الشيخ/ أحمد علوي المصعبي	بيحان
الشيخ/ الخضر سالم الدماني	العواذل
الشيخ/ عبدالله مساعد المصعبي	بيحان
الأستاذ/ محمد عبده نعمان	عدن
الشيخ/ منصّر باعزب	باكازم (العوالق)
عبد الصفي صالح الرجاعي	الصّبيحة
أحمد مهدي المنتصر	لحج
المقدم/ محمد أمفضل الصالحي	دثينة
صالح الحوشبي	الحواشب

وقد تم إعلان قيام الهيئة وافتتاح مكتبها رسمياً بحضور حسن العمري نائب رئيس الجمهورية وعدد من السفراء، ولم يحضر أي ممثل عن القيادة العربية (القيادة المصرية) ومُنحت الهيئة مقراً لها بدار السعادة، دار الإمام يحيى سابقاً والمتحف الوطني حالياً،

هذا الأمر تم قبل إعلان تبني حركة القوميين العرب لحادثة ١٤ أكتوبر بعدة أشهر. وقد أُختير حينها أحمد مهدي المنتصر ليكون مديراً لمكتب الهيئة.

في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م جرت الحادثة المعروفة التي قتل فيها الشيخ راجح بن غالب لبوزة القطيبي بعد عودته من قتال الملكيين، وقد أرسل ولده الشيخ بالليل بن راجح بن غالب لبوزة رسالة إلى السلطان محمد يخبره فيها عن الحادث، نصها كما يلي مع بعض التصرف في التصحيحات الإملائية:

"إلى حضرة وسيادة معالي السلطان محمد بن عيدروس العفيفي سلطان يافع حفظكم الله وأبقاكم ذخراً لأبناء الجنوب. أما بعد لقد قامت بريطانيا باعتداءاتها على بلادنا جبل ردفان بلاد القطيبي، ومن الإعتداء الغاشم الذي تنفذه السلطات الاستعمارية لقد شنت هجومها المعروف ضدنا وعلى قرانا الآمنة ودمرت عدداً كثيراً من المنازل وراحت ضحايا ذلك الهجوم أربعة رجال ومنهم الشيخ راجح غالب لبوزة ومن النساء ثلاث وأربعة جمال وخمسة رؤوس بقر ومايزيد على خمسين رأس من الغنم.

ونحن ليس عندنا قوة ضدها ولكن ساندونا جميع قبائل ردفان وهم عبدلي وحجيلي وبكري وضمبري وحوشبي ومحلاي وداعري، وكانوا جميعاً موجودين لدينا في المعركة وقد أرسلنا كتب إلى يافع راجين منهم الوقوف معنا حتى ننتزع النصر، وحبينا نعرفك بما يجري الآن في بلادنا والرأي لكم، وتعرفون أن يافع من ردفان وردفان من يافع ومن حيث مايبدي العدو نحن عليه يد واحدة. افيدونا بجواب صحبة حامل هذا. والسلام المخلص الشيخ بالليل بن راجح لبوزة قطيبي حرر في ١٥/١٠/١٩٦٣م"

ويبدو أن السلطان محمد وجه نائبه الأمير محسن بن حمود الموجود في القارة لتهيئة الأجواء بين قبائل ردفان وقبائل يافع باستدعاء مشائخ قبائل يافع من أجل ذلك ومن أجل فتح منطقة يافع لهم لاحتضانهم إذا تطلبت الأمور ذلك، ويتضح هذا الأمر في تقرير الإدارة البريطانية للفترة من ١٦/١٠ إلى ٢٨/١٢/١٩٦٣م، ومن برقية المندوب السامي البريطاني لوزير المستعمرات بتاريخ ٢٧/١٢/١٩٦٣م

تبنت حركة القوميين العرب[١٧] حدث وتاريخ مقتل الشيخ راجح بن غالب لبوزة كانطلاقة لثورتها ضد الإنجليز.

تطورت الأحداث بعدها في ردفان، فشنت على إثرها القوات الاتحادية عملية أسمتها بعملية "كسارة البندق" في شهر نوفمبر ١٩٦٣م، ثم انسحبت من ردفان ظانة أن مشائخ وأعيان ردفان سيأتون إلى عدن بعد هذه العملية ليقدموا التعهدات ويقدموا الرهائن كما كان يحدث في السابق، لكن ماحدث أن عادت عمليات المقاومة وزرع الألغام بعد أن حصلت قبائل ردفان على الأسلحة والذخائر والعون المادي من القيادة المصرية عبر قحطان الشعبي الشخص المفوض أمام القيادة المصرية من قبل حركة القوميين العرب و بصفته حينها مستشاراً لوزارة شؤون الجنوب، فعادت القوات الاتحادية وبرفقتها قوة من الإنجليز هذه المرة وساندهم سلاح الجو البريطاني من الجو مع زيادة تدريجية لإعداد القوات الإنجليزية حتى بلغت لواء، وقد تم احتلال ردفان بالكامل وهرب معظم أهاليه إلى يافع وقعطبة وفي مايو ١٩٦٤ م توقفت جميع أعمال المقاومة في ردفان، وقد استمرت المعارك من يناير إلى شهر مايو من نفس العام.

---

١٧ فعليا لم يعلن قيام الجبهة القومية الا حوالي منتصف ١٩٦٤ م

أثناء العمليات في ردفان قام سلاح الجو البريطاني بضرب قرى وطرق الإمداد للأسلحة والذخيرة التي كانت تصل ردفان من خلال مدينة قعطبة ثم جبن وتم زرعها بالألغام وبأصدقاء الحكومة البريطانية الذين عملوا على منع وصول الإمدادات إلى ردفان.

اتجهت قوافل الإمداد بعد ذلك عبر مناطق يافع، وقد رافق إحدى هذه القوافل الصحفي المصري جمال حمدي الذي كتب في (روز اليوسف) بعد عودته قصة ذهابه إلى ردفان في رحلة استغرقت ثمانية عشر يوم وذكر أسماء كل القرى التي مر بها وأسماء الأشخاص الذين تحدث معهم، على إثرها قصفت قرية بن جرادي في يهر والذي ذكر الصحفي أنه بات فيها وقدمت المأوى والطعام له ولمن معه، مما حدى بأهل القرية إلى عدم سماحهم لقوافل الإمداد التي تلت ذلك الحادث حتى لايتعرضوا لغارات سلاح الجو البريطاني مرة أخرى.

انتقد السلطان محمد ذلك التصرف على إعتبار أنه كان من واجب القيادة المصرية إخبار الصحفي بعدم ذكر الطرق والقرى التي تمر فيها الإمدادات حتى لايتعرض ساكنوا تلك المناطق للقصف من سلاح الجو البريطاني، اتجهت القوافل بعد ذلك إلى طرق أخرى شبه خالية من السكان. حركة القوميين العرب في تعز اعتقدت أن السلطان محمد هو الذي حرض تلك القبائل لتمنع مرور قوافل الإمداد إلى ردفان وهاجمته على أساس ذلك، فوجه خطاباً إلى مشائخ وأعيان ردفان الموجودين في تعز عن طريق محمد صالح المصلي وطالبهم بأن لايستمعوا لتلك الإدعاءات الكاذبة وأنه مستعد لمواجهة من يتقولون بها أمامهم. كان خطابه محرراً بتاريخ ٤/٥/ ١٩٦٤م .

مع تكون الجبهة القومية، بدأت القيادة العربية توحي وتضغط على الحركات الأخرى للانضمام إليها، وأحضر عبدالله المجعلي والسيد ناصر السقاف (من أعضاء الجبهة القومية) نسخة من نظامها الداخلي لإطلاع السلطان محمد وبعض قيادة هيئة تحرير جنوب اليمن المحتل عليه.

لم يوافق السلطان محمد وزملاؤه على هذا النظام لأنه كان مطروحاً للعرض وغير قابل للتعديل ولأنه تجاهل مكانة وحجم الموجودين في العمل السياسي ضد الإنجليز قبل تكوين الجبهة القومية، فالمجلس الوطني والقيادة التنفيذية المقترحة للجبهة القومية شكلت معظمها من المنتمين أو المناصرين لحركة القوميين العرب ولم تراع وزنا للفصائل والشخصيات الوطنية الأخرى إلاَ كأتباع إن قبلوا ودون اعتبار للوزن السياسي والثقل القبلي للسلطان محمد باعتبار عشرات الآلاف من قبائل يافع هم أتباعه مقابل مئة ونيف هم أعضاء حركة القوميين العرب من جنوب اليمن حينها، بالإضافة إلى أن قائمة القياديين لم تراع أي توازن مناطقي وركزت على الإنتماء الحزبي في حركة القوميين العرب ويؤكد على ذلك ماطرحه علي أحمد السَلامي وهو أحد قيادييها المؤسسين في مداخلته التي قدمها في ندوة (الثورة اليمنية، آفاق المستقبل الإنطلاق.. التطور..واحدية الثورة) التي اُقيمت في شهر أكتوبر عام ٢٠٠٢م، في العاصمة صنعاء، حيث ورد بالنص (أعلنت قيام الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل من تنظيمات مختلفة كانت عناصر الحركة قيادتها الحقيقية)، كما أشار في مكان آخر من نفس المداخلة (أولاً: كل أعضاء قيادة الجبهة القومية المذكورين آنفاً هم أصلاً من أعضاء حركة القوميين العرب (الأسماء المذكورة أدناه).

ثانياً: التنظيمات التي تشكلت منها الجبهة القومية كانت كلها مؤيدة ومناصرة لتنظيم الحركة وأغلب قيادتها من أعضاء الحركة) وورد في صفحة رقم (١٢) سابعا: بعد مرور حوالي عامين على الكفاح المسلح انفتح رجال الجبهة القومية على القوى الوطنية في الجنوب وتكونت جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل...) إلى هنا انتهى النص، وباستعراض أسماء قيادة الجبهة القومية التي عرضت حينها يتضح أنها لم تكن مقتصرة على حركة القوميين العرب فحسب بل أن معظمها من منطقة واحدة:

١. فيصل عبداللطيف الشعبي
٢. علي أحمد السَلامي
٣. قحطان محمد الشعبي
٤. طه أحمد مقبل
٥. سيف أحمد صالح ضالعي
٦. سالم زين محمد
٧. جعفر علي عوض
٨. عبدالباري قاسم
٩.علي محمد سالم الشعبي
١٠. عبدالفتاح إسماعيل.

بالإضافة إلى أن الأمانة العامة لحركة القوميين العرب التي يرأسها جورج حبش، والتي تتبعها الجبهة القومية لم تكن قيادة وطنية محلية وشعارها كان (وحدة، تحرر، ثأر) وهذه أمور لم يتقبلها السلطان محمد وزملاؤه.

وقد نجحت الجبهة القومية بتصدر العمل السياسي والعسكري بسبب علاقة جورج حبش بالرئيس جمال عبدالناصر الذي وجه أوامره إلى القيادة المصرية في اليمن بدعمها عسكرياً ومادياً

وإعلامياً خاصة أن ذلك يأتي على خلفية مؤتمر شتورة في لبنان المتعلق بحل الخلافات المتبقية بعد الانفصال بين سوريا ومصر، واتفاق حركة القوميين العرب والمصريين ضد حزب البعث مقابل دعم مصر لحركة القوميين العرب في الوطن العربي وذلك قبل انقضاء شهر العسل بينها وبين القيادة المصرية لاحقا، ومثل ذلك الدعم علاقة عكسية للفئات السياسية الأخرى، إذ كانت بمثابة المهمشة والمحضورة دون الإعلان عن ذلك وقد حاولت بعض الرموز الوطنية فتح جبهات خارج إطار الجبهة القومية فاستدعيت وطُلب منها إما الانضمام إلى الجبهة القومية أو إغلاق الجبهة مثل ماحدث مع أحمد مهدي المنتصر في جبهة الصبيحة.

بدأت غيوم الخلاف مع القيادة العربية والمخابرات المصرية تتلبد. واستُدعي السلطان محمد مع زملائه لزيارة القاهرة حيث جرت محاولة أخرى من قبل الجامعة العربية في ٥ يونيو ١٩٦٤م، لجعلهم وممثلي عشرين حزباً ومنظمة ينضمون إلى الجبهة القومية.

أحمد سعيد ومن إذاعة صوت العرب أشار في أحد تعليقاته حينها بأن المستقلين من أبناء الجنوب اليمني بزعامة السلطان محمد بن عيدروس قد التقوا بالرئيس جمال عبدالناصر و أردف "هاهو قد جاء البطل المناضل ابن عيدروس لكي يزيد الثورة اشتعالاً ضد الإنجليز".

أثناء وجود السلطان في القاهرة التقى بزعيم جبهة التحرير الجزائرية أحمد بن بلة وشرح السلطان محمد مايعانيه من محاولات فرض الإرادة من قبل القيادة المصرية في اليمن، فرد عليه بن بلة بأنهم قد عانوا نفس الأمر و بأنه يوجد في صفوفهم أناس محسوبون عليهم كمناضلون وهم جواسيس عليهم وقد تخلصوا من العديد منهم حتى أن أحدهم قد قاموا بالتخلص منه برميه من بلكون شقة العمارة التي كان يسكن فيها في القاهرة.

وعند فشل المحاولة أُعتبروا تحت الإقامة الجبرية في القاهرة لمدة شهرين وكان ذلك في نفس الفترة التي فُرضت فيها الإقامة الجبرية على بعض مشائخ شمال اليمن.. وتلا ذلك أخذ المطبوعات من مكتب الهيئة في صنعاء وإغلاقه بالشمع الأحمر من قبل المخابرات المصرية.

تبادلت الاتهامات بين السلطان محمد وزملائه وبين الجبهة القومية، فكان السلطان و زملاؤه يتهمون بأنهم عملاء للرابطة وبأن السلطان محمد يعيق العمل العسكري ضد الإنجليز في ردفان من خلال عدم سماحه للمعونات والمعدات العسكرية من الوصول إليها عبر مناطق يافع وكان السلطان يتهمهم بأنهم مجرد اتباع لجهات خارجية ومنغلقين على توجيهاتها .

تشوهت الصورة الجميلة التي كانت مرسومة عن المصريين في مخيلة السلطان محمد وبدأ يقارن بين إملاءات المخابرات المصرية والقيادة العربية وإملاءات الإنجليز في عدن خاصة عندما شعر أن الرئيس السلال كان لايستطيع اتخاذ أمر أو قرار دون المرور عليهم. وقد سبق للرئيس أن تراجع عن وعد قطعه للسلطان محمد نهاية شهر أبريل عام ١٩٦٣م بالدعم وبذل مايلزم من مساعدات عبر قيادة منطقة تعز، فاتضح للسلطان أن السلطة ودعم الحركات الوطنية كلاهما كانا في يد المخابرات المصرية.

ربما لم يكن المصريون موفقين في تقدير الشخصيات الاجتماعية ذات الثقل القبلي في اليمن بشكل عام وتعاملوا معهم كشخصيات في مجتمع مدني لذلك لم يراع ماضي السلطان محمد ولا الثقل القبلي الذي يمثله بحكم موقعه الاجتماعي وتعاملوا معه كأي منتمي إلى حزب وفي أحسن الأحوال كأي قيادي حزبي. والقيادة المصرية في تعز كانت تجزل المساعدة بالأسلحة والذخائر لشخصيات لم تساهم إلا بجزيل الهدايا والعطايا لبعض شخصيات القيادة.

العميد صفوت محمد عبدالله قائد القوات المصرية في تعز، وكان في الواقع الفعلي الحاكم للواء تعز – اجتمع في مكتبه بالمستقلين من أبناء الجنوب اليمني وتحدث إليهم بأنه سوف يتعامل معهم خارج إطار الجبهة القومية وذلك من خلال ضباط مصريين كل منهم مكلف بمنطقة ومسؤول عنها، وأشار إلى الضباط الموجودين في الاجتماع مع التسمية للضابط والمنطقة المسؤول عنها، وتقريباً كانوا جميعهم برتبة مقدم. صمت الحاضرون وكانوا منتظرين أن يأتي الرد من السلطان محمد الذي نهض من الكرسي الذي يقعد عليه ووجه كلامه للعميد صفوت: إن من أهم نقاط اختلافنا مع الإنجليز هذا الأمر الذي تطرحه الآن ولم نقبل منهم فرض الإرادة ولا نريد منكم ذلك في كيفية تسيير عملنا، جرت مشادة كلامية بين السلطان والعميد صفوت في نهايتها قال العميد صفوت: لقد كفرت بك ياسلطان محمد، فرد عليه: لقد كفرنا بكم بعد فترة قصيرة من قدومكم إلى اليمن وبعد أن لمسنا ممارساتكم الفعلية ثم على إثرها تدخل بعض الحاضرون لفض التوتر الحاصل ومن بينهم الشيخ مقبل باعزب وخرج الجميع دون اتفاق.

مع بداية عام ١٩٦٥م بدأ الخلاف يدب بين حركة القوميين العرب والقيادة المصرية في اليمن عندما لمسوا أن مرجعية الجبهة القومية كانت بيروت وليست القاهرة، وبدأ الأخيرون يلتفتوا إلى المهملين في الأمس وبأن باستطاعتهم تكوين حزب أو منظمة خاصة بعد قدوم السلطان أحمد بن عبدالله الفضلي والأمير جعبل بن حسين إلى الجمهورية العربية اليمنية نهاية عام ١٩٦٤م.

وفي مايو عام ١٩٦٥م تبلورت اللقاءات في تعز عن تكوين منظمة تحرير جنوب اليمن المحتل، ويرأسها عبدالله عبدالمجيد الأصنج ومحمد عبده نعمان كمدير لمكتب المنظمة الرئيسي في تعز وتضم

في قيادتها السلطان أحمد بن عبدالله الفضلي والأمير جعبل بن حسين ومحمد سالم باسندوة وشغل فيها السلطان محمد منصب المسؤول المالي.

بعد أشهر قليلة من قيام المنظمة دب الخلاف فيها بسبب عدم التجانس في النهج بين قيادتها بالإضافة إلى أن قبول حزب الشعب الاشتركي بالعمل ضمن إطار منظمة واحدة تضم السلاطين والرابطة أتى تحت ضغط من القيادة العربية، وقد طفى الخلاف على السطح بعد إشهار التهمة الموجهة بالأساس إلى عبدالله عبدالمجيد الأصنج من أنه قد استلم معونات عسكرية باسم المنظمة من ألمانيا الشرقية ويوغسلافيا ودول أخرى بعد أن قام بجولة يرافقه فيها الأمير جعبل بن حسين العوذلي لتلك الدول لطلب المعونة للمنظمة الوليدة، ولايعرف إلى أين ذهبت وقد تزعم السلطان محمد مجموعة المعارضة التي وجهت تلك التهمة وكان ذلك في الاجتماع الذي تم بين أعضاء المنظمة بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٦٥م.

في شهر ديسمبر من نفس العام بدأت القيادة العربية في اليمن تطرح ضرورة دمج المنظمة بالجبهة القومية وكذلك بقية العناصر من أبناء الجنوب.

أعضاء المنظمة وافقو على الدمج بشرط إقصاء قحطان الشعبي وخمسة آخرين من الائتلاف الجديد. وافقت القيادة العربية على ذلك وكذلك الجبهة القومية، وكان ذلك في نهاية العشر الأولى من شهر يناير. إلا أن المفاجأة كانت ببيان صادر في ١٣ يناير ١٩٦٦م بتكوين جبهة التحرير، موقع من عبدالله عبدالمجيد الأصنج عن منظمة التحرير وعلي أحمد السلامي عن الجبهة القومية بينما الآخرون كانوا في نقاش وتسويات في تعز وبانتظار قدوم الأصنج إليهم.

وقد جُدد ذلك الإعلان في القصر الجمهوري في تعز بتاريخ ١٩ يناير، خلال حفل عشاء أُقيم على شرف الرئيس عبدالله السلال الذي عاد لتوه من القاهرة بعد أن مكث فيها منفياً مايقارب العام.

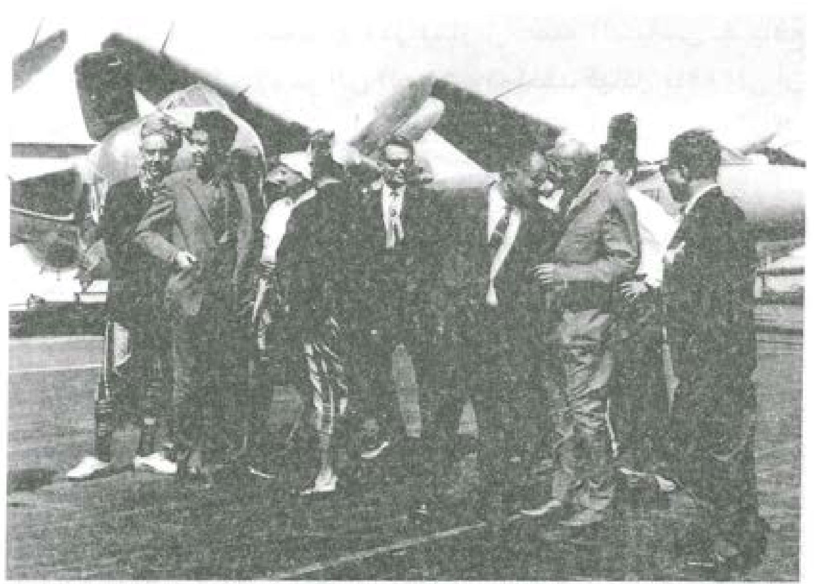
كانت نزعة الاستقلالية لدى محمد بن عيدروس أقوى من أن يستطيع تجاوزها، لذلك لم يتوافق مع المخابرات المصرية في اليمن، وكان يتهم تلك القيادة بأنها وراء كل الخلافات بين أبناء الجنوب وكان يصارحهم بذلك وغيره بشدة.

ظل السلطان محمد في تعز يمارس عمله السياسي في يافع عبر المنشورات التي تدعو إلى الصبر وتماسك قبائل يافع إلى أن يرحل الاستعمار من أرض الجنوب اليمني كما كان على اتصال مستمر مع مشائخ وشخصيات يافع عبر رسائله إليهم.

على الطرف الآخر كانت تقارير أصدقاء الإدارة البريطانية تفيد أن محمد بن عيدروس لم ينضم للحركات العسكرية لأنه غير راض أن تكون أي قاعدة للثوار في يافع، وبعضها أضاف كي لاتتعرض يافع لضربات سلاح الجو البريطاني.

مجلس السلطنة عقد آخر اجتماع له في ١٢ يونيو ١٩٦٦م، وكان استمراراً للاجتماع الذي عُقد في اليوم السابق، إلاّ أن الضباط السياسيين لم يحضروا في اليوم الثاني، وقد قدّم عضو المجلس العاقل عبدربه بن ديّان إقتراحاً مكتوباً موقعاً من قبل أعضاء المجلس لتعيين عضوين جديدين في مجلس الدولة أحدهما من مكتب الناخبي والآخر من مكتب اليزيدي، وذلك لكي يتم تمثيل جميع مكاتب يافع بني قاصد وتركوا مسألة الاختيار لنائب السلطنة. وقدم نائب السلطنة اقتراحين من عضو المجلس الشيخ

علي محمد بن سبعة، الأول: بأن مشاكل الحيد (الجزء الجبلي من يافع) في الوقت الحاضر تكلف مالية السلطنة مصاريف كثيرة وهناك أموال مجمدة في مالية إدارة أملاك مقام السلطان، ويقترح ضم تلك المالية إلى مالية السلطنة لتغطية تلك الصرفيات ولاداعي لإدارتين في منطقة واحدة. والاقتراح الثاني: أن يُبدل اسم سلطنة يافع بني قاصد إلى إسم ولاية يافع بني قاصد وأن يكون لقب نائب السلطنة حاكم ولاية يافع بني قاصد، وقد تمت الموافقة على الاقتراح الأخير.



(السلطان محمود على ظهر حاملة الطائرات البريطانية (الثاني من اليسار
قبل اعتقالة من الجبهة القومية بثلاثة اشهر

السلطان محمود عاد في نهاية ذلك الشهر من دراسته في بريطانيا ويبدو أنه استدعي على عجل من قبل الإدارة البريطانية في عدن، ثم طلبت الإدارة البريطانية من العاقل حيدرة منصور

إخلاء مكتب السلطان لكي يداوم فيه، وبدأوا يشيعون أن أي أمر لن يقبل مالم يكن من السلطان، بعد ذلك التاريخ انتهت سلطة العاقل حيدرة منصور السياسية وانتهى عمل مجلس السلطنة.

في تعز وفي الأسبوع الثالث من شهر فبراير عام ١٩٦٧م، طوقت قوة منزل السلطان محمد، كان ذلك في المساء وهو خارج المنزل وحضر أثناء ذلك وطلبوا تفتيش المنزل، وتم لهم ذلك وعثروا على مايقارب عشرين من البنادق وألغام ضد الآليات (جميعها حصل عليها من القيادة المصرية) كما عثروا على مدفع آر بي جي حصل عليه من الشيخ أحمد عبدربه العواضي ومطبعة (رونيو) كان يستخدمها لنسخ المنشورات إلى يافع، واعتبرت تلك المضبوطات دليل ضده، فاستدعي بعد ذلك في نفس الليلة إلى القيادة العربية وتم توقيفه فيها، كما أعتقل بقية زملائه الذين كانوا معه كمؤسسين لهيئة تحرير جنوب اليمن وكانوا في اتجاه واحد منذ هروبهم من مناطقهم قبل قيام الجمهورية العربية اليمنية، ولم يفلت من ذلك الاعتقال إلا مقبل باعزب ومحمد صالح المصلي اللذين كانا خارج تعز.

في تلك الفترة كان وزير الداخلية هو محمد الأهنومي وقد تم على أيامه اعتقال وإعدام العديد من القيادات والشخصيات العامة، ومن ضمنهم بعض من أعضاء مجلس الثورة، أمثال: محمد الرعيني الذي كان على خلاف مع القيادة المصرية فقاموا بتفتيش منزله و اتخذوا من وجود بازوكا (نوع أمريكي) دليل ضده، بينما تلك البازوكا حصل عليها بعض قبائل من أهل (امحيد) من قبائل يافع كغنيمة حرب في المعارك ضد الملكيين في منطقة المحابشة، فبادلهم بها الشيخ سالم عبد القوي الحميقاني مقابل بندقيتين وأهداها بدوره إلى محمد الرعيني. كما تمت في تلك الفترة متابعة بعض الشخصيات الوطنية اليمنية إلى الخارج في محاولات لاعتقالهم أمثال: الأستاذ محمد أحمد نعمان.

محمد صالح المصلي يعتقد أن رسالة منه إلى السلطان محمد ربما كانت السبب فيما حدث، فقد كتب إلى السلطان من يافع يطلب منه إرسال مدفع (آر بي جي) التي حصل عليها من الشيخ أحمد عبدربه العواضي، وأن تلك الرسالة كانت عبر البيضاء من خلال شخص يعمل حكيم أسنان عُرف لاحقاً أنه يعمل مع المخابرات المصرية، والتي اطلعت على تلك الرسالة، ودبرت حادث إطلاق قذيفة على سور معسكر في العرضي لايبعد كثيراً عن سكن السلطان محمد، وأكملت التمثيلية بالتفتيش والاعتقال حسب إفادة محمد صالح المصلي.

كان المعتقلون اثني عشر فرداً وجميعهم أصحاب موقف موحد ووضعت القيود حول أيديهم وأرجلهم وتم ترحيلهم من تعز إلى صنعاء وعند خروجهم من تعز كان هناك ترتيب لمجاميع من طلبة المدارس على جانبي طريق المغادرة وهم يهتفون ويندون بالخونة وعملاء إسرائيل وأمريكا والاستعمار، ونفس الأمر تكرر مع مرورهم في إب.. عندما انتشر الخبر ووصل إلى يافع توافدت القبائل إلى القارة ومنها توجه وفد على البيضاء ومعهم الأمير حمود بن غالب والأمير محمد بن حمود أولاد عم السلطان محمد ويقدر البعض أن عدد وفد القبائل الذي توجه إلى البيضاء كان بحدود مائتي رجل من رجال قبائل يافع.

في الطريق إلى البيضاء كانت قبائل يافع ثم مع مستقبليهم من قبائل آل حميقان يرددون الرواجز القبلية العديدة وكان من أشهرها وأقواها ماقاله علي محسن الهندي:

يالقايد المصري وسلطات اليمن	سيتو على سلطاننا مظهر جديد
ماقد شي لاجي مضمن واحتبس	وأمسى مكبل بالسلاسل والحديد

وماقاله هدّار بن علي عبدالرب الحميقاني:

اليوم ياالله يامحمد ياعلي	لايعطل المهرى ويقعى باقيه
بايخرج السلطان من وجه الرضى	ولا دهمنا العاليه والواطيه

وقال علي بن علي النسري:

سيتو مشوره ذي سجنتوا أمرنا	وهوه بيافع حامل المسؤوليه
حرربلاده قبل تحرير اليمن	وقبل تحرير الجزائر والعراق

الشيخ سالم عبد القوي الحميقاني ومحافظ لواء البيضاء أبرقوا إلى صنعاء بالأمر وأوضح الشيخ سالم تعاطفه في برقيتة مع قبائل يافع. كذلك مشائخ لواء البيضاء كان لهم نفس الموقف.

أما صالح بن ناجي الرويشان والشيخ أحمد عبدربه العواضي فكان لهم دور كبير من خلال الاتصال بالرئيس عبدالله السلال الذي أفصح لهم عن عدم علمه بماجرى.

الأمير جعبل بن حسين العوذلي، الذي سبق له أن عاد إلى بلاده بدوره بعث إلى محافظ البيضاء يشعره أن بلاد العواذل مفتوحة لقبائل يافع وقد ظل السلطان مسجونا في سجن الرادع لمدة سبعة عشر يوماً حتى أتى أمر الرئيس السلال بإطلاق سراحه ولم يكن لديه حينها حتى أجرة فك القيود (قرشين) حين تم إطلاق سراحه وقد وعد بها من فك قيوده وأحضرها له لاحقاً في نفس اليوم.

أما السلطان محمد فقد أرسل له وزير الداخلية الاهنومي سيارته الخاصة لتنقله من السجن إلى دار الضيافة وعندما علم بعدم اطلاق سراح زملائه اتجه إلى الحديدة حيث قابل الرئيس والذي اعتذر له عما حدث، وطلب منه السلطان محمد إطلاق سراح بقية زملائه، فوجه الرئيس بذلك.

عاد السلطان محمد إلى صنعاء وبيده أوامر إطلاق زملائه الذين تم الافراج عنهم بموجبها، وكان معه الأمير عبدرب محمد والأمير عيدروس بن عبدالله العفيفي وهادي أحمد بن سليمان وعلي سعيد بن ربّاح الذين أتوا من البيضاء مرسلين مع آخرين من قبل وفد القبائل المتواجدين هناك للتأكد من صحة إطلاق سراحه وقد بقوا معه وعاد الأخرون لتأكيد خبر إطلاق سراحه، الذي على إثره غادرت القبائل البيضاء باتجاه يافع.

عودة السلطان محمد إلى يافع



اتجه هادي أحمد بن سليمان إلى تعز وبيده أمر إعادة الأسلحة والمطبعة التي صودرت من منزل السلطان في تعز، وأسر إلى هادي بأن يرتب نقل العائلة ويتم ذلك عند إستلامه برقية فيها كلمة متفق عليها تعني التوجه نحو الزاهر، وفعلاً استلم المعدات المصادرة وطلب من قائد معسكر العرضي العقيد سعد الأشول سيارات لنقل عائلة السلطان ومتاعه و الذي بدوره وفر سيارتين جيب وأبدى الإستعداد لتوفير ثالثة إذا كان لها حاجة.

السلطان محمد جلس مع زملائه وأبلغهم بعزمه على المغادرة إلى يافع لأنه لم يعد له أن يبقى بعد الذي حصل لهم، ودعاهم ليذهبوا معه إن أرادوا وسيوفر لهم السكن والمعاش لكنهم اعتذروا عن مرافقته وودعهم وغادر صنعاء بعد أن أبرق إلى هادي أحمد حسب الإتفاق.

وصل السلطان إلى الزاهر بعد أن إنفجر لغم أرضي بالسيارة التي تجاوزتهم في منطقة السوادية وقُتل كل من فيها. ولحقت السيارات التي تقل العائلة وبرفقتهم هادي أحمد وأحمد حيدره بن حذيف.

عندما وصل الزاهر، زاره قائد لواء البيضاء وطلب منه التراجع عماعزم عليه، وأن لايبني على ماحدث باعتباره تصرف خاطئ تم تصحيحه، وإن رغب سيرتب له المنزل الذي كان يسكنه قبل مغادرة البيضاء إلى تعز.

و مكث في الزاهر عدة أسابيع في ضيافة الشيخ سالم عبدالقوي الحميقاني وآل حميقان، وقد أكرمه الشيخ سالم بحسن الضيافة هو وجميع آل حميقان، بعدها غادر إلى القارة حوالي منتصف شهر أبريل وقد بدأت بعض مجاميع من قبائل يافع تستقبله إلى

الخضراء بخلاف تلك التي كانت ترافقه عند مروره بقراها، وعند وصوله إلى قرب منزله المدمر (دار لقواد) كان موكب المستقبلين يمتد من هناك وحتى القارة وقد حملوه في البداية على الأكتاف.

حال الوصول إلى القارة ألقى السلطان محمد في القبائل التي حضرت كلمة شرح لهم فيها مجريات الأمور واخفاقه في الاتفاق مع القيادة المصرية في اليمن الذين كان يرفعهم إلى مصاف الملائكة قبل أن يعرفهم ويحتك بهم عن قرب.

وفي آخر حديثه قال لهم أن مابينه وبين السلطنة هو هذه، وأخذ عمامته من على رأسه واستطرد بأنه متنازل عنها وقد تعب من السياسة، ويرغب أن يعيش كمواطن عادي، وطلب منهم تشكيل لجنة أو مجلس أو مايرونه، ليدير شؤونهم إلى أن يتم الاستقلال.

رفض الحاضرون تنحيه وطلبو بدلاً عن ذلك الانضمام إلى إحدى الجبهات على أن يوضح لهم من يدعم الأحزاب الموجودة حينها على الساحة، وكان رده بأن حزب الرابطة تدعمه المملكة العربية السعودية والجبهة القومية تدعي أنها معتمدة على نفسها لكنها في الحقيقة تُدعم مؤخراً من قبل الإنجليز وجبهة التحرير يدعمها المصريون، فردد أغلب الحاضرون التحرير...التحرير.

نزولاً عند رغبة القبائل وافق مكرهاً على تشكيل وفد يتجه إلى تعز للتفاوض مع القيادة المصرية هناك، وتكون ذلك الوفد من ثلاثين شخصية اجتماعية ومعهم الأمير محسن بن حمود العفيفي.

في تعز طرح الوفد استعداد أبناء يافع للانظمام إلى جبهة التحرير واستعدادهم للقتال إلى جانبها شريطة توفير الدعم الكافي من أجل العمل العسكري ضد الإنجليز.

لم يجد الوفد التجاوب المطلوب وكل ماعرض عليهم هو منح أعضاء الوفد من بندقية بالإضافة إلى بعض الأسلحة الخفيفة والذخيرة كإسعاف أولي كما أوضح المسؤولون المصريون.

بدأت الجبهة القومية بدخول المناطق الواحدة تلو الأخرى بغض الطرف من قبل الإدارة البريطانية، وتزامن ذلك مع وجود حاملة طائرات بريطانية في ميناء عدن وكانت تُقلع منها طائرات حديثة من نوع (هوكر هنتر)وتحلق فوق مناطق يافع وخاصة فوق القارة بشكل شبه يومي.

في ٢٨ أغسطس ١٩٦٧م أسقطت الجبهة القومية مدينة زنجبار وكذلك جعار والحصن (الجزء الساحلي من يافع بني قاصد) واعتقل السلطان محمود وأخيه الأمير فيصل ولم يمض على عودتهم من الدراسة وتسلم السلطة فعليا من قبل السلطان محمود إلا حوالي أربعة عشر شهراً وحُصر كل ماكان في منزلهم وصُودر حتى المصوغات الذهبية للنساء التي نُزعت من أيديهن.

بدأت الجبهة القومية باسقاط المناطق بدءاً ب لحج ودثينة في ١٣ أغسطس عام ١٩٦٧م وبعضهم يرى أن البداية كانت بإسقاط منطقة يافع بني مالك (يافع العليا) في ٣١ يوليو ١٩٦٧م.

تفاوض القيادة العامة للجبهة القومية مع السلطان



قام الشيخ سنان أبو لحوم والشيخ أحمد عبدربه العواضي باستدعاء الشيخ مقبل باعزب الكازمي ومحمد صالح المصلي والشيخ عبدالله مساعد المصعبي وأخيه صالح مساعد إلى مجلس الشورى وطلبوا منهم التوسط بين الجبهة القومية وجبهة التحرير لوقف القتال الذي اندلع بينهم في ٨ سبتمبر ١٩٦٧م وبالذات في منطقة الشيخ عثمان والمنصورة، بعد تصريح المندوب السامي الإنجليزي (تريفليان) من إذاعة عدن في ٥ سبتمبر بأنه يعترف بالقوى الوطنية كممثلة للشعب وأنه مستعد لإجراء مفاوضات معهم، ورد ممثلوا الجبهة القومية على ذلك التصريح بأنهم لن يقوموا بأية مفاوضات مع الإنجليز الا بعد تنفيذ شروطهم وفي مقدمتها الإعتراف بالجبهة القومية كممثل وحيد للشعب، بينما دعت جبهة التحرير إلى توحيد القوى الوطنية التي تقودها جبهة التحرير والجبهة القومية مع العلم أن جبهة التحرير كانت تدعي بنفس دعوى الجبهة القومية بأنها الممثل الشرعي والوحيد لشعب الجنوب اليمني المحتل، وقد حدث أن قام اللورد (شاكلتون) الوزير بلا وزارة بإبتعاث أحد أعضاء مجلس العموم البريطاني من حزب العمال الحاكم حينها ويدعى توم درايبرج إلى تعز مطلع شهر أبريل عام ١٩٦٧م حاملا معه عرضا شفويا إلى قيادة جبهة التحرير بأن الحكومة البريطانية مستعدة للتفاوض مع الجبهة التي يمكنها تشكيل حكومة ائتلافية تضم ممثلين عن القوى الأخرى و لها فيها أغلبية معقولة، وأنه في حالة قبول الفكرة من حيث المبدأ فان اللورد (شاكلتون) مستعد للمجيء بنفسه إلى تعز لإجراء مباحثات مباشرة مع جبهة التحرير، وقد رفضت قيادة جبهة التحرير هذا العرض ثم ندمت على ذلك خاصة بعد تدخل جمال عبدالناصر بالطلب بقبول العرض ولكن بعد فوات الأوان وبعد أن أشاح الإنجليز بوجههم في اتجاه آخر.

كُلف المذكورون بالخروج إلى البيضاء ومعهم النقيب درهم نعمان، وتم الإتصال عبر محافظ البيضاء حسن الشوذري وهو من أنصار الجبهة القومية حينها.

و حضر إلى منطقة الهجر بجوار مكيراس كل من: أحمد صالح الشاعر وعبدالله الخامري ومحمد حسين الذروي من طرف الجبهة القومية.. الوفد القادم من البيضاء شرح لهم هدف مهمتهم، ووفد الجبهة القومية طلب مهلة للتشاور مع القيادة العامة في زنجبار.

و عند عودتهم من زنجبار أشعروا الوفد القادم من البيضاء بأن بين الجبهتين وساطتين الأولى وساطة الشيخ محمد بن سالم البيحاني والثانية وساطة الجامعة العربية، ولكن و بما أن الوفد القادم من البيضاء يتكون من أصدقاء محمد بن عيدروس فإن الجبهة القومية تطلب التوسط بينهم وبينه لفتح حوار معه بإعتباره شخصية وطنية و فعلا قام محمد صالح المصلي ومقبل باعزب بإرسال خطاب إلى السلطان محمد وطلبوا اللقاء به وتم ذلك في تاريخ ٢٨ سبتمبر١٩٦٧م، ورحب السلطان بعرض الجبهة القومية للحوار وطلب الإتفاق على بعض الأولويات التي أخذها الموفدان معهما ومنها: أن السلطان محمد لا يطمح في السلطة و أنه يرغب أن يعيش كمواطن عادي، و يود أن يرى أخوته محمود وفيصل طليقين لعدم إرتكابهما أي جرم يستحقان الإعتقال عليه كما أنه يود أن تفرج الجبهة القومية عن أمواله وأملاكه التي منعته عنها الإدارة البريطانية.

توجه المصلي بمفرده إلى القيادة العامة للجبهة القومية الذي انتقل مقرها إلى الشيخ عثمان وقد انضم إلى ممثلي الجبهة القومية هذه المرة محمد صالح مطيع، ثم عاد المصلي وقد اتفق معهم على ما يلي:

- تسكين المعتقلين الذين لم يجرموا بحق الشعب في بيت خاص تحت الحراسة حتى يتم النظر في أمرهم.
- تكون المراجعة خلال مدة، وبعد توفر حسن النوايا من الطرفين تتم تسوية الحقوق الخاصة بالأشخاص الذين لم يرتكبوا ذنباً في حق الشعب.
- عدم العمل ضد الجبهة القومية إعلاميا أو عسكريا.
- تلتزم الجبهة بعدم التدخل في منطقة يافع الحيد بأي عمل، دعائي أو عسكري إلاّ بطلب من السلطان محمد.
- التزام السلطان محمد بعدم الإنضمام إلى جبهة التحرير أو التنظيم الشعبي أو تأييدهم.

حاول أعضاء القيادة المحلية عمل الشيء نفسه الذي جرى في المنطقة الساحلية من يافع بني قاصد ضد السلطان محمد في المنطقة الجبلية لكنهم لم ينجحوا وكان ذلك بقيادة قاسم محمد بن سليمان الذي قدم من جهة (سباح) إلى منطقة الرفقة ونجد اسحيل شمال القارة في ٨ أكتوبر، وقد توجه أنصار السلطان من القبائل إلى تلك المنطقة، وجرت معركة انسحب بعدها جماعة الجبهة القومية عائدين إلى سباح وقتل من أنصار السلطان محمد: علي مجسن العلوي وجُرح علي غالب بن سليمان، ومن الطرف الآخر أسر قاسم محمد قائد المجموعة وأطلق سراحه ساعتها من الذين أسروه إكراما لتدخل بعض رجال قبيلته الذين كانوا معهم.

وفي جعار وزعت القيادة المحلية منشورات تشتم وتندد فيها بمحمد بن عيدروس.

الأحداث التي جرت حدثت أثناء تواجد المصلي في الشيخ عثمان فاشتكى إلى القيادة العامة هذه الأمور، وأنكرت القيادة العامة علمها بالحملة أو بالمنشورات ووعدت بمعاقبة المسؤولين عن ذلك.

عاد المصلي إلى البيضاء ورافقه منها مقبل باعزب وتوجه الإثنان إلى القارة، وشكا لهم السلطان محمد ماحدث والذي يتعارض مع نقاط الاتفاق المبدئي مع القيادة العامة، وقد أسدى له الاثنان النصيحة بأن ليس أمامه إلا ثلاثة أمور إما الرجوع إلى شمال اليمن أو التفاوض أو القتال، ولم يقبل الأمر الأول بعد ماجرى له من اعتقال في شمال اليمن و قال إنه سيقاتل إذا فرض عليه القتال و أما التفاوض فهو يرحب به.

تم الإتفاق مع الموفدين على ترتيب لقاء إما في البيضاء أو في مكيراس مع ضمانات بسلامة الطرف الضيف، وبينما الوسطاء في مكيراس قامت حملة جديدة قادمة من الحد بقيادة فضل محسن عبدالله و اتجهت نحو جبل اليزيدي وقد تصدى لهم أنصار السلطان من آل يزيد وبقيادته شخصيا حتى اندحروا وقتل من الطرف الآخر أحد أنصارهم وكان ذلك يومي الخميس والجمعة ٧، ٨ ديسمبر ١٩٦٧م.

أحضر الوسيط خطاب ضمان من القيادة العامة للجبهة القومية موقعا باسم الأمين العام المساعد عبدالملك إسماعيل، يدعو فيه السلطان محمد للحضور إلى عدن للتفاوض ضيفا على الجبهة القومية وفي وجهها.

كان السلطان محمد يشعر أن القيادة المحلية للجبهة القومية غير مرتاحة لاتصالاته مع القيادة العامة ولذلك تعمل على تقويضها وربما عملوا على نصب كمين له وهو في طريقه إلى عدن.

وكانت مغادرته بعد المعركة التي وقعت في جبل اليزيدي مباشرة ورافقه حوالي ١٣٠ شخصية اجتماعية.

كان الشائع بين من هم حوله بأنه سيتجه جنوبا إلى أبين عبر منطقة حطاط، لكنه فاجأ المرافقين باتجاهه شمالا نحو الزاهر ومنها إلى مكيراس ثم زنجبار ووصل إلى منطقة العلم عند غروب الشمس يوم الاثنين ١١ ديسمبر ١٩٦٧م، وكان في استقباله وزير الداخلية محمد علي هيثم وعبدالملك اسماعيل وآخرين و فطر الجميع هناك إذ وافق ذلك اليوم تاريخ العاشر من رمضان ١٣٨٧هـ.. وفي الزاهر حاول الشيخ سالم عبدالقوي الحميقاني أن يثنيه عن الذهاب إلى عدن ومن الركون إلى الجبهة القومية.

أُخذ الوفد القادم إلى مدينة الاتحاد التي غُير اسمها إلى مدينة الشعب وأسكنوا المنزل الذي كان للسلطان فضل بن علي العبدلي.

وزير الداخلية مكث مع القادمين لبعض الوقت كنوع من المجاملة وطلب حضور السلطان ومرافقيه إلى الوزارة في اليوم التالي.

في اليوم التالي وبحضور وزير الداخلية صرّح السلطان أنه يكرر تنحيه عن السلطنة وأنه يُرجع الأمر برمته إلى الشخصيات الإجتماعية من أبناء يافع ليتفاوضوا مع الجبهة القومية ويطالب الوفد المرافق له اختيار لجنة من بينهم لكي يسهل التفاوض معهم وطلب العمل على إعادة ممتلكاته وتشكيل لجنة من الطرفين لاستلام القارة ونقل أفراد أسرته منها والذين قدم كشف بأن عددهم اثنين وأربعين فرداً، وفعلا تم تشكيل لجنة من اثني عشر فرداً منهم : حمود عبدالله بن طوق، علي سعيد بن رُبَاح، هادي أحمد بن سليمان، الحاج حسين صالح، علي سالم السناني، أحمد درويش الطالبي، عبدالله حسن القحيم، صايل عبادي بن حلبوب، محمد علي حسن[18] .

---

١٨ لم يتسنى الحصول على اسماء بقية اللجنة وهم اربعه

وطلب وزير الداخلية حضور اللجنة في اليوم التالي بعد قبول تنحي السلطان محمد من الحاضرين من شخصيات يافع ومن وزير الداخلية، على أن يقدموا طلباتهم وأي مواضيع أخرى للنقاش.

أعضاء القيادة المحلية طالبوا وزير الداخلية بضرورة اعتقال محمد بن عيدروس لأن أسرته في القارة وأنصاره في يافع يعتقدون بأنه سيعود كنائب لرئيس الجمهورية و أن هذا الأمر يجعل معنوياتهم مرتفعة، ثم هددوا باغتياله في عدن إن لم يتم اعتقاله.

وفي يافع نظَم التنظيم المحلي مهرجان في منطقة (حجار البيض) فاعتبره أولاد عم السلطان محمد وأنصاره استفزازاً و أمراً خارجاً على الاتفاق مع القيادة العامة ويهدف منظموه إلى تطويره على غرار المسيرات التي أسقطت المناطق الأخرى وكأن هذه القيادة يعز عليها عدم إسقاط هذه المنطقة وإذلال سلطانها بدلا من التفاهم معه.. وحدث إطلاق نار بين الطرفين، أنصار السلطان في جبل جار و أنصار الجبهة القومية في حجار البيض ومع العصر استطاع الأخيرون الالتفاف حول جبل جار من عدة مناطق واستطاعوا إخراج أنصار السلطان منه مع حلول مغرب ذلك اليوم، وقتل من أنصار السلطان محمد محسن النقيب وجرح عبدربه حيدره العبوس ومحمد علوي طاهر.

حضر أعضاء القيادة المحلية إلى وزير الداخلية و أبلغوه بتفجر القتال في يافع و أن وراءه محمد بن عيدروس وطالبوا مرة أخرى بضرورة اعتقاله.

من جانبه طالب السلطان محمد بتشكيل لجنة من المحافظات الأخرى للتحقق في الموضوع ومعاقبة المتسبب.

ضيافة ثم إعتقال



في يوم الجمعة ٢٩ ديسمبر ١٩٦٧م الموافق ٢٨ رمضان ١٣٨٧هـ، حضر المحافظ الجديد للمحافظة الثالثة (أبين) جعبل الشعوّي وأخطر السلطان محمد ومرافقيه بأنهم سيلتقون بالرئيس قحطان الشعبي قبل صلاة الجمعة لقاءً تعارفياً و أن الأنظمة عند مقابلة الرئيس تقضي بعدم حمل أسلحة، و أنه قد جهّز عدداً من السيارات لنقل الوفد، وعندما ثار لغط حول موضوع ترك الأسلحة أوضح أنه بالإمكان ترك ثلاثة أو أربعة لحراسة الأسلحة والجنابي التي ستترك في المنزل، وفعلا تم الأمر كذلك.

عند وصول الوفد إلى جولة (كالتكس) اتجهت السيارات نحو الشيخ عثمان بدلا من الاتجاه عبر الطريق البحري ثم إلى أبين وفي المعتقل سلمه الضابط المرافق خطاباً من وزير الداخلية يخطره فيه بأن اعتقاله كان اعتقالاً تحفظياً (لحمايته من الإغتيال) وأنه اعتقال غير معلن و أن السبب وراء اعتقاله إصرار بعض أعضاء القيادة المحلية وبعض القيادات العسكرية من يافع وذكرهم بالإسم، ثم أتته رسالة أخرى من الوزير تفيد أن نبأ اعتقاله سيذاع في أخبار العاشرة والنصف مساءً.

صدم أولاد عمه و أنصاره عند سماعهم النبأ من الإذاعة خاصة أنه لم يعد لديهم لا مال ولا ذخيرة، وفي الأيام الأخيرة ومن قبل مغادرته إلى عدن كان يُعطي الأنصار والحراسات الموجودة في القارة بعض من الذخيرة بدلا من النقود لشراء إحتياجاتهم من الطعام وغيره.

وفي ليلة يوم الأحد ٧ يناير ١٩٦٨م الموافق ٧ شوال ١٣٨٧هـ غادر الأمير محسن حمود ومعه الأمير حمود بن غالب والأمير

عيدروس بن عبدالله وبعض المرافقين متوجهين إلى الزاهر بعد علمهم بتجمع رجال الجبهة القومية استعدادا لإسقاط القارة.

وبقيت أنا [١٩] مع ولد جدي الأمير محمد بن حمود في القارة وكان عمري حينها بحدود الاربعة عشر عاما ووزعت حوالي ألفين وخمسمائة طلقة من الذخيرة وهي كل ما تبقى منها لدينا وذلك على بعض رجال القبائل المتواجدين في القارة وطلبت منهم المغادرة و بلغت الأنباء السارة تجمع أفراد الجبهة القومية فتوجهوا على القارة مع بزوغ الفجر ووصلوا إليها مع الساعة الثامنة صباحا، وطلبوا إخلاء منزل السلطان من الساكنين مع عدم حمل أي شيء منه وذلك لغرض التفتيش ثم تتم العودة إليه.

لم يسمحوا لنا بعدها بالعودة إلى المنزل وسُمح لنا بأخذ بعض الملابس و لم يسمح لي حتى بأخذ الصور الشخصية للسلطان محمد، وفي آخر النهار ارسل لنا ثلاثة (بجاد) وهو الفرش المصنوع من الصوف الخشن لننام عليها مع أسرتي البالغ عددنا ستة أفراد وتم تسكيننا في منزل آخر، وقد مُنع علينا الخروج من القارة إلا بإذن.

وبعد فترة قصيرة وعندما طلب الذين غادروا إلى الزاهر عائلاتهم لتلحق بهم، هناك من وافق من أعضاء القيادة المحلية وهناك من اعترض وبلغ الحماس ببعض المعترضين أن لحقوا العائلات إلى خارج القارة لإرجاعها!!

طلبت الإذن بالتوجه إلى أبين لزيارة السلطان محمد لأكون قريبا منه لتوفير احتياجاته وقد رافقني محبوب بن ناصر وهو من الناس المخلصين الذين لا ينكرون العشرة والجميل، وعند

---

١٩ ضمير المتكلم هنا يعود الى الكاتب

وصولنا (سرار) وجدنا أن خبر وصولنا قد سبقنا وفي (باتيس) أيضا اُستقبلنا وتم نقلي إلى إدارة المديرية حيث وجدت زيد سليمان، وبعد أن تحدث معي هممت بالمغادرة، فقال لي: عليك أولا الذهاب إلى زنجبار، وتم أخذي إلى هناك و قيل لي بأنني سأقابل شخصاً يدعى جاعم صالح والذي عندما رآني لم يقل أكثر من أن باستطاعتي المغادرة.

حضر سالمين إلى المعتقل في جبل خنفر، ومر بقرب المكان الذي كان فيه السلطان محمد، فاستدعاه وعرفه بنفسه و بأنه السلطان محمد بن عيدروس وهؤلاء(يعني الذين اُعتقلوا معه من شخصيات يافع) ليسوا أكثر من مرافقين معه في رحلته إلى عدن، وأنه هو الذي يتحمل المسؤولية إن كان عمل خيراً أو عمل شراً، وطالبه باطلاق سراحهم، كان رد سالمين بأن جميعهم ثوار ووطنيون وسيُطلق سراحهم جميعا وليسوا إلا رهن إعتقال تحفظي .

بعد ذلك نُقل السلطان محمد إلى سجن المنصورة بعد حوالي سبعة عشر يوماً، ومن المفارقات أن كان معه في معتقل جبل خنفر خصوم الأمس، وقد حز في نفسه ذلك الأمر كثيراً، كما كان معه في ذلك المكان أخواه محمود وفيصل واللذان لم يراهما منذو حوالي عشر سنوات عندما اختلف مع الإدارة البريطانية وغادر المنطقة الساحلية من يافع عام ١٩٥٧م، و لقد فرقت بينهم المحنة وعندما اجتمعوا، جمعتهم محنة أخرى، في تلك المرحلة كان يتم التحقيق معهم باستمرار و أعينهم معصوبة.

بعد ذلك أُعيد السلطان محمد إلى سجن المنصورة بينما نُقل اخوته إلى سجن البحرين في جعار وقد اُطلق سراح جميع مرافقيه بعد حوالي شهرين من الاعتقال.

في أحداث ١٤ مايو عام ١٩٦٨م تُرك سجن البحرين مفتوحا عندما هرب سالمين ومطيع ومن معهم إلى المنطقة الجبلية من يافع وأخذوا بعض المساجين معهم، وخرج بقية المساجين من السجن ومن ضمنهم السلطان محمود واخوه فيصل وكان معهم عبدالله مطلق و أخذوه معهم إلى المنزل الذي أسكنت فيه والدة السلطان محمود في جعار بعد مصادرة مساكنه، عرفت قيادة القوة التي دخلت جعار بوجود السلطان محمود في ذلك المنزل و أتى مجموعة من العسكر لإعادته مع أخيه إلى السجن وطلب السلطان محمود من عبدالله مطلق المكوث في المنزل طالما لم تعرف تلك القيادة بوجوده وقال له إنه عندما يأتي المساء يستطيع المغادرة إلى حيث يريد.

أما السلطان محمد فقد مكث في سجن المنصورة وقد نُقل إليه أخواه بعد الأحداث المذكورة وخلالها استمرت عمليات التحقيق ووقع على بعض الأوراق وعيناه معصوبتان بعد أن سبقه الشيخ علي عاطف الكلدي الذي رفض التوقيع بهذه الطريقة فضُرب وعُذب حتى وقع، لذلك نصحه باختصار الأمر على نفسه عندما يأتي دوره لأنه إن رفض سيوقع بعدها مكرها .

بعدها نُقل السلطان محمد إلى مدينة الشعب للإقامة الجبرية في شهر أغسطس ١٩٦٨م، وكان ذلك بمتابعة من محمد صالح المصلي الذي شعر بحرج موقفه كونه الوسيط بين الجبهة القومية والسلطان محمد و انتهت الوساطة إلى ما انتهت إليه، وكان الأمر بنقل محمد بن عيدروس موجه من وزير الداخلية إلى قائد أمن الريف حينها محمد صالح مبرقي.

ومن المفارقات العجيبة التي حصلت عندما وصل أمر نقل السلطان محمد أن أحد الجنود من حراسة السجن قد رفض خروجه واتهم المسؤولين بالتقصير في إخراجهم السلاطين من

السجن، (وهذا نموذج من مزايدات بداية الثورات حيث يعتبر كل موظف صغير نفسه مسؤولا عن الوطن وسيادته)لم يُحل هذا الاشكال حتى حضر المبرقي نفسه وزجر الجندي بشدة وطلب منه تنفيذ أوامر وزير الداخلية.

استبشر السلطان محمد خيراً بنقله إلى منزل تحت الإقامة الجبرية حيث لحقت به عائلته وأعتمد له مخصص شهري، وأصبح يستطيع الخروج برفقة حارس إلى العيادة المتواضعة الموجودة في مدينة الشعب ويستطيع ممارسة رياضة المشي برفقة الحارس في الشوارع الخلفية المهجورة و الهادئة، ثم بعد فترة لحق به إلى الاقامة الجبرية أخواه محمود وفيصل.

وقد أُبلغ وكيل وزارة الداخلية حينها أحمد محمد بن عرب من قبل بعض المبلغين بضرورة تشديد الحراسة على محمد بن عيدروس كي لا يهرب وعدم السماح له بالخروج من المنزل، فكان رده عليهم مكتوبا بأن (محمد بن عيدروس مستسلم ولا يفكر بالهرب)[٢٠].

وتلك كانت الحقيقة، فقد عُرضت عليه لاحقا العديد من الخطط لتهريبه عبر لحج وكرش إحداها من قبل محمد صالح المصلي الذي حضر من الحديدة خصيصا لذلك الغرض، والأخرى وقد رُتبت السيارات والأفراد لها كانت من قبل الشيخ سالم عبدالقوي الحميقاني، وثالثة عرضت عليه من قبل الحراسة المكلفين بحراسته على أن يهربوا معه، و لكنه لم يقبل بها لأنه وكما فاتح مقترحي تلك الخطط لم يرتكب جرما يخشى منه و لأنه بحياته لم يشعر بالراحة والهدوء والبعد عن المسؤولية وثقلها كما هو عليه وضعه في الاقامة الجبرية وإنه يعتقد بأن اعتقاله إحترازي سيزول باستقرار الأمور للدولة الجديدة.

٢٠ اطلعت على ذلك بشكل شخصي من قبل كبير موظفي مكتب بن عرب

ولاحقا وعلى عهد محمد صالح مطيع في وزارة الداخلية كتب عدة مقترحات أرسلها للوزير ويرى فيها حسب تصوره مساعدة للدولة الجديدة في تلمس طريقها في استخدام الموارد المتاحة بشكل أفضل.

وعندما توفي جمال عبدالناصر عام ١٩٧٠م، حزن عليه حزناً شديداً وظل طوال الليل منزويا في الظلام على سطح المنزل، وكان من ضمن ما قاله أن العرب قتلوه بخلافاتهم المتكررة (وكنت أظن أنه لن يكون كذلك بسبب إختلافه الشديد مع القيادة المصرية في شمال اليمن).

التصفية الجسدية للسلطان محمد



في شهر مارس ١٩٧٢م، أُعيد مع أخويه إلى سجن المنصورة، وعندما زرته فيه وجدته محبطاً بصورة لم أشاهده عليها من قبل أبداً، وكان يتكلم معي بتأثر كبير وصوته يتهدج، وأحسست من كلامه أن إعادته إلى السجن هي في نظره بمثابة إنتكاسة خلفها أمور غير مطمئنة له، وكان شعوره بالقلق من جهة القيادة المحلية للجبهة القومية، لأنه كان يراهم موتورين ومتحاملين ضده ربما لأنه تجاوزهم، وتفاوض مع القيادة العامة، وفوت عليهم فرصة إذلاله تحت مسمى سلطان، أو ربما أنهم شعروا بالإهانة والاستصغار بتصرفه ذلك، و زاد من قلقه معرفته من خلال أجهزة الإعلام باعتماد سياسة جديدة تقضي بإحالة كل سلاطين وحكام ومشائخ العهد البائد لمحاكمتهم فيما سميت بمحاكم الشعب المحلية كل في منطقته.

في ٢٤ أبريل ١٩٧٢م، خرجت مسيرة في مدينة الحصن تهتف إبتهاجا بمقتل سلاطين وحكام العهد البائد وكان في مقدمتهم منفذوا العملية والسيارات التي كانت ملطخة بدماء الضحايا.

وقد تم تناقل الخبر في كل مكان، حينها زرت وزير الداخلية في مكتبه في اليوم التالي وكان حينها هو محمد صالح مطيع، وسألته عما حدث فأفاد بأن مجموعة من المساجين أخذوا من سجن المنصورة إلى لبعوس (مع العلم أن الطريق التي سلكوها ليست الطريق المؤدية إلى لبعوس) لمحاكمتهم هناك وفي الطريق وقعوا في كمين للمرتزقة وقتلوا من جراء ذلك، وعندما سألته كيف يُقتل جميع المساجين ولا يقتل أو يجرح فرد واحد من حراستهم، فكان رده بأن المعلومات غير متوفرة لديه حينها ويستحسن عودتي في اليوم التالي لمعرفة كل التفاصيل، و في اليوم التالي أفاد أن المساجين حاولوا الفرار فأطلق الحراس عليهم النار وهكذا قتلوا. خرجت من عنده غير مقتنع لأن المسيرة المرتبة إبتهاجا في الحصن روت الحقيقة.

وقد قيل أن عدد المساجين كان ثمانية عشر وهم: السلطان محمد وأخواه محمود وفيصل، والأمير عبدالله علي العفيفي، خال السلطان محمود، والعقيد علي صالح عوض الكهالي، المحسوب على ماسمي حينها باليمين الرجعي، وجماعة العقداء وقائد حملة ١٤ مايو ١٩٦٨م ضد سالمين ومطيع، والعاقل حيدره منصور وولده حسين والشيخ صالح سالم بن عاطف جابر (شيخ مكتب الظبي) والشيخ محمد محسن الضباعي (شيخ مكتب البعسي) وولده عبدالحافظ والشيخ صالح أحمد بن غازي شيخ المناصر والشيخ عبدالقوي محمد محسن بن غالب (شيخ مكتب الحضرمي) و ولد عمه صالح محمد بن غالب والعاقل محسن حسن منصري وأخوه عيدروس حسن وبن عتيق القعيطي وبن جمال المفلحي.

تعددت الروايات عن كيفية تصفيتهم جسديا، فمن قائل أنهم أُعدموا بالطريقة المعروفة بصفهم أمام فرقة القتل الذين أطلقوا عليهم رصاص بنادقهم، ومن قائل بأن الرصاص أطلقت عليهم عندما طلبوا التوقف لأداء صلاة العصر وتم إطلاق الرصاص عليهم وهم يُؤدون صلاتهم، وقول ثالث يدعي بأن الرصاص أطلقت عليهم بينما كانوا مكبلين على متن السيارتين (ار. سي) اللتين أقلتهم، لكن أمرين لايختلف عليهما إثنان، الأول أنه تم تصفيتهم والثاني أن قائد الفرقة التي نفذت التصفية كان محمد علي القيرحي.

وحول مكان تصفيتهم وهل دفنوا أم أن جثثهم تركت ملقاة على وجه الأرض والمشاركين في عملية التصفية هناك إختلاف حول أسماء بعضهم، الآن القول الشائع أنه تم تصفيتهم في (سلب حمة) في شعب (عظام) أو شعب (باثوبان)، ويُرجح الأخير و يتم الوصول إلى ذلك الشعب عبر طريق الحصن باتيس حبيل البرق ويبعد بحوالي ساعتين

بالسيارة في طريق وعرة تتحرك فيها السيارة بسرعة لا تتجاوز خمسة أو ستة كيلومتر في الساعة، وقدتُركت جُثثهم دون دفن، وقد حاول أحد أهالي يرامس، المنطقة القريبة من مكان الحادث — حاول تكفين ودفن الجثث لكنه مُنع وهُدد إن هو فعل ذلك.

وفي تلك الفترة كان لايجرؤ أحد على السؤال أو الاستفسار عمن يُصفى أو يُختطف ومن يفعل ذلك قد يلقى نفس المصير خاصة إذا كان السائل من شرائح المجتمع الملفوظة والمتضررة من إجراءات الثورة كما كان يقال عليهم بحسب المصطلحات والسياسة المنتهجة وقتها، و إن سأل سائل فلن يجد الجواب من شدة خوف الناس من بطش زبانية ذلك الزمن.



الأمير رشاد عبدالرحمن العفيفي الذي كان يعمل في الكويت منذ بداية الخمسينات عندما علم بالخبر كتب إلى لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة وإلى الجامعة العربية يطالبهم التحقيق فيما حصل، وعندما نُشر خبر رسالته في الخارج، تمت زيارة والده الأمير عبدالرحمن الذي يزيد عمره عن الستين عاما إلى منزله في جعار مباشرة وأخذ من جانب منزله فيما بين صلاة العصر والمغرب ولم يشاهده أحد بعدها قط عقابا لولده !!!.



السلطان محمد بن عيدروس
عام ١٩٦٥ في القاهرة

ملحق رقم (1)

ما نشر عن السلطان محمد بن عيدرس في الصحف التي كانت تصدر في عدن



في هذا الملحق نورد ما نُشر في الصحف التي كانت تصدر في عدن عن السلطان محمد بن عيدروس العفيفي، مع الإشارة إلى أن ما حصلنا عليه يغطي الفترة من يونيو ١٩٦١م، ولم نعثر على التغطية للفترة من منتصف الخمسينات وإلى نهاية النصف الأول من عام ١٩٦١م، ونورد هنا ما حصلنا عليه مما نشر دون تعليق أو زيادة أو نقصان من الصحف التي كتبت ضده أو معه.

١. فتاة الجزيرة:

وكان رئيس تحريرها محمد علي لقمان، ومدير تحريرها علي محمدلقمان ومن الأخبار التي نشرتها عن السلطان محمد بن عيدروس العفيفي ما يلي:

- فتاة الجزيرة في عددها رقم ١٦٧١ الصادر في تاريخ ٦ يوليو ١٩٦١م صفحة رقم٢ و تحت عنوان (صوت اليمن):

(أن السلطان محمد وصل إلى مدينة تعز و أنه في ضيافة الحكومة اليمنية وقد أدلى ببيان شرح فيه ما قال عنه (أعمال الإبادة) في منطقة يافع السفلى أو يافع الحيد و أورد الخبر تفاصيل البيان من ضرب القرى والمناطق محددة بأسمائها).

- فتاة الجزيرة في عددها رقم ١٧٠٦ الصادر في تاريخ ١٧ أغسطس ١٩٦١م أوردت الخبر التالي:

(أن السلطان محمد بن عيدروس نشط في تنقلاته في اليمن وقيل أن الإمام طلب حضوره من البيضاء إلى تعز بعد أن كان وصل إليها كما عقد اجتماع بين المعتمد البريطاني المستر (تريفاسكس) والرويشان عامل البيضاء و لا ندري ما إذا كانا سيبحثان مسألة لجوء السلطان محمد بن عيدروس إلى اليمن).

- فتاة الجزيرة في عددها رقم ٢٠٣٤ الصادر في تاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٦٢م تحت عنوان (محمد بن عيدروس يناشد الجامعة العربية.. برقية الأمير الثائر تشرح لحسونه كيف ينشر الاستعمار سيطرته على مناطق الجنوب؟!):

(استنكر الأمير الثائر في برقية بعث بها للسيد عبد الخالق حسونه أمين عام جامعة الدول العربية محاولات الاستعمار البريطاني بسط نفوذه في مناطق الجنوب العربي، وقال الأمير محمد بن عيدروس أن الاتحاد عام ١٩٥٩م ومشروع الاتحاد المقترح بين عدن والإمارات -هما في الواقع امتداد لمخطط استعماري واحد: استمرار السيطرة البريطانية على عدن ومايسمى بمحمياتها الشرقية والغربية (....) على يافع التي أقحمها في (اتحاد مشبوه رغم معارضة شعبها) وشرح الأساليب التي اتبعتها السياسة البريطانية للتخلص منه على الرغم من كونه (السلطان الشرعي الوحيد ليافع)وناشدت البرقية مجلس الجامعة العربية أن يصدر قراراً حاسماً بعدم الإعتراف بأي من الاتحادين... للحيلولة دون التوسع الإستعماري في الجنوب.. واختتم محمد بن عيدروس برقيته مؤكدا أن صدور قرار من الجامعة العربية بهذا المعنى سوف يكون له الأثر الفعال في رفع معنوية ثوار الجنوب... وتعزيز نضالهم ضد مشاريع الاستعمار.

وفي نفس العدد تحت عنوان (شكراً للفتاة الحرة):

بعث الأمير الثائر محمد بن عيدروس بالرسالة القصيرة التالية مع صورة من البرقية المرسلة للسيد حسونه:

مع مزيد من الشكر والتقدير لفتاة الجزيرة المجاهدة ومحرريها الأحرار..أبعث بصورة من البرقية المرسلة لأمين عام جامعة الدول العربية.. راجيا نشرها على صفحات (الفتاة) التي نكن لها كل إعجاب وتقدير لما تقوم به من أدوار نبيلة ومشرفة في كشف المشاريع الاستعمارية وإحباط المخططات البريطانية.

والله ولي التوفيق

ودمتم لأخيكم/محمدبن عيدروس

- فتاة الجزيرة في عددها رقم ١٩٨٥ الصادر في تاريخ ١٥ يوليو ١٩٦٢م، تحت عنوان رئيسي (محمد بن عيدروس – أمير معتدل – تحول إلى ثائر متطرف)، وتحت عنوان أصغر: نائب بريطاني يروي قصة الصراع الدائر وراء تلال يافع)

(هذه آخر حلقة في سلسلة المشاهدات التي يرويها النائب العمالي (روبرت إدواردز) في تقرير عن عدن والجنوب كتبه ونشره في لندن بعد زيارة قام بها هو وزميله النائب العمالي جورج طومسون في الشهر الماضي، حيث قال روبرت إدواردز: إن الساعات الأربع التي قضوها مع السلطان الثائر محمد بن عيدروس في منفاه في اليمن (وهو يقصد مدينة البيضاء) تركت في نفسيهما أثراً لا ينمحي وقد بدا لهما محمد بن عيدروس شاباً على جانب كبير من الاعتدال والإتزان حتى في اتهاماته التي يوجهها إلى السلطات البريطانية فهو لم يذكر - مثلا - أن الاجراءات التي اتخذت ضده كانت تتسم بالوحشية) وكان يصر خلال الحديث على أن إنذارات كانت تُلقى من الطائرات لكي يخلي السكان المنازل التي تقرر ضربها بالقنابل لأنها أوت محمد بن عيدروس، ومع ذلك فاعتدال السلطان الثائر لا يغير من الحقيقة كثيرا، فقد عُرضت علينا عدة صور تدل بوضوح على أن مئات من الغارات الجوية قد شُنت على أماكن متفرقة من يافع.

ويقول النائب البريطاني: إن قصة الصراع الدائر بين محمد بن عيدروس من جهة والحكومة البريطانية وإتحاد الجنوب من جهة أخرى تكاد تكون أغرب من الخيال.

فقد بدأت الغارات الجوية عام ١٩٥٨م حين التجأ محمد بن عيدروس إلى قلعته القائمة على رؤوس الجبال – ولم تتوقف إلا في شهر فبراير من هذا العام (أي عام ١٩٦٢م)، ويقول المستر إدواردز : إن مدينة كاملة حولتها الغارات إلى خرائب، و أنه يحتفظ بسجل واف بأحداث يافع مدعم بالصور سوف يعرضه على وزارة المستعمرات، وقد عرف من السلطان الثائر قصة تعيين أخيه البالغ من العمر عشر سنوات سلطانا على يافع على الرغم أنه الوارث الشرعي لكرسي السلطنة.

ويقول المستر إدواردز : إن وزراء مجلس الإتحاد الأعلى أخبروه أن محمد بن عيدروس أراد أن يجعل من نفسه دكتاتورا على المنطقة، و أنه كان يقف ضد نموها الاقتصادي لا سيما فيما يتعلق بزراعة القطن غير أن المعلومات التي تجمعت لديه تثبت أن محمد بن عيدروس من قلائل الحكام الوراثيين الذين يؤمنون بالحرية والحركات التقدمية، وقد علم من رجال مؤتمر عدن العمالي أن محمد بن عيدروس كان يشجع الجمعيات التعاونية وأنه سمح للنقابات والأحزاب السياسية أن تقوم في بلاده وتُسجل في دواوين الحكومة كهيئات معترف بها.

ويروي المستر إدواردز قصة إختلاس أموال الخزينة التي اتهم بها محمد بن عيدروس فيقول: إنها (نصف صادقة) لأن محمد بن عيدروس معترف بأنه كان لابد له من مال بعد إعلان الثورة فحمل معه حوالي ٦ الآف جنيه أي نحو ١٢٠ ألف شلن.

- فتاة الجزيرة في عددها رقم ١٩٩٩ الصادر في تاريخ ٣١ يوليو ١٩٦٢م، تحت عنوان رئيسي (وزير المستعمرات يدرس برقية الأمير الثائر).

لندن: من مراسل خاص: علمت أن وزارة المستعمرات تدرس برقية وصلتها من الأمير الثائر محمد بن عيدروس... ولكن لم أستطع حتى الآن أن أطلع على محتويات البرقية أو رد الفعل المحتمل لما جاء فيها.. غير أن المعروف أن الحكومة لا تعترف بالأمير محمد بن عيدروس الذي لجأ إلى الثورة في عهد والده الراحل السلطان عيدروس بن محسن العفيفي في أواخر عام ١٩٥٧م وقد وافقت الحكومة البريطانية على المناداة بأخيه الأصغر محمود بن عيدروس البالغ من العمر حوالي ١٤ سنة سلطانا على يافع السفلى في المحمية الغربية وهي إحدى الإمارات الاحدى عشر التي تؤلف اتحاد الجنوب العربي.

- فتاة الجزيرة: (لعل مراسلنا يشير إلى برقية كان الأمير محمد بن عيدروس قد بعث بها إلى وزير المستعمرات يخطره فيها أنه لايوافق على مباحثات لندن بصفته السلطان الشرعي ليافع بني قاصد و أنه يعتبر أي قرار يُتخذ في تلك المباحثات غير ملزم للسلطنة اليافعية التي يمثلها)

- • فتاة الجزيرة في عددها رقم ٢٥٦٦ الصادر في تاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٦٢م صفحة رقم ٣ تحت عنوان (ثوار الجنوب يعلنون ولاءهم للثورة)

(أذاع راديو صنعاء أن عددا من مشايخ وعقال الجنوب اليمني (أي الإمارات المحمية) وعلى رأسهم السلطان الثائر محمد بن عيدروس قدمو إلى البيضاء من يافع العليا والسفلى وغيرهما من الإمارات لمقابلة وزير الإعلام علي محمد الأحمدي واعلان ولاءهم للجمهورية اليمنية الثائرة).

- فتاة الجزيرة، في عددها رقم ٢١٥٣ الصادر في تاريخ ٢٦ يناير ١٩٦٣م تحت عنوان (السلطان محمد بن عيدروس يقابل المشير السلال)

(وصل السلطان محمد بن عيدروس السلطان الثائر من يافع السفلى إلى صنعاء وقابل المشير السلال الذي بحث معه عددا من المسائل التي تهم الجمهورية).

٢. صحيفة الأيام:

صحيفة الايام كغيرها من الصحف الصادرة في عدن في تلك الفترة نشرت الكثير من الأخبار عن السلطان محمد بن عيدروس العفيفي ومما نشرته ما يلي:

- الأيام في عددها.. الصادر في تاريخ ١٦ نوفمبر ١٩٦١م، تحت عنوان (الثائر بن عيدروس)

في كلمة قصيرة بعنوان الثائر بن عيدروس كتب الأستاذ حبيب جاماتي في عدد المصور الأخير يقول : أن محمد بن عيدروس أنشأ اتحادا فيدراليا آخر يتعارض مع الاتحاد الفيدرالي لإمارات الجنوب ويضم القوى الوطنية و اتخذ له مركزا في اليمن.

وقال أيضا: وهذا الاتحاد الذي أنشأه بن عيدروس يستحق من الدول العربية، والشعوب العربية، والجامعة العربية لفتة أخوية ومساعدة سريعة وعطفا عربيا شاملا.

- الأيام في عددها رقم ١١٨٩ الصادر في تاريخ ٢٢ يونيو ١٩٦٢م، تحت عنوان رئيسي (النائبان البريطانيان يجتمعان بالثائر محمد بن عيدروس في البيضاء)

(يُغادر عدن جواً صباح هذا اليوم إلى مكيراس النائبان العماليان البريطانيان، ومنها براً إلى البيضاء داخل الحدود اليمنية لمقابلة السلطان محمد بن عيدروس ورفقاؤه من ثوار الجنوب.. وكان المؤتمر العمالي قد أبرق إلى جلالة الامام أحمد يطلب إذنه بالسماح للنائبين البريطانيين بدخول الأراضي اليمنية وبعد عودتهما بعد ظهر نفس اليوم الجمعة سيحضران مؤتمرا شعبيا ضخما في ميدان الهلال بالتواهي).

- الأيام في عددها رقم ١١٩١ الصادر في تاريخ ٢٤ يونيو ١٩٦٢م، تحت عنوان رئيسي: (النائبان العماليان البريطانيان يصفان مقابلتهما مع الثائر بن عيدروس)

في إجابتهما على سؤال عما دار بينهما والثائر محمد بن عيدروس من حديث في المقابلة التي أجرياها معه يوم الجمعة في البيضاء، قال النائبان البريطانيان بأن المقابلة تركت في نفسيهما انطباعا عميقا... وقال المستر ادواردز تحدثنا بصورة مسهبة عن مشكلة السلطان الثائر بن عيدروس الذي وجدناه على جانب كبير من الثقافة والتواضع والاعتدال في الرأي والتفكير.. واننا سنطرح ولا شك قضيته أمام مجلس العموم البريطاني وسنبذل قصارى جهدنا لترتيب زيارة له إلى لندن، لقد اجتمعنا أيضا بعدد من القادة الثائرين الاخرين).

ثم أضاف قائلا: (إستغرق اجتماعنا بالسلطان محمد بن عيدروس حوالي ثلاث ساعات تولى خلالها شرح قضيته شرحا دقيقا إلى أبعد حدود الدقة، و كان يراجع مسودة مكتوبة أمامه وهو يسترسل في الكلام).

كما قال النائبان البريطانيان بأن مشكلة الثائر بن عيدروس ليست مشكلة يستعصي وجود حل لها.

- الأيام في عددها رقم ١٢١٩ الصادر في تاريخ ٢٧ يوليو ١٩٦٢م، تحت عنوان (بن عيدروس يبرق لوزير المستعمرات)

(أبرق الثائر محمد بن عيدروس، سلطان يافع، المقيم حاليا في البيضاء في حدود المملكة المتوكلية اليمنية أبرق إلى وزير المستعمرات البريطاني المستر دنكان سانز، برقية يعارض فيها بشدة المحادثات الجارية حاليا بين وزير المستعمرات البريطاني ووزراء عدن والاتحاد الفدرالي لإمارات الجنوب العربي).

وقال الثائر بن عيدروس في برقيته أن وزراء عدن والاتحاد الفدرالي لا يمثلون شعب المنطقة في الجنوب العربي بصورة عامة ولا يمثلون يافع بصورة خاصة.. وقد أذاع نص البرقية راديو صوت العرب ظهر يوم أمس.. ومما هو جدير بالذكر أن السلطان الثائر بن عيدروس قد أوضح رأيه في محادثات لندن الجارية حاليا عندما زاره النائبان العماليان البريطانيان في البيضاء[٢١].

- الأيام في عددها رقم ١٣٤٠ الصادر في تاريخ ١ يونيو ١٩٦٣م تحت عنوان رئيسي: (محمد بن عيدروس اليافعي يدلي بأقواله أمام لجنة إستقصاء الحقائق)

(واصلت لجنة إستقصاء الحقائق المنبثقة عن لجنة تصفية الاستعمار التابعة لهيئة الأمم المتحدة، واصلت عقد جلساتها في مدينة تعز القريبة من حدود اتحاد الجنوب العربي، وكانت اللجنة قد استمعت إلى عدد من التقارير في قصر المنتزه بمدينة صنعاء إلا أن إقتراحا قُدم إليها بالسفر إلى تعز لتكون على مقربة من الحدود.

٢١المحادثات المعنية جرت في تاريخ ٢٣ يوليو ١٩٦٢م

وفي تعز وقف أمام اللجنة السلطان محمد بن عيدروس سلطان يافع السابق ظهر يوم الخميس الماضي – حيث قدم لها صورا ووثائق ادعى أنها إنذارات من الطائرات البريطانية التي كانت تنسف القرى ومزارع البن بعد رمي المنشورات مباشرة.

وقدم السلطان محمد بن عيدروس صورا ادّعى أنها نوعية القنابل التي كانت تُقصف بها قرى يافع، ثم قدم تقرير إلى اللجنة مكونا من واحد وعشرين صفحة.

وقدم السلطان محمد بن عيدروس ثلاثة مطالب راجياً من فيها اللجنة أن تأخذها بعين الاعتبار هي:

١. منع بريطانيا عمليا في عدن من ممارسة أي نشاط مباشر أو غير مباشر في المناطق التي رفضت الانظمام إلى إتحاد الجنوب العربي.

٢. وضع الجنوب تحت إشراف ووصاية الأمم المتحدة خلال الفترة التي يحدد فيها حق تقرير المصير.

٣. السماح للاجئين من المنفيين والعمال والقبائل والمشائخ بالعودة إلى بلادهم ليشاركوا قولا وعملا في عملية تقرير المصير.

واختتم السلطان محمد بن عيدروس تقريره قائلاً: إنني أعلق أملاً كبيراً على هيئة الامم المتحدة ولجنة تصفية الاستعمار وأملي كبير في أن تحصل منطقة الجنوب على حقها في الاستقلال.

- الأيام في عددها رقم ٢٥ الصادر في تاريخ ٦ مارس ١٩٦٦م، تحت عنوان: (عدن تزكي رفع الحظر عن المبعدين)

(جاء في تصريح يوم أمس أدلى به مصدر مسؤول في دار الانتداب البريطاني في عدن أن المندوب السامي السر (رتشارد ترنبل) قد ألغى

الحظر الخاص بعودة كل من الأمير محمد بن عيدروس العفيفي، نائب سلطنة يافع الساحل السابق، والسيد حسين الفضل الفضلي والسلطان علي عبدالكريم سلطان لحج السابق، والسلطان أحمد بن عبدالله الفضلي، شقيق السلطان ناصر بن عبدالله الفضلي والسلطان السابق لآل الفضلي.

وأضاف المصدر قائلاً: إن بامكان هؤلاء العودة إلى عدن في أي وقت، والمعروف أن هؤلاء كانوا قد منعوا من دخول أراضي الجنوب في فترات مختلفة وكان المجلس الاعلى الاتحادي قد أصدر قراراً في الاسبوع الماضي يرفع الحضر عن جميع المنفيين والمبعدين السياسيين وطلب من حكام الولايات الاتحادية والمندوب السامي المصادقة على القرار ليكون ساري المفعول.

٣. صحيفة اليقظة:

وكان رئيس تحريرها : عبد الرحمن جرجرة ومن الأخبار التي نشرتها عن السلطان محمد بن عيدروس العفيفي ما يلي:

- اليقظة في عددها الصادر في تاريخ ٥ يوليو ١٩٦١م، تحت عنوان (أسباب سفر محمد بن عيدروس إلى تعز)

نشرت صحيفة سبأ اليمنية في عددها الأخير تفاصيل مقابلة صحفية أجراها مندوب الصحيفة مع السيد محمد بن عيدروس العفيفي الذي وصل مؤخرا بصحبة النقيب علي بن صالح الرويشان إلى مدينة تعز ونزل ضيفا على الحكومة اليمنية في دار الضيافة...

وقد ذكرت الصحيفة أن السيد محمد بن عيدروس استقبل عدداً كبيراً من الزوار الذين رحبوا بمقدمه أيما ترحيب إلى العاصمة اليمنية.. وقد ورد في تصريحات السيد محمد بن عيدروس لمندوب الصحيفة اليمنية أنه وصل إلى تعز ليطلع العالم بأسره على ماتقوم به بريطانيا من الأعمال الوحشية في الجنوب عامة ويافع خاصة

واستطرد السيد عيدروس قائلاً: (نأمل أن نتمكن بواسطة المملكة اليمنية والدول العربية الشقيقة من إطلاع العالم بما وصفه باعمال القرصنة في وطننا الحبيب).. وأضاف قائلاً: (ولاتغتر بريطانيا وأذنابها بأن الموقف قد أنتهى و أن الليل قد دنى أو أن الأحرار قد نكل بهم)، وذكرت الصحيفة اليمنية أن السيد محمد بن عيدروس قد وعدها بنشر تفاصيل إضافية عن الأعمال التخريبية).

- اليقظة في عددها رقم ١٦٤ الصادر في تاريخ ١٨ يوليو ١٩٦١م، تحت عنوان.. (محمد بن عيدروس يأمل في تكوين قيادة مشتركة في الجنوب لمكافحة الاستعمار)

(جاء في صحيفة سبأ اليمنية الغراء أن السيد محمد بن عيدروس الموجود حاليا في تعز يأمل في أن يوفق في توحيد جميع القوى المسلحة في الجنوب من أجل الكفاح تحت قيادة مشتركة تمثل كافة المناطق الثائرة في الجنوب، وقالت الصحيفة: (إن من المتوقع أن يوجه السيد محمد بن عيدروس نداء إلى جميع الهيئات السياسية وغير السياسية في عدن يناشدها فيه العمل على توحيد الصف الوطني والكفاح ضد الاستعمار وعملائه في الجنوب من أجل التحرر والوحدة وتقرير المصير. ونشرت الصحيفة نص إتفاقية قالت: إن السيد محمد بن عيدروس توصل اليها مع أمراء هرهرة في يافع العليا بشأن توحيد جهودهم لمواجهة أي اعتداء أجنبي على يافع أو تدخل في حدودها واعتراف آل هرهرة بالسيد عيدروس سلطانا على يافع تدفع له كافة العوائد).

كما نشرت الصحيفة نص بيان نسبته إلى السيد محمد بن عيدروس تضمن تفاصيل غارات طائرات السلاح الجوي البريطاني على مناطق يافع العليا.. وقال البيان: إن هذه الأعمال الحربية لن تزيد أبناء يافع الأحرار إلا عزما وتصميما على المضي في طريق الكفاح حتى الموت أو النصر.

واختتم البيان بمناشدة الرأي العام في الداخل والخارج وجميع القوى المحبة للسلام والحرية بإستنكار هذه الأعمال وتأييد الشعب اليافعي في كفاحه العادل من أجل حياة حرة كريمة خالصة من الاستغلال والاستعمار.

- اليقظة في عددها رقم ١٧٠ الصادر في تاريخ ٢٥ يوليو ١٩٦١م، تحت عنوان (محمد بن عيدروس يقول: إنني على استعداد لتوحيد حركة النضال في الجنوب.. وحدة القوى الوطنية على اختلافها هي الشرط لانتصارنا)

أصدر الأمير محمد بن عيدروس الثائر واللاجئ السياسي في اليمن بيانا حول الاجتماعات والمؤتمرات التي عقدت مؤخرا في العاصمة البريطانية، وجهها إلى كافة الهيئات السياسية والقوى الوطنية بعدن.. ويقول البيان: (إننا نناشد كافة الهيئات السياسية والقوى الوطنية في عدن أن تعيد النظر في مواقفها، و أن تكف عن محاربة بعضها البعض في هذا الظرف بالذات حتى تسود روح الأخوة الوطنية، ونتمكن من قهر ما يعترض كفاحنا من مشاكل وصعوبات، فأعداء شعبنا هم الذين يصطنعون الكثير من هذه الخلافات والانقسامات في الصف الوطني وهم وحدهم الذين يستفيدون منها لتعويق حركتنا والمضي في بلوغ أهدافنا في التحرر والوحدة وتقرير المصير)

ومضى قائلاً (كذلك فإن الهيئات السياسية والمنظمات العمالية وجميع القوى الوطنية مدعوة اليوم أكثر من أي وقت مضى لإدراك مسؤوليتها، وتصحيح مواقفها، ونسيان خلافاتها والعمل على توحيد وتجميع مختلف اتجاهات وقوى الحركة العمالية بأشكالها ضد الاستعمار على أساس تحقيق أهداف الشعب في التحرر الوطني الكامل والوحدة بين الشمال والجنوب، وإنني على استعداد لبذل كل ما في وسعي من جهود لتوحيد قوى حركة النضال تحت قيادة مشتركة تمثل كافة مناطق الجنوب الثائر)

واختتم البيان بقوله: (إن وحدة جميع قوى الحركة الوطنية على إختلاف اتجاهاتها وأشكال نضالها على الإستعمار وإرغامه على الإعتراف بحقنا في تقرير مصيرنا بعيدا عن أي نفوذ أجنبي ولو أننا تمكنا من تحقيق هذا الشرط ووضعنا المصلحة الوطنية فوق كل إعتبار، فلسوف تغدو أيام الاستعماريين معدودة في بلادنا وسيكتب لنا النصر سيما و أن كافة الشعوب العربية وشعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وجميع القوى المحبة للتحرر والسلام تقف إلى جانبنا في المعركة)

- اليقظة في عددها ١٧٥ الصادر في تاريخ ٣٠ يوليو ١٩٦١م، تحت عنوان (محمد بن عيدروس... بطل يمني)

جاء في العدد ٤٧ من نشرة الأنباء التي تصدر عن مقر نائب الامام أحمد بالقاهرة ما يلي :

قدم إلى تعز المجاهد الثائر الحر السلطان محمد بن عيدروس العفيفي زعيم يافع الحيد وقائد ثورتها ضد بريطانيا .. وقد نزل ضيفا على حكومة المملكة المتوكلية اليمنية التي رحبت به أجمل ترحيب كبطل يمني له ماضيه المجيد ووطنيته الصادقة التي لا تشوبها شائبة

- اليقظة في عددها رقم ٢٠٠ الصادر في تاريخ ٢٩ أغسطس ١٩٦١م، تحت عنوان (اليقظة تشهد احتفال المؤتمر العمالي بالمولد النبوي الشريف)..

سنقف مع محمد بن عيدروس وصحبه الأحرار حتى الموت.. ثم تحدث النقيب محمد سالم علي عن المكتب القومي للمؤتمر وأعلن أن المؤتمر يقف بكافة قواه وإمكانياته إلى جانب الحركات التحررية في كل جزء من أجزاء الوطن، وقال (كلنا يعرف أن أحرار يافع وعلى رأسهم محمد بن عيدروس قد تعرضوا

للضرب بالصواريخ والقنابل لأنهم رفضوا الاتحاد الفدرالي شكلاً ومضموناً).. ونحن من هذا المكان نود أن نرسل لمحمد بن عيدروس تحياتنا وإيماننا بكفاحهم واستعدادنا للوقوف معهم حتى الموت.. وقد ضربت يافع بالقنابل والرشاشات في المرة الأخيرة بأمر الاتحاد الفدرالي.

- اليقضة في عددها رقم ٢ الصادر في تاريخ ٣ يناير ١٩٦٢م، مقالاً تحت عنوان (أحد رجال القبائل في يافع بني قاصد يصرح : التعاون و القضاء على كل داعية للتخريب والفوضى.. محمد بن عيدروس يعمل على القتل والنهب والسلب.. الفقر والجهل يعم البلاد والمرضى لا يجدون العلاج).

بدأ الشعب في يافع بني قاصد يكتلون قواهم وينظمون صفوفهم وذلك للتعاون على كل داعية للتخريب. وقد صرح أحد كبار رجال القبائل بأن الأهالي هنالك بدأوا يشعرون بمدى الخسائر التي أصابت تجارتهم، والتلف الذي حل بمزارعهم، وذلك منذ أن بدأ محمد بن عيدروس و أعوانه من العصاة والخارجين على القانون عمليات التخريب والقتل والنهب والسلب. واستطرد قائلا بأن الفقر بدأ يعم الانحاء، والمرضى لا يجدون العلاج، والطلبة لايتحصلون على العلم والثقافة... هذا في الوقت الذي تُبنى فيه المعاهد وتشق الطرقات وتشيد المستشفيات والصيدليات في أنحاء الجنوب الأخرى..

ويتوقع الأهالي أن يسود السلام جميع النواحي وتعود الأحوال إلى سابق عهدها في القريب العاجل وذلك بعد طرد العصاة والمتمردين على النظام والقانون.

- اليقظة في عددها رقم ٣ الصادر في تاريخ ٤ يناير ١٩٦٢م، في مقال تحت عنوان (الهدوء يسود يافع الجبل)

(بدأ الهدوء والأمن يسود بعض القطاعات في يافع الجبل وذلك إثر الحملة التي قام بها الأهالي هناك لتعقب الفوضويين والعصاة الذين سببوا للشعب هناك الكثير من المتاعب والمشاكل التي كانت سببا في تعطل الحركة التجارية وسير الأعمال والتعطل و انتشار البطالة.. وقد اختل نظام العصاة على إثر تلك الحملة مما يسهل للأهالي فرص القضاء عليهم، ومن المتوقع أنه عندما يسود الإستقرار والهدوء والنظام فإن السلطة المسؤولة ستبدأ في بناء المدارس وتعبيد الطرق وزيادة الحركة التجارية وبناء المستشفيات أسوة بأنحاء الإتحاد الأخرى)

- اليقظة في عددها رقم ٥ الصادر في تاريخ ٦ يناير ١٩٦٢م، تحت عنوان (لفت نظر)

(نلفت أنظار قرائنا الكرام إلى أن ما نشر في العدد الثاني من صحيفة اليقظة الصادر في ٣ يناير الحالي الموافق ٢٧ رجب تحت عنوان (أحد رجال القبائل في يافع بني قاصد يصرح)، كان بلاغاً إخبارياً أصدرته وزارة داخلية حكومة الاتحاد الفيدرالي يوم ٣١ ديسمبر الماضي... ورقم البلاغ هو ٦١/١١٤٩).

- اليقظة في عددها رقم ١١ الصادر في تاريخ ١٢ يناير ١٩٦٢م، تحت عنوان (إختفاء محسن بن عفيف وعائلته).

(الشيخ محسن بن حمود آل عفيف إبن عم السلطان الراحل عيدروس بن محسن عفيف، اختفى من القارة هو وعائلته.. لم يستطع أحد أن يكتشف بعد الجهة التي غادر إليها محسن بن حمود وعائلته.. هناك إشاعة تقول أنه لحق بالسلطان محمد بن عيدروس الذي يقيم حاليا في اليمن[٢٢].

٢٢ الامير محسن بن حمود العفيفي هو الاسم الصحيح، وهو ابن اخ السلطان عيدروس بن محسن العفيفي وليس ابن عمة كما اوردت الصحيفه

- اليقظة في عددها الصادر في تاريخ ١٣ يناير ١٩٦٢م، تحت عنوان (المصلي يطلب إمدادات حربية من نائب لواء البيضاء) (محمد بن عيدروس يريد جبهة موحدة ضد بريطانيا)

(يقال أن سلاح الجو البريطاني قام في أول يناير الحالي بغارات متتابعة على بلاد الشيخ محمد صالح المصلي وقد أبلغ الشيخ المصلي، نبأ هذه الغارات إلى النائب صالح بن ناجي الرويشان إلا أن رد الرويشان جاء بقوله: إنه لا يستطيع تقديم أية مساعدة للمصلي ورجاله إلا بأمر صريح من الإمام أحمد.. ولا يزال السلطان محمد بن عيدروس وعائلته في مدينة البيضاء وقد تقدم بعدة طلبات إلى حكومة اليمن بخصوص إمداده بسلاح وعلى شرط أن تكون المعركة التي سيخوضها ضد بريطانيا على أسس تكتل إجماعي.

- اليقظة في عددها الصادر في تاريخ ١٦ يناير ١٩٦٢م، تحت عنوان (محمد بن عيدروس يعود من صنعاء إلى تعز).. (ذكرت صحيفة سبأ أنه شرف مطار تعز بعد ظهر الاثنين قبل الماضي قادما من صنعاء عظمة السلطان محمد بن عيدروس العفيفي وكان في استقباله بالمطار عدد كبير من رجال الجنوب والشمال وقد نزل ضيفا على الحكومة المتوكلية بدار الضيافة).

- اليقظة في عددها الصادر في تاريخ ١٣ فبراير ١٩٦٢م، تحت عنوان (محمد بن عيدروس يأمل تدخل الإمام)

(صرح السلطان محمد بن عيدروس للزميلة (سبأ) التي تصدر في تعز بأنه ما وصل من صنعاء إلى تعز إلا لتبليغ جلالة الإمام وولي عهده بكل ماحدث وما يحدث حتى الآن في يافع.. ويأمل عظمته أن يتدخلا في حل المشكلة.

- اليقظة في عددها ١٤٦ الصادر في تاريخ ٢٦ يونيو ١٩٦٢م، تحت عنوان (إحضار محمد بن عيدروس إلى لندن).. (قال المستر روبرت إدواردز النائب العمالي ورئيس حركة حرية المستعمرات الذي زار مؤخرا عدن لمندوب رويترز أنه سيحاول إحضار (سلطان عدن الثائر) إلى لندن والعمل على إجراء مناقشة برلمانية كاملة حول المستعمرة.. وأضاف المستر إدواردز قائلا: إنه زار السلطان محمد بن عيدروس في هضاب جنوبي اليمن حيث يتولى قيادة ٢٠٠ ثائر من الشيوخ.. وقال: إن قبائل عديدة كبيرة وصغيرة في محمية عدن تدين بالولاء لهؤلاء الشيوخ وللسلطان).

٤- صحيفة الأخبار

و كان رئيس تحريرها: علي محمد لقمان وبدورها نشرت العديد من الاخبار عن السلطان محمد بن عيدروس العفيفي منها ما يلي:

الأخبار في عددها رقم ٦٣١ الصادر في تاريخ ١٣ مايو ١٩٦٥م، تحت عنوان (السلاطين في تعز يتخلون عن ألقابهم السلطانية)

(تخلى السلاطين المنفيون في المؤتمر الذي انعقد في تعز كما صرح السيد عبدالله عبدالمجيد الأصنج عن ألقابهم السلطانية.. فقد أعلن كل من السلاطين أحمد بن عبدالله الفضلي وعلي عبدالكريم ومحمد بن عيدروس وعبدالحميد بن سرور ومعهم الأمير جعبل بن حسين العوذلي أنهم متنازلون عن ألقابهم، وأنهم مستعدون أن يتقدموا لإنتخابات حرة في الجنوب كمواطنين عاديين.. وكان السيد الأصنج قد أدلى بهذا التصريح إلى وكالة رويتر) .

٥- صحيفة الحق

وكان رئيس تحريرها : عبد اللطيف كتبي ومن الأخبار التي نشرتها عن السلطان محمد بن عيدروس العفيفي ما يلي:

- الحق في عددها رقم ١٢٧ الصادر في تاريخ ١٩ فبراير ١٩٦٧م، تحت عنوان (برقية إحتجاج على إعتقال السلطان محمد بن عيدروس)

كان لإعتقال السلطان محمد بن عيدروس من قبل السلطات في اليمن رد فعل عنيف لدى جميع قطاعات الشعب المناضل في الجنوب العربي وأبناء الجنوب العربي المتواجدين في الجمهورية العربية اليمنية.. ومن ناحية أخرى قامت الأمانة العامة لحزب رابطة الجنوب العربي يوم أمس بإرسال برقية إلى رئاسة الجمهورية في صنعاء هذا نصها:

رئاسة الجمهورية — صنعاء..

(إن اعتقال المناضل محمد بن عيدروس وزملائه يعني طعنة نجلاء موجهة ضد نضال شعب الجنوب العربي بحكم الدور الذي قام ويقوم به وزملاؤه في مقاومة المخططات الاستعمارية في المنطقة، وعليه فإنه مهما كانت الأسباب المؤدية إلى اعتقالهم فان هذا الاعتقال قد أثار استنكار شعب الجنوب العربي واستياءه الشديد.. باسم النضال والمناضلين في هذه البقعة المنكوبة من الوطن العربي نناشدكم الافراج عن السلطان محمد بن عيدروس وزملائه فوراً)

- الحق في عددها رقم ١٢٩ الصادر في تاريخ ٢٣ فبراير ١٩٦٧م، تحت عنوان (قبائل يافع تستنكر إعتقال السلطان محمد بن عيدروس)

(وصل إلى البيضاء في اليمن وفد مكون من نحو مائتي مقدم وشيخ من مقادمة وشيوخ يمثلون قبائل يافع التي أوفدتهم بهدف الإحتجاج لدى السلطات في اليمن على اعتقال السلطان محمد بن عيدروس.. وقد بعث أعضاء الوفد برقية إلى الرئيس جمال عبدالناصر بهذا الصدد عبروا فيها عن إستنكارهم للاعتقال وقالوا إنهم يؤمنون بالسلطان محمد بن عيدروس ويعتزون به وسيفدونه بالمال والأرواح.. كما بعثوا برقية أخرى إلى قائد القوات العربية في اليمن أشاروا فيها إلى أن مثل هذه الاجراءات الشنعاء تعتبر في صالح الاستعمار وتتمشى مع دعاياته المسمومة.. وقالوا :إننا نستنكر هذه الإجراءات بكل شدة ونحملكم المسؤولية أمام الله والرأي العام.)

٦- صحيفة الحقيقة

وهي صحيفة أسبوعية وكان رئيس تحريرها محمد سالم باسندوة

- الحقيقة في عددها رقم ١ الصادر في تاريخ ١٠ يونيو ١٩٦١م، تحت عنوان (آخر أخبار تأزم الحالة في يافع)

(المؤتمر العمالي يبرق إلى الحاكم العام لوقف العمليات العسكرية.. تأزمت الحالة في يافع.. الانذارات توزع بإستمرار للأهالي في القارة وشعب البارع ورصد والخربة والبارك.. سلاح الطيران البريطاني يقال بأنه يقصف هذه المناطق بعنف.. الأهالي يهرعون إلى البيضاء.. وقد جاء في منشور داخلي للمؤتمر العمالي بأنه بناء على اتصالات مستمرة مع العمال من أبناء يافع الذين يطالبون بإنهاء عمليات التدخل العسكري في منطقتهم فقد أبرق الأمين العام للمؤتمر إلى الحاكم العام يطالبه (بايقاف الحرب في يافع ومنع الغارات الجوية عليها وعدم الاستمرار في السياسة الخاطئة التي تصر حكومة بريطانيا على انتهاجها في المنطقة..

والمفهوم من المنشورات أن حكومة الاتحاد الفيدرالي هي التي تقوم بالإشراف على العمليات العسكرية بالتعاون مع سلاح الطيران البريطاني.. هذا ولم تصل بعد معلومات جديدة عن أي تطورات الموقف في داخل يافع نفسها غير أن بعض الصحف المحلية قد أشارت إلى أن عددا من الأهالي غادروا منازلهم إما إلى عدن أو إلى حدود الشمال).

- الحقيقة في عددها رقم ٤ الصادر في تاريخ ١ يوليو ١٩٦١م، تحت عنوان: (ألفا عامل يجتمعون في المؤتمر العمالي... إستنكار القتال المستمر في جبال يافع)

(أوردت الصحيفة الخبر عن اجتماع عمالي بساحة المؤتمر العمالي بالمعلى ثم أوردت أن الاجتماع اختتمه النقيب علي حسين القاضي بقراءة قرارات خطيرة للغاية أهمها ما يلي:

أولاً: تجريم عمليات القصف والإرهاب القائمة اليوم في إمارة يافع.

ثانياً: إستنكار موقف حكومة الشمال اليمني من الأمير الثائر محمد بن عيدروس.

ثالثاً: مطالبة البلاد العربية وخاصة الجمهورية العربية باتخاذ مواقف إيجابية واضحة من قضية الحرية في جنوب اليمن.

رابعاً: إدانة المشاورات التي يجريها رؤساء مايسمى بالاتحاد الفدرالي ووزراء حكومة عدن في لندن وعدم إلتزام الشعب بأي نتائج تحاول هذه الجهات أن تفرضها علينا.

- الحقيقة في عددها رقم ٧ الصادر في تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦١م تحت عنوان (النداء الموجه من محمد بن عيدروس إلى كافة الهيئات السياسية والقوى الوطنية في عدن)

وجه السلطان محمد بن عيدروس نداء إلى كافة الهيئات السياسية والقوى الوطنية في عدن.. وقد تسلمنا بالبريد نسخة من النداء، عليها توقيع هادي أحمد بن سليمان نيابة عن السلطان محمد بن عيدروس..

وجاء في البيان (في هذا الوقت بالذات، بل في هذه الفترة من تاريخ كفاحنا نرى لزاما علينا أن نناشد جميع الهيئات السياسية والقوى الوطنية في عدن أن تعيد النظر في مواقفها و أن تكف عن محاربة بعضها للبعض الآخر حتى تسود روح الأخوة الوطنية ونتمكن من قبر جميع ما يعترضنا خلال كفاحنا من مشاكل وصعوبات.

ولذلك فإن الهيئات السياسية والمنظمات العمالية وجميع القوى الوطنية مدعوة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى إدراك مسؤولياتها وتصحيح مواقفها ونسيان خلافاتها.. والى أن تعمل على توحيد وتجميع مختلف إتجاهات وقوى الحركة العمالية والوطنية)

وقد أنهى محمد بن عيدروس بيانه بقوله: (وفي الختام فإنني قوي الأمل بأن أحدا لن يتخلف عن السير في طريق الوحدة الوطنية، و أن الجميع سيقدرون حق التقدير الدوافع المخلصة التي أملت علينا هذا النداء).

٧- صحيفة صوت الجنوب:

كانت هذه الصحيفة هي الصحيفة الرسمية لاتحاد الجنوب العربي وهي صحيفة أسبوعية كان رئيس تحريرها أحمد شريف الرفاعي و إبتداء من عدد ها رقم ٤ للسنة الثانية بتاريخ ٨ يونيو ١٩٦٢م

بدأت كتاباتها عن محمد بن عيدروس تحت عنوان رئيسي ثابت هو (ثورة أم فوضى من مراسل الصحيفة في يافع بني قاصد) ونظراً لطول الكتابات التي استمرت لما يقارب شهرين على صفحات هذه الصحيفة فإنه قد صعُب إيرادها هنا وقد مثلت كتاباتها الاتجاه المغاير والمعاكس لما كانت تكتبه بقية الصحف العدنية حينها، ويمكن للمهتمين الرجوع إلى أعداد تلك الصحيفة إعتبارا من العدد والتاريخ المذكور أعلاه.

ملحق رقم (٢)

ترجمة ما كتبه بعض الشخصيات السياسية الانجليزية من الذين عملوا في الادارة البريطانية في عدن ومحمياتها الشرقية والغربية



١. ترجمة نصية لما كتبه المعتمد البريطان كندي تريفاسكس عن الخلاف مع السلطان محمد بن عيدروس العفيفي في كتابه ظلال الكهرمان، صفحة (١١٦ - ١٢٥)

(أما في أبين فقد كان الأمر مختلفا، ففي وسط السهل الأغبر الواسع وكسفينة حربية على صفحة بحر مفتوح، تبرز طبقة صخرية ناتئة وحيدة تعرف باسم خنفر، تقع على حافة مدينة جعار من يافع السفلى، وعليها يمكن مشاهدة المكاتب والمساكن الخاصة بالطاقم الاوروبي الذي كان يدير برنامج القطن، وكان هناك حوالي ٢٤ منهم، وقد عمدوا مع بعض النجاح لأن يعيشوا منفصلين من أبناء المنطقة بناديهم وعاداتهم المستجلبة معهم، لكن هذه المنطقة ليست مستعمرة انجليزية وبالنسبة لمسلمين محافظين جدا مع عدم معايشة سابقة مع الأوروبيين فربما يصبحون متطفلين أفظاظاً وعدوانيين. أما المحرضين الوطنيين فلن يجدوا أفضل من هذا الهدف الاستعماري لهم لإقناع منتجي القطن بأن المجتمع الأجنبي الصغير المرفه يعيش على نفقة العرب، و أن الإستعمار وبطريقة ما (يأكل) من قطن العرب، وهذه مناورة وطنية واضحة سهلها تواجد شخصيات اللجنة التي تدير برنامج أبين.

ولإزالة القلق الناشئ لدى الخزينة البريطانية التي وفرت التمويل الابتدائي للمشروع فقد أوكلت رئاسة مجلس الإدارة إليّ بصفتي المعتمد البريطاني، ومن بين أعضائه الآخرين كان هناك إثنين من الإنجليز، هم مدير مجلس الإدارة والمشرف الزراعي.

وبما أن مجلس الإدارة كان أغلب أعضائه من الإنجليز، وبما أن سلطنتي الفضلي واليافعي كانت تتم السيطرة عليهما عن طريق هذا المجلس الا أن فكرة العلاقة الاستشارية كانت غير مكتملة إلى حد التدمير غير المدرك أن الأخطار السياسية تديم هذه السلطة

المطلقة كأمر بديهي، ففي عدة مناسبات اقترحت بأن نعيد تكوين اللجنة بأعضاء عرب ومستشارين إنجليز، إلا أن مشرف الزراعة كان يعارضني بشدة، ويحاجج بالعديد من الأدلة المقنعة بأن مجلس إدارة عربي سيتصرف بلامسؤولية، وسيعرض للخطر كل النجاح الذي تم للبرنامج. لقد نجح في النقاش، لكن لاحقاً علينا دفع الفاتورة.

الحدث الرئيسي الذي قام به هيكنبوثم بالتسوية الدرامية مع سلطان يافع السفلى، هو تعيين إبن الأخير محمد عيدروس كنائب أو رئيس للإدارة في قطاع يافع السفلى من أبين، والذي التفت المعارضة المحلية حوله في موضوع لجنة أبين عامي ١٩٥٤م و ١٩٥٥م، ولاحقا مع دعم الرابطة (يقصد رابطة أبناء الجنوب) في تحدي وطني للاستعمار.

محمد عيدروس كان شاباً صغيراً جداً ذا وقار وصاحب قامة منتصبة بلا غطرسة غير لائقة، عندما قدم لأول مرة من مناطق القبائل الجبلية، كان لا يعرف شيئاً عن الحكومة المعروفة، لكن وعلى عكس العديد من الآخرين قليلي المعرفة، كان لديه شهية ونهم للتعلم ويطلب المزيد والمزيد إلى حد السأم من الأسئلة كيف؟ ولماذا؟ ولم يمض طويلا قبل أن يتحول إهتمامه في البحث والتحقيق إلى الشأن الخاص بلجنة أبين.

إجتماعات مجلس الإدارة كانت نادرا ما تشغل أعضاءها لأكثر من نقاش صباحي عادي، الآن ومع محمد عيدروس امتدت، والتفاصيل والشروحات المضايقة كانت تقريبا حول كل شيء إبتداء من الإتفاق على شحن آلاف البالات من القطن إلى الأسباب وراء صرف بعض الجنيهات لشراء ثلاجة لمنزل موظف.

ولأنه أصبح على إطلاع أفضل فقد ارتقى من مرحلة الطالب إلى مستوى المعلم، ينتقد ويعاقب بأسلوب محرج وبلا كابح، كانت انتقاداته

غالبا غير ناضجة ومرتكزة على سوء فهم مثير للضحك، وعلى كل ففي بعض الأحيان كانت الانتقادات وثيقة الصلة بالموضوع ويمكن أن تكون مفيدة لو أنها طرحت بشكل أفضل، وفي كل الحالات فإنها كانت تثير إستياء زملائي البريطانيين.

وفي محاولة جعلهم ينظرون إلى أنهم يخدمون محمد عيدروس صاحب أبين وليس كما يعتقدون بأنهم سادتها، هناك مخاطرة في أن يجعلهم ذلك يرتبون حقائبهم ويرحلون، وإذا لم يوجد البديل ليحل محلهم فماذا سيحل بالبرنامج؟ وعلى نفس المستوى إذا حاول أحد أن يقنع محمد عيدروس بأن البرنامج سينهار بدونهم و أن عليه أن يجتهد في ضبط لسانه، فهناك مخاطرة من أن يعتقد بأنه يُطلب منه بأن يكون إمعة.

لقد فعلت ما قدرت عليه للقيام بعمل صانع السلام بينهم وتحركنا بشكل أعرجٍ من أزمة إلى أزمة ومن تسوية هزيلة إلى أخرى، لكنني كنت مدركا بأنني قد فشلت.

لم يعد خافيا اشمئزاز الطاقم الاوروبي في اللجنة من ضعفي، والعديد منهم هدد بالإستقالة وعدد منهم غادر، والاسوأ أن محمد قد تصاعدت ثقته إلى حد أصبحت فيه كلماته لاذعة وتقلقني من أن تنتصر.

وقد سألني في أحد الأيام قائلاً: كم من الفوائد تجنيها الحكومة البريطانية من عدن والمحميات؟.. طرح السؤال بشكل مزعج كما لو أنه كان مقصوداً أن يؤلم، وبعيدا عن الحصول على مكاسب أجبته قائلاً: نحن ندفع مبالغ كبيرة كل سنة على شكل إعانات حكومية ومنح للتطوير.. نظر إليّ وهو معطيني جانب وجهه وابتسم، ثم اتسعت ابتسامته إلى ضحكة ساخرة ومجاملة، ثم قال : هل عليه أن يصدق بأن الحكومة البريطانية موجودة في الجنوب العربي لتطويره

وعلى نفقتها من دون مقابل ؟، فبالنسبة لحكومة تفعل ذلك لشعبها فالأمر مفهوم، أما أن نوحي بأننا ننفق صدقة على شعب في الطرف البعيد من الأرض وليس لدينا معهم أي شيء مشترك فهذا أمر غير منطقي، ثم قال: هيا أقر بذلك أنت تعرف جيدا بأنكم تجنون مالاً من عائد قطننا.

كان هذا النقاش الأول من العديد من النقاشات العبثية التي لا طائل ورائها ومع وجود صحائف الحسابات والموازنة كإثبات، حاولت إقناعه بأننا لسنا مختلسين حتى فلس واحد من أموالهم. عندما كنت أتكلم كان يعطيني جانب وجهه مع ابتسامة تتسع بين الحين والآخر إلى ضحكة غير مصدقة.

وطنيته المتفتحة لم تنته عند الخصومة معي ومع ضباطنا السياسيين، بل أنه ظهر لدى العامة كنصير لحقوق الشعب ضد إضطهاد لجنة أبين للحقوق التي كان يهتم بها بنفسه، وهي ما يحصل عليه الفلاحين مقابل محصول القطن الذي يزرعونه، وهي تتغير من سنة لأخرى تبعا للسعر الذي يباع به المحصول وتبعا لكلفة تشغيل البرنامج والمبالغ التي كانت اللجنة ترصدها كاحتياطي للتطوير المستقبلي. ولأن سوق القطن كان رائجاً، فان مستوى العائدات كان في إزدياد و لا يوجد أي سبب يجعلنا نخشى من أن تمسح بسمة الرضى من على وجه أبين.

إلا أن الذي أزال تلك البسمة هو البرنامج المماثل الذي ساعدنا علي (يقصد علي عبدالكريم) على إنشائه في لحج بقرض تم تموينه من أبين، وبرنامج لحج يتميز بأنه قد أخذ نظام الري الجاهز مع بعض التعديلات، ولم يكن بحاجة كأبين للطاقم الفني والإختصاصي الأوروبي، ولا لأسطول البلدوزرات والتركترات، ولا للمقتنيات البشرية والمادية الأخرى الموجودة في أبين، وليست كأبين بحاجة لصيانة القنوات والسدود وضفاف الوادي والورش والمكاتب وسكن

العاملين والمواصلات، وكلفة تشغيل البرنامج في لحج كانت أقل لأن اللجنة بكاملها مكونة من مدراء عرب والذين كانو أقل اهتماماً في إتجاهاتهم في ما يخص رصد ميزانية للتطوير والاحتياط، لذلك فما كان متاحاً لتوزيعه على المزارعين كان يعد نسبيا أعلى من ذلك الذي يتم توزيعه في أبين، وكان هذا الأمر بالنسبة لمحمد عيدروس إثباتا دامغاً على مغالطتنا الإستعمارية.

وكان يقول: هل هم في لحج رجال و في أبين هم مجرد نعاج، وفي لحج الاستعمار بقي خارج الموضوع، أما في أبين فقد سُمح لهم أن يديروا الأمر، وماذا كانت النتيجة ؟

الجواب كان بالجنيهات والشلنجات وباستطاعة أي كان أن يلمس ذلك بالفرق الذي يحصل عليه المزارعين في كل من لحج وأبين ثمنا لقطنهم.

لقد تيقنت أن مثل هذه الأطروحات والأحاديث كانت تأتي من الرابطة (يقصد رابطة الجنوب العربي).

في فبراير ١٩٥٦م أصبح محمد قلبا وروحا معهم و يفاخر بالشعبية التي كسبها بجهوده لإستخلاص عائدات أكبر من اللجنة لصالح المزارعين.

لقد بزغ كقائد وطني يردد شعارات الرابطة ويطالب بالإستقلال وإقامة نظام فدرالي، ومنح حمايته لعدد من الإحتجاجات المناهضة للاستعمار التي قامت تضامنا مع تلك التي حدثت في لحج.

المواضيع المباشرة التي على أساسها بدأ في تحديه لنا، كانت فيما يدفع للفلاحين وإدارة لجنة أبين، حيث طالب بالدفع لهم بنفس النسبة التي يتم الدفع بها في لحج ونقل الإدارة إلى أيد عربية، وهي مطالبات تصدرت الصفحة الأولى من صحيفة الرابطة الصادرة في عدن، وأذيعت باهتمام من إذاعة القاهرة وإذاعة صنعاء، ويستطيع المرء

أن يحكم عندما يسمع الأولاد الصغار في عدن ولحج و أبين يهتفون (يعيش محمد عيدروس)بأنه وبمعيار الشعب قد أصبح بطلا قوميا.

لقد كنت متوقعا بأن أحضى بأبرد التعليقات من قبل زملائي البريطانيين في اللجنة، مثل (لقد نبهناك كثيرا) وكذلك تنبؤات الزملاء الأوروبيين المنسحبين بالتدهور الكامل لبرنامج أبين إن لم يتم التعامل بصرامة مع محمد عيدروس.

لا شيء يغيظ أكثر من أن يقالِ لك بأن تكون حازماً، كما و كأنه لا يوجد شيء يجعل المرء يغضب بدلاً من أن يبتسم، إذا رفضت مطالب محمد دون تحفظ، هل سيحكم علي بأنني منشغل بالإشارات التافهة مما يحتم صدام مباشر مع حكومتي السلطنتين والرأي العام، ولدينا ما يكفينا في هذا الوقت، وبدلاً من المخاطرة بمواجهة في الغالب وعلى الأرجح غير ناجحة مع الوطنيين، فقد نظرت إلى الأمور بشكل أفضل و اتخذت بعض القرارات، على الرغم مما ظهر من تحذيرات حول تأثيرها على التطور في المستقبل. لذلك راجعنا مستوى المدفوعات، ولاحقا راجعنا موضوع تركيبة لجنة أبين أيضاً.

بالطبع هذه القرارات تم الادعاء بأنها إنتصارات سياسية لمحمد عيدروس، الا أن شعبيته لم تكن شاملة، فخلال العام ١٩٥٦م بدأت المعارضة تتكون ضده في سلطنة الفضلي المجاورة حيث نُظر إلى إرتفاع مكانته السياسية بالاستنكار والغيرة.

وقد كان هناك نزاع مستمر بين السلطنتين على الحدود وعلى مياه الري من السيول وأمور أخرى، ولا يلزم المرء أن يكون حاد الذكاء ليعرف بأنه كلما زاد وزن محمد عيدروس السياسي فإن ميزة ذلك ستعود على يافع السفلى، لكن الأمر المقلق المباشر للسلطنة الفضلية هو خطر التدخل في شؤونهم الداخلية، حيث توجد هناك دلائل بأن محمد عيدروس كان كبيرا جدا بالنسبة ليافع السفلى، و في أكثر من

مناسبة قام بالتقرب من بعض العشائر الفضلية بقصد واضح لتجنيد أتباع على طريقة علي عبدالكريم وأهل بوبكر بن فريد.

ولا أحد كان حساساً لهذا التهديد أكثر من أحمد بن عبدالله، الذي حكم السلطنة باسم السلطان، الذي أشار عليه (سيجر) بالنفي الطوعي إلى الريف، وكان بنفس عمر محمد عيدروس، لكنهما كانا مختلفين عن بعضهما بشكل كبير، فقد كان لدى أحمد بن عبدالله مخزون من المرح والوقاحة، ومخزون من الأقوال المكررة والتلاعب اللفظي المتعد للذوق وكذلك الملاحظات الساخرة، ولديه إزدراء وقح للعادات والمسؤولية، و رغبة لخرق هيبة المناسبات الجدية، وهو بالنسبة للبعيدين يهتم بشكل غير ثابت بالحكايات والأمور قليلة الأهمية، لكن أولئك الذين عرفوه عن قرب كان لديهم أسبابهم لأن يحترموه، فلديه مقدرة شخصية غير مألوفة في الجنوب العربي للتشمير عن ساعديه والنزول إلى موقع الحدث ليعمل ويرى الأشياء بنفسه.

وبينه وبين محمد عيدروس كان يوجد جو ثقيل من الكره الشخصي والاختلاف السياسي، ويرى في الرابطة حصان طروادة فهو يقول : (إن رابطة الجنوب العربي إسم مغلوط و أنه ليس من الجيد تمرير حمار على أنه خيل أصيل، سموها كما هي عليه – رابطة لحج والجفري ومحمد عيدروس وبعد ذلك إسأله إن كان يرغب بها في سلطنته.

على الرغم من أن الرابطة قد أثارت بعض المظاهرات المزعجة في الجزء الفضلي من أبين، إلا أنه كنتيجة لذلك لم ينظم إليها أحد، وكان قائدها شخصاً هزيلاً وجائعاً من فروع أولاد عم (الدولة) وفي صحيفة الرابطة نُشر على أنه (الأمير الحالي)و كفاه أن وجه إليه أحمد بن عبدالله أصبعه محذرا، فتوقفت المظاهرات وظهر الأمير الحالي في مكتبي مشتكيا من أن الرابطة قد أوقفت عليه راتبه.

بعد ذلك بوقت قصير دُعي رجال قبائل الفضلي إلى البيضاء وبعدها بقليل انفجر التمرد، كان أمراً متوقعاً أن يهاجمنا اليمن بعد رفضنا الترحيب بمقترحات الشامي الجديدة، لكنني كنت أتساءل لماذا كانت الأهداف بيحان والعواذل والضالع والآن الفضلي، ولماذا لحج وبحدودها الطويلة والمكشوفة والتي تمثل هدفاً مناسباً بقيت بشكل غريب غير متأثرة بالاهتمام اليمني.. كيف صار أن شيخ العلوي - وهو المعروف عنه بأنه تابع للحج والذي لا يعمل شيئاً دون إشارة من علي عبدالكريم – ينقض ويصبح متمرداً ؟. يبدو أن الرياح أصبحت تحمل معها أي كم من القش في نفس الاتجاه، وبناء على النصيحة المصرية بأن على علي عبدالكريم والرابطة التعاون مع اليمن لتدمير عدوهم المشترك.

كنت مهتماً شخصيا لأن أتاكد أن ذلك لم يكن حقيقياً، لكن وبسرعة تلاشت آخر آمالي الضعيفة.

القوافل التي كانت تنقل التعزيزات والتمويل إلى الضالع إثر مقتل الدرويش كانت تحتجز وبشكل مستمر في لحج من قبل حشود من الناس مجتمعة وموجهة من قبل مندوبين معروفين بالرابطة، وفي كل مرة يأتينا نفس التقرير الكئيب عن راشقي الحجارة والشتائم التي توجه، والشرطة اللحجية التي ترفض التدخل، فيما بعد وعندما أشكو من ذلك، كان علي عبدالكريم يرد علي بأنه من السخف أن أعمل مثل هذه الضجة من أجل عدد من أطفال المدارس يستخدمون الحماس الوطني، و لا يوجد أكثر من أن يهز المرء كتفيه ليفعله، ومرات أخرى كنا نشكو بعد عدد من الأحداث التالية لعله يعمل شيئا لوقفهم، وهكذا استمرينا إلى أن أتى يوم كانت التعزيزات للضالع مطلوبة فيه بشكل مستعجل، فوجهت الضابط المسؤول في حرس الحكومة ليعجل وصوله إلى

هناك ودون عمل أي حساب للتوقف في الطريق، عند الوصول إلى لحج كانت طريقهم مرصوصة بحشد من الناس ولأنه فشل في إقناع الشرطة اللحجية على تفريقهم، فقد قام حرس الحكومة بذلك العمل بأنفسهم، وهكذا استمرت القافلة في طريقها.

توقعت اعتذاراً من علي عبدالكريم، ولكن بدلا من ذلك استلمت احتجاجاً متشنجاً على ما وصفه بانتهاكنا لسلطته مطالبا بأن أُبقي (الجستابو) التابع لي ملتزما بالنظام.

بعد ذلك لم نشاهد بعضنا إلاَّ قليلا وعندما يتم ذلك كان تحدثنا خاطفاً وكذلك ابتساماتنا.

في مايو ١٩٥٧م أمكن لعلي عبدالكريم والرابطة أن يستريحوا قليلا من تلاحق الأحداث، وعلى حدود العواذل وبيحان لم يحقق اليمن أي شيء، وفي الضالع أخفق التمرد، وشيوخ العلوي والمفلحي والقطيبي عادوا إلى الحضيرة، وفي مشيخة العوالق العليا عاد آل أبو بكر وانطووا على أنفسهم بعد اختيار الأمير عبدالله، وفي الفضلي انتهى التمرد بدون صعوبة أو سفك دماء. ولم يتعرض أحد من خصومهم لأقل ضرر و لا الباقين من أنصارهم.. فقط وحده محمد عيدروس ظل واقفا على قدميه، والآن عليه أيضا أن يسقط.

وعلى الرغم من انتكاسة الرابطة مع أهل فضل إلا أنها في البداية لم تؤثر على موقعه في المنطقة اليافعية من أبين، ومع بداية عام ١٩٥٧م، كانت هناك دلائل على أن أعضاء مجلس سلطنة يافع السفلى قد أصبحوا نافذي الصبر، والمجلس أساسا تم إنشاؤه بمبادرة من (هرتلي) لتمكين الجزء الواقع في أبين من يافع من السلطة السياسية في الوقت الذي أُشير فيه على السلطان (يقصد السلطان عيدروس) بمغادرة هذا الجزء.

لقد قبلوا بتردد واضح بتعيين محمد عيدروس كنائب، خائفين من أن يمهد ذلك الطريق لعودة السلطان (يقصد السلطان عيدروس)، ومعاقبتهم لتعاونهم مع (هرتل) ضده.

السلطان عيدروس كان شخصية غريبة الأطوار ومرعبة، ومن لا يعرفه سيعتقد بأن خوفهم لامبرر له، وفي هذا الوقت أصبح رجلاً كبير السن، ومتمسكاً بشكل فريد وغريب من الملابس والتصرفات، ملابسه كانت تخاط جيدا مع تشكيلة من الرداء غير العادي يُفصل من المخمل المطرز بالفضة والترتر بتصاميم بالكامل خاصة به.

وعلى الرغم من أنه عادة كان يضع العمامة على رأسه، إلا أنه في بعض الأحيان يلبس قبعة لماعة من تصميمه مشابهة أو هي مزيج من قبعة المهرج وتاج الأسقف، له نظرات متوحشة ومرعبة، وهو عديم القدرة على الحديث بشكل طبيعي، و عندما لايكون متحمسا يتحدث بشكل عنيف وينهمك بحماس إلى حد أنه في بعض الأحيان يلاحض الزبد واضحا على جانبي فمه، و يسود اعتقاد في منطقة القبائل الجبلية الموحشة أن له قدرة موروثة على إنزال المطر، وشخصيته الخطرة أكدت له إحتراماً وتأثيراً بلاحدود.

سيكون لشخصه وضع مضحك في أبين إن لم يخافوا منه، ليس بسبب خصوصية سلوكه لوحده ولكن بسبب وقوفه مع القبلية المتوحشة التي أنقذ (هرتلي) أبين منها.

كنت أعرف بتوجسات المجلس (يقصد مجلس السلطنة) لكنني لم أتوقع منهم أن يخاطروا بالصدام مع محمد عيدروس، والصدع الذي حدث بينهم، حدث بشكل غير متوقع مثل شرخ صغير توسع في ظرف ليلة وضحاها إلى شق عميق، لقد بدأ ذلك عندما قدم محمد عيدروس تقريراً أشار فيه إلى أن جزءاً صغيراً من قبيلة يسكنون الجبال قرب أبين قد رفضوا أن يقبلوا في بعض ماحكم حول خلاف على ملكية أرض، و أن أحد أعضاء المجلس وهو الشيخ بالليل، ذهب والتحق بهم كنوع من

التعاطف معهم، وسألني: هل يمكنني أن أوجه سلاح الجو الملكي لضربهم كي ينصاعوا، طلب مني ذلك وهو يطرق بأصبعه السبابة على طاولتي، قلت له: إن الأمر لا يتطلب مثل هذه المبالغة في استخدام القوة، وعلى كل حال سأقنع بالليل ليأتي ونتحدث بالموضوع.

وبابتسامة صارمة رد علي محمد (يبدو أنكم تنوون خرق المعاهدة معنا) ثم أضاف أن المعاهدة تلزمنا بمساعدته عندما تكون هناك حاجة إليها، ولأنني قد رفضت طلبه فقد خرقتها، قلت له: (تعال، تعال)متجاهلا تلك السخافات التي قالها (دعني استدعي بالليل وسنقابله مع بعض ونحل المشكلة بسلام).

ظهر أنه اقتنع ولكن بسوداوية، وفي ظرف يوم أو اثنين أتى بالليل وكل شيء تم تسويته بيننا ودّيا، وبعد مغادرة بالليل، أخذت محمد من ذراعه وسألته: أليست الطريقة الأفضل لتسوية الموضوع بدلا من القصف. أجابني : لا شك في ذلك بالنسبة لك، و لكن فيما يخصني فإن ذلك يعني سواد الوجه، وسأغادر أبين الآن إلى المنطقة الجبلية، وسألته متى يعتقد أنه سيعود، فرد علي: عندما تتغير الظروف، قال ذلك وهو يصافحني مجاملاً، ولم أشاهده بعدها.

مرت الشهور ولم يعد أو يرسل أية رسالة، وفي نفس الوقت فإن الشخص المفوض من قبله للعمل الإداري في أبين قد رفض التعاون مع مجلس السلطنة ومع لجنة أبين مدعيا بأن الأوامر تعطى فقط من محمد عيدروس. ولأن محمد لم يعط أوامر فلن يُعمل أي شيء.. لقد كان الوضع مستحيلا، وواضحاً أنه قد رُسم من قبل محمد ليكون مؤلما.. وأن هناك عدم ملاءمة في التساهل، وتعزز ذلك من خلال التقارير التي أكدت بأنه يتواصل مع اليمن، ولم يبق إلا خيار واحد للخروج من المأزق، وهو بتعيين نائب جديد بدلا عنه، وقد تم تجاوز اعتراضات السلطان المتشنجة عن طريق النصح، وعندما عُرض الأمر عليهم، قام المجلس في الحال بانتخاب واحد منهم كنائب.

كان أملنا أن ذلك يعني النهاية، لكن الأمر لم يكن كذلك.

ففي ظرف يوم من تعيين النائب الجديد، نزل محمد عيدروس إلى أبين غازياً على رأس حشد من القبائل الشعث المسلحين، وبعد فوضى وحشية في المنطقة أنسحب آخذا معه ممتلكات السلطنة، الخزينة والحرس القبلي وتقريبا جميع الموظفين.

صحيفة الرابطة علقت على ذلك بقولها: أن الشعب خلف محمد عيدروس، وهذا هو ردهم على الإستعمار.

السلطان عيدروس سأل بابتسامة عريضة: ماذا سيحدث لأبين بدون محمد عيدروس، فلا توجد إدارة، وغياب السلطة السياسية سيدمر برنامج أبين، وماذا بخصوص أرباح القطن، كانت عيناه تتراقص من الحيوية في مقابل الإحباط الذي لدي، كنا في وضع غير مريح على الإطلاق، هل يستسلم المجلس لوابل التهديدات التي كانت توجه إليه وتنسب إلى محمد عيدروس، لم يكن لدينا الخيار إلا أن نواجه الأحداث غير المرغوب فيها وربما المأساوية والصفعة السياسية المدوية على الوجه في حالة وقوفهم متماسكين.

ولم يكن هذا الحال كافيا لوحده، فالسلطان عيدروس مافتئ يذكرني بألم بأن يافع السفلى بدون موارد مالية ولا قوة شرطة ولا إداريين، وفوق كل ذلك ولزيادة مصاعبنا بدأ فدائيوا محمد عيدروس - كما تصفهم إذاعة القاهرة - بدأوا يغيرون على أبين بعمليات تخريب متقطعة.

عدم اليقين والأمان وتهديد غياب السلطة السياسية كلها فوق أبين تحوم كنسور على جثه.

الأمر تُرك لـ (روبين ينج) ليتعامل مع الوضع القبيح، وهو بشخصيته القوية وقف كصخرة في وسط مجرى طوفان المشاكل، وتمت المحافظة على النظام، وظهرت إدارة جديدة، وبعد فترة قصيرة

اختفى فدائيوا محمد عيدروس، والناس الذين بقوا يشاهدون عن بعد لاحظوا اتجاه المد فاقتربوا، ولم يعد هناك مزيدا من أزمات ناصر (يقصد جمال عبدالناصر) ولا (يعيش محمد عيدروس).

٢. ترجمة نصية لما كتبه وليم هارولد أن جرامز عن السلطان محمد بن عيدروس في كتابة (اليمن الائمة، والحكام، والثورات)، ترجمة نجيب سعيد باوزير من منشورات جامعة عدن

وما لبثت عمليات المناوئين في المحميات أن ازدادت وتيرتها وكانت اليمن تزودهم بالبنادق والمال، وفر أحد الأمراء من الذين وقعوا معاهدات مع الانجليز إلى اليمن كما فر أيضا بعض شيوخ القبائل المهمين، وأصبح بالإمكان تقسيم أمراء المعاهدات في المحمية الغربية إلى أمراء وقفوا إلى جانب الإنجليز بدافع الطموح الشخصي أو لحمايتهم فقط في وجه القبائل التي أصبحت تناوئهم، وأمراء لم يكن الإنجليز يعنون لهم شيئا مثل سلطان العوالق العليا وسلاطين يافع، وأمراء فضلوا الفرار واللجوء إلى اليمن.

وكان وضع سلطنة يافع السفلى وضعا غريبا، فقد كان جزء منها يقع في واحة أبين الخصبة التي تتشارك فيها مع سلطنة الفضلي على قاعدة الشجار، ولكن الجزء الأكبر منها كان عبارة عن منطقة جبلية سكانها يشبهون سكان سلطنة يافع العليا ومشيخاتها في عدم الميل إلى الأخذ بأسباب التحديث، وكان الإنجليز قد نجحوا في جعل السلطنة تستمر في الإنخراط في تطوير وادي أبين ولكن هذا كان يقتضي بالضرورة إدخال المزيد من الأساليب الغربية في الإدارة وهذا ماجعل السلطان ينسحب تدريجيا من شؤون الحكم ويترك الأمور أكثر فأكثر لتصرف إبنه محمد عيدروس، ولكن محمد بدوره أخذت تثقل عليه مؤونة محاولة الجمع بين الأفكار الحديثة والروح اليافعية التقليدية شبه الصوفية و أصر على أن الإنجليز ليس من شأنهم التدخل في شؤون سلطنة يافع السفلى أو التحكم في زراعة أبين.

وفجأة ترك منصبه كممثل لوالده في الواحة و إنسحب إلى عاصمته الجبلية القارة، وعندما طلب حاكم عدن في نهاية عام ١٩٥٧م من السلطان أن يعين ممثلا جديدا، عاد محمد على وجه السرعة، ورفض والده أن يعين بديلا عنه، وأخذ محمد معظم موظفي الدولة وكل حراس الدولة القبليين ماعدا ثلاثة وما يربو على عشرة آلاف جنيه استرليني من مدخرات الدولة وعاد إلى القارة، وعلى إثر ذلك نُصب ممثل العوبة في أبين.

وبدأ محمد في إثارة المشاكل في عدن بمساعدة أهالي يافع السفلى الذين كانوا يعارضون النظام الجديد وبالقنابل المقدمة من اليمن.

وفي مارس ١٩٥٨م اُغتيل ضابط بريطاني من جيش الليوي لمحمية عدن بواسطة قنبلة يدوية ألقيت على سريره.

وفي يونيو ضرب سلاح الجو الملكي البريطاني بالقنابل منزل محمد في القارة، بينما استمرت الانفجارات في عدن حتى يوليو وما زالت المشاكل مع محمد واليافعيين قائمة، وكانت دولة يافع السفلى منذ تلك الأيام لا تعني إلا بعض السكان معظمهم من القسم الذي يعيش في أبين.

ولكن سلطنة يافع السفلى التقليدية التي ترجع أصولها إلى عهود ما قبل الاسلام تبقى هي يافع الجبلية التي يسيطر عليها الآن(روبن هود)[٢٣] يافع السلطان محمد عيدروس .

٢٣روبن هود هوتبل انجليزي أغتيل والده فهرب الى الغابة وأصبح نصير للفقراء والمظلومين ضد حكام الإقطاعيات.

الشهادات للتاريخ

قائمة بأسماء من أُخذت شهادتهم للتاريخ من المعاصرين للفترة التي عاش فيها السلطان محمد بن عيدروس

١. محمد صالح المصلي
٢. حمود بن زين العفيفي
٣. هادي أحمد عبدالرب بن سليمان
٤. السلطان علي عبدالكريم العبدلي
٥. اللواء أحمد مهدي المنتصر
٦. الشيخ عبدالله علي ثابت بن سليمان
٧. صالح عبد القوي حسين
٨. سالم أحمد سالم العمري
٩. حسين عبدربه الملجمي
١٠. علوي أحمد عبدالرب بن سليمان
١١. السلطان صالح بن حسين العوذلي
١٢. الأمير جعبل بن حسين العوذلي
١٣. علوي ناجي قاسم الحكمي
١٤. عبدالله علي العيسائي



المراجـــع

١. محاضر جلسات مجلس السلطنة ليافع بني قاصد

٢. السياسة الاستعمارية في جنوب اليمن مؤلفته لـ فالكوفا، ترجمة عمر الجاوي.

٣. الرمال المتحركة، مؤلفه دايفيد ليدجر.

٤. ملف مكتبي للضابط السياسي جودفري مينل.

٥. ملف مكتبي للضابط السياسي علي قاسم.

٦. ملف مكتبي للمستشار القبلي علوي بن أحمد العفيفي.

٧. رسائل موجهة إلى السلطان من شخصيات مختلفة من يافع.

٨. تقرير براين هرتلي اكتوبر ١٩٤٧م.

٩. بعض محاضر لجنة أبين.

١٠. بعض منشورات الإدارة البريطانية التي كانت تسقطها عبر الطائرات.

١١. بعض منشورات السلطان محمد إلى أبناء يافع.

١٢. مداخلة علي أحمد السلامي في ندوة الثورة اليمنية المنعقدة بصنعاء في أكتوبر ٢٠٠٢ م.

١٣. صحيفة اليقضة (التي كانت تصدر في عدن قبل الإستقلال)

١٤. صحيفة الأيام.

١٥. عدن _ للسير هيكن بوثم.

١٦. Aden _ Sir Tom Hickinbotham

١٧. اليمن عبر التاريخ لمؤلفه أحمد حسين شرف الدين.

١٨. الصراع من أجل اليمن الجنوبي The Struggle for South Yemen لمؤلفه جوزيف كوستنر Joseph Kostiner.

١٩. علاقة سلطنة لحج ببريطانيا، لمؤلفته د. دلال بنت مخلد الحربي.

٢٠. ظلال الكهرمان Shades of Amber لمؤلفه كندي تريفاسكس KENNEDY TREVASKIS

٢١. قضية الجنوب اليمني المحتل في الأمم المتحدة، لمؤلفه محمد سالم باسندوه.

٢٢. الجيش The Gyash لمؤلفه Frank Edwards

٢٣. (اليمن الأئمة والحكام والثورات) لمولفه وليم هارولد أن جرامز- ترجمة نجيب سعيد باوزير مراجعة عبدالكريم سالم الحنكي William Harold Ingrams

أسماء من ذُكرت أسماؤهم في الكتاب من الإنجليز
مرتبه حسب الترتيب الأبجدي

-Basil Seager

-Brian Hartley

-George thomson

- Kennedy Trevaskis the adviser & British agent

Western Aden protectorat (1953-1967)

-Laurie Hobson

-Robert Edwards

-Robin Young

senior assistant adviser Central area, Zingibar

- Tom Hickinbotham. British agent, Western Aden

(Protectorat (1952 – 1956)

- Lord Shackleton

- Tom Driberg

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر والامتنان لكل من ساهم في مساعدتي في إخراج هذا العمل، خاصة و أن كل ملفات السلطان محمد تقريبا قد أُتلفت أو أُخفيت، وهذه السيرة كانت فكرتها في البداية مقالة صحفية القصد منها تصحيح الأخطاء الفادحة التي كانت تذكر من قبل من كتبوا عنه في الصحف، وعندما طلبت من حمود بن زين العفيفي أن يُزودني بمعلومات عن السلطان محمد خلال فترة شبابه حيث كان قريبا وزميلا لايفترق عنه الا نادراً، فشجعتني المعلومات التي أعطاني إياها لتطوير العمل ليصبح أكبر من مقالة في صحيفة.

والشخص الآخر هو الأخ سالم علي حلبوب الذي تمتع بقدرات سحرية في إيجاد الكتب وبعض المعلومات التي احتجت إليها و أطلبها وكثير منها غير موجود في اليمن، وكانت لا تمضي فترة قصيرة حتى يفاجئني بإحضار الكتاب أو المعلومة الموثقة.

وشكري لا يستثني من دقق ونسق وأخرج هذا العمل بشكله النهائي.

دليل الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة

مصورات أبي وائل اليافعي

عدن





المؤلف في سطور:

- من مواليد عام ١٩٥٤م في القارة – يافع.
- والده السلطان محمد بن عيدروس العفيفي، كان آخر سلاطين يافع بني قاصد والذي تمت تصفيته جسديا مع اثنين من اخوته وحوالي خمسة عشر شيخا وشخصية من يافع.
- حاصل على بكالوريوس في الهندسة الميكانيكية.
- عايش واكتوى بنار حقبة حكم الحزب الاشتراكي في عدن.
- استطاع مغادرة عدن بداية عام ١٩٨٣ م إلى المملكة العربية السعودية.
- عاد إلى اليمن الموحد نهاية عام ١٩٩٤م.
- شغل منصب وزير الدولة لشؤون المغتربين بين عامي ١٩٩٥ – ١٩٩٧م.
- عضو المجلس الاستشاري ثم مجلس الشورى منذ عام ١٩٩٧م.
- للمؤلف كتيب توأم لهذا الكتاب بعنوان (وعود وردية وحصاد مر).